خطب الجمعة

السلسلة النورانية في التربية الربانية

الوحي - القرآن الكريم

لفضيلة الإمام العلامة
نور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

الوابل الصيب
الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

الوحي - القرآن الكريم

خطب الجمعة

السلسلة النورانية في التربية الربانية

الوحي - القرآن الكريم

لفضيلة الإمام العلامة
نور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

الوابل الصيب

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثنا .... أمانة في أعناقنا

الطبعـة الثانيـة
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
طبعة منقّحة
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٩٨٢٧
الترقيم الدولي I.S.B.N.
٩٧٧-٦٢١٤-٠٨-٨

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثنا ...... أمانة في أعناقنا
٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٩٨٥٠٨٩١ (٢٠٢+) - ٢٩٨٥٠٨٢٤ (٢٠٢+)
٢٥٠٥٧٨٣٠ (٢٠٢+) - ٠١٨١٧٥٥٥٦٦ (٢٠٢+)
E-Mail: Info@Alwabell.com
www.alwabell.com
www.alimamalallama.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقـدِّمة

الحمد لله وكفىٰ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد المصطفىٰ، وعلىٰ آله أهل الوفا، وأصحابه الحنفا، وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد، فقد مَنَّ الله عليّ منذ ريعان الشباب، وفي سن الثامنة عشر باعتلاء المنابر، وأداء واجب خطبة الجمعة، والصلاة بالناس. هذه الفريضة التي فرض الله ﷻ فيها الاجتماع، وجعل رسول الله ﷺ التخلّف عنها من علامات النفاق، وذلك فيما رواه مسلم عن عَبْد الله بن عُمَر وَأَبي هُرَيْرَة ﭫ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»(١). وحُمِلَ علىٰ هذا الترك قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَىٰ رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ»(٢).

فكانت صلاة الجمعة علامة من علامات وحدة المسلمين كاجتماعهم في أداء ركن الحج، وكاجتماعهم علىٰ مصحف واحد يتلون فيه كتاب الله، وكاجتماعهم علىٰ نبي واحد هو خاتم النبيين لا نبي بعده.

ومما مَنَّ الله به عليّ منذ أواخر عام ١٤١٨ من الهجرة النبوية الشريفة أن اعتليت منبر مسجد السلطان حسن الذي هو أجمل مسجد بُنِي في الإسلام

---

(١) أخرجه مسلم: ٥/٣٩٩ برقم (٢٠٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: ١/٢٣١ برقم (٦١٨)، ومسلم: ١/٤٥١ برقم (٦٥١).

بناه السلطان حسن بن الناصر قلاوون حتىٰ قال فيه الوارتيلاني في رحلته: إنه أعظم بناء في الإسلام.

وبفضل الله أخطب في هذا المسجد حتىٰ كتابة هذا المقال في عام ١٤٢٨ للهجرة النبوية الشريفة، ولقد اخترت بعض ما فتح الله عليَّ به من خطب الجمعة، والتي تغيَّت تعريف المسلم بربه، وبالوحي الذي أنزل، وبرسوله الذي أرسل، وبدينه الذي شرع، وبالحياة التي أرادها لنا، وجعل سبحانه وتعالىٰ في ذلك كله سعادة الدارين.

وقدمت بين يدي كل خطبة في هذا الكتاب الذي معنا بعض أفكارها، وعزوت الآيات إلىٰ مواطنها، وخرَّجت الأحاديث النبوية وعزوتها إلىٰ مصادرها، وضبطت ما يحتاج إلىٰ ضبط مما قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس، وترجمت لبعض الأعلام كلما احتاج الأمر إلىٰ ذلك، وفسرت بعض الكلمات الغريبة التي قد ترد في النصوص، مع فهرس اشتمل علىٰ عناوين تلك الخطب.

وأرجو الله سبحانه وتعالىٰ أن تكون نافعة للمسلمين وللناس أجمعين، وأسأل الله سبحانه وقد وفقنا لذلك وهدانا إليه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أن يجعلها في ميزان حسناتي يوم ألقاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د علي جمعة

مفتي الديار المصرية

السلسلة الأولى

الوَحْيُ

وَبَيْنَ أَيْدِينَا كَنْزٌ لَنَا..!

من أفكار الخطبة:

١- خير أمة أخرجت للناس، والعهد الخاتم الذي رضيه الله تعالى للعالمين.

٢- الفاصل بين المسلمين وغيرهم.. هو الوحي.

٣- ما الفقرَ أخشى عليكم..!

٤- لن يسَعَ آخرَ هذه الأمة إلا ما وسعه أولَها.

٥- نسيان الوحي طريق الذل والهوان في الدنيا، والهلاك والخسران في الآخرة.

٦- لا ينتفع بالوحي مُعرِض عن الآخرة..!

٧- حياتنا طيبة؛ نعبد الله وحده، ونعمر الأرض، ونزكي النفس.. ولنا الجنة بإذن ربنا ورحمته.

٨- كن عبداً ربانيًّا.. أطِبْ مطعمك، وليكن قلبك فوق عقلك، وعقلك فوق سلوكك.

وَبين أيدينا كنزٌ لنا..!

الحمدُ لله.. نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه..؛

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهدِ الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسولُه، ونبيُّه وصفيُّه وحبيبُه؛ بلَّغ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة، ونصح للأمة وكشف الغُمَّة وجاهد في سبيل الله، وتركنا علىٰ المَحَجَّةِ البيضاء ليلُها كنهارها؛ لا يزيغ عنها إلا هالك... صلَّىٰ الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله.. ما ذَكَرَك الذَّاكرون، وغفل عنك الغافلون..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد..؛

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله... وخيرَ الهدي هديُ سيدنا محمد رسول الله.. وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة...(١).

---

(١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ =

عبادَ الله.. الذي بيننا وبين العالمين هو **الوحي**، وحي أنزله رب العالمين، رب السماوات والأرض، الذي كان قبل الخلق، وإنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون، وقال للسماء وللأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]. أنزل الكتاب على قلب نبيّه ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]. بلَّغ ولله الحجة البالغة، ومَنَّ علينا أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس، وطلب منا أن نأمر بالمعروف وأن ننهىٰ عن المنكر وأن نؤمن بالله، ولقد رأينا ما احتواه الوحي من تعليمات فيها من الأوامرَ والنواهي ما أراد الله بها سعادة الدارين للبشر، فآمن بها من آمن وكفر بها من كفر، واتبعها من اتبعها، واستوعبها من استوعبها، وحُجِب عنها -كلها أو جزئها- من حُجِب عنها، والأمر لله من قبل ومن بعد؛ فإذا كان الأمر كذلك وكنا خير أمة أخرجت للناس، وكان معنا من الوحي ما قد رضي الله سبحانه وتعالىٰ للبشر.. **فما الذي حدث؟!**

أين أمة محمد التي كان ينبغي لها أن تكون في وسط الأمم وفي أعلىٰ قمة الهرم، تشهد الناس وتشهد عليهم، ويشهدها الناس فيجعلونها إمامًا يُحتذىٰ.. ما الذي حدث؟!

ما الذي حدث لأمة محمد ومعها الكنز.. **القرآن**... و«**لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**»(١)... وهو الميثاق الأخير والعهد الخاتم الذي رضيه الله للعالمين..!!

كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.....الحديث» أخرجه البخاري: ٢٢٦٢/٥ برقم (٥٧٤٧)، ومسلم: ٥٩٢/٢ برقم (٨٦٧)، والنسائي: ٢٠٩/٣ برقم (١٥٧٧) واللفظ له.

(١) أخرجه الترمذي: ١٧٢/٥ برقم (٢٩٠٦)، والحاكم، وصححه: ٧٤١/١ برقم (٢٠٤٠)، لا يَخْلَق: لا يَبلىٰ، أي: لا تزول لذة قراءته لكثرة تلاوته وتَرداده.

ما الذي حدث في قلوب فتحت العالم شرقًا وغربًا وكان منها **صاحب الحُقِّ**؟! وصاحب الحُق رجل لا نعرف اسمه؛ كان في إحدىٰ المعارك مع الفرس وقد عرف أن الغُلول حرام، وأنه كلما وجد من مال أو من شيء فعليه أن يسلمه إلىٰ القائد، وكان القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالىٰ عنه، وجاء الرجل وَسَلَّم حُقًّا (علبةً)، هذه العلبة كانت فيها جوهرة التاج وهي أغلىٰ جوهرة في الأرض.. تاجُ كسرىٰ! وما أدراك ما كسرىٰ حينئذ؟! إيوان كسرىٰ كان طوله أكثر من ثمانمائة متر؛ يدخل الداخل من أوله فتأخذه الهيبة، حتىٰ إذا ما وصل إلىٰ عرشه سجدَ له، فما بالكم بتاجه الذي علىٰ رأسه وجوهرته! سلَّم الرجل الجوهرة إلىٰ خيمة القائد.. فتح سعدٌ هذه العُلبة فوجد فيها تلك الجوهرة النفيسة وتعجب أن يكون أحد من البشر يرىٰ هذا ولا يخفيه..! فأمر بإحضار الرجل، فجاء الرجل وهو يقبض علىٰ ثيابه بيديه، وتعجب سعد! المفترَض أن يدخل فيصافح القائد، لكن الرجل كان منشغلاً بثيابه البالية عن مصافحة سعد، فقال له سعد: أبيدك شيء؟! قال: لا..؛ إنما أنا أستر عورتي.

يخاف أن يترك ثيابه حتىٰ لا تظهر عورته!! سلمها للقائد لأنه كان يتذكر الله رب العالمين، ويعلم أن فعله إنما هو جهاد في سبيله، لا من أجل دنيا يصيبها ولا امرأة يتزوجها، ولا أرض يضمها إلىٰ أرضه ولا سلطان يتوخاه ويبتغيه؛ إنما هو جاء من أجل أن يجاهد في سبيل الله؛ لأنه سمع أنه بينه وبين الجنة أن يموت..

أخرَجوا الدنيا من قلوبهم وكان فيهم صاحب الحُق الذي لا يجد ثيابًا يستر بها عورته ويسلم ملايين الجنيهات والدنانير والدراهم إلىٰ القائد لأن هذا المال حرام عليه.. **هؤلاء هم الذين فتحوا الأرض ومَلَكُوها..**

ما الذي حدث وهذا التاريخ معنا وهذا الكنز ما زال يُتلىٰ ويحفظ بيننا؟!

حدث أمران: الأمر الأول أننا قد تركنا الوحي، **والأمر الثاني** أننا قد تركنا الآخرة. فإذا ما تركنا الوحي وتركنا الآخرة عشنا في متاهة لا نعرف كيف نبدأ ولا كيف نسلك! عشنا في متاهة لا نعرف كيف نقوِّم الأفكار، ولا كيف ننتقد النُّظُم، ولا كيف ننشئ المناهج، ولا كيف نربي أبناءنا، ولا كيف نتفاوض مع عدونا، ولا كيف نسيطر علىٰ حالنا.. ولا نعرف شيئًا مطلقًا.. تُهنا.. ضللنا الطريق..!

وصدق الحبيب المصطفىٰ ﷺ... حين قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعَتِ الأنصار بقدومهِ، فوافقت صلاةَ الصبح معَ رسول الله ﷺ، فلما انصرَفَ تعرَّضوا له، فتبسمَ رسولُ الله ﷺ حينَ رآهم وقال: «**أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[1].

مِن هؤلاء... الذين ربَّاهم رسول الله ﷺ وكانوا معه في الغداة والعشي- كان صاحب الحُقِّ... رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

عبـاد الله.. ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩]. هل نجحوا؟ أو أننا نحن الذين تركنا الوحي عن شهوات الدنيا التي قد ملأت قلوبنا، وعن أحوالنا التي لا ترضي الله ولا رسوله ولا المؤمنين؟

---

(١) أخرجه البخاري: ١١٥٢/٣ برقم (٢٩٨٨)، ومسلم: ٢٢٧٣/٤ برقم (٢٩٦١).

ترْكُ الوحي وترك الآخرة أمران مترتبان.. بدأنا في التاريخ بترك الوحي وما تضمنه وما دعا الله إليه مما فيه سعادة الدارين؛ وتركنا الآخرة.. فأصبحنا صِفر اليدين.. وكما في المثل: كفقراءِ اليهود!! قد فقدنا الدنيا وقد فقدنا الآخـــرة. ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. يا لطيف يا رب العالمين ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسـراء: ٤٦]. عزلـة تامـة عـن القـرآن الكـريم..؛ يـسمعون أصـواتًا ولا يدركون أحكامًا.. يسمعون تلاوة تتلىٰ، لكنهم لم يجعلوه هدايةً يُهتدىٰ بها.. لم يجعلوه منهج حياة..

لم يبدأوا في بناء حضارتهم من هذا المنطلق البديع.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ٤٦-٤٧].

العقلية القائمة عند هؤلاء يعلمها الله، الرؤية الكلية للكون والإنسان والحياة وما قبل ذلك وما بعد ذلك.. يعلمها الله ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ ولم يقل: «يستمعون إليه»، إن هناك شيئًا يستمعون من خلاله القرآن؛ هو أن القرآن من عند محمد، وأنه صناعة بشرية، وأننا لا يجب أن نلتفت إليه ولا أن نقف عنده كثيرًا، ولا أن نستهديه ولا أن نجعله دستور حياة، والإيمان به إذا كان ولا بد، فلنجعله إيمانًا جُمَليًا لا يتحكم في مورد ولا يتحكم في مصدر! ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ

رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء: ٤٧-٥١].

ربطٌ بين ترك الوحي وترك الآخرة... إعجاز..! وهل غير هذا الذي حدث في التاريخ الإسلامي!! بدأ الناس بنسيان الآخرة وصدقوها تصديقًا باهتًا، ثم بعد ذلك انحلوا من عقدة الوحي وصدقوه تصديقًا جُمَليًا، ولم يجعلوا الآخرة هي الأساس وهي الحيوان -أو الحياتين- لا.. لم يجعلوها كذلك بل جعلوها شيئًا عابرًا... والأمر ليس كذلك!

إذا استحضرت الآخرة ومعناها وما ذكره الله عنها في الكتاب الكريم لا يمكن أن تتجرأ علىٰ معصية الله، ولا يمكن إلا أن يمتلئ قلبك هيبة لله وهمَّة له، ولا يمكن إلا أن تكون عبدًا صالحًا من عباد الله في كل شيء؛ في فعلك وتركك، في نومك وفي يقظتك، ولهانت عليك نفسك في جنب الله واطمأنت بذكره، لكن نسيان الآخرة هو الذي يهون علىٰ الناس نسيان الوحي...

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٢٧-٣١]...

ادعوا ربكم.

الحمد لله حمد الشاكرين له.. الحمد لله حمدًا كثيرًا، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد بكرة وأصيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده،

ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، بيده هو الحول والقوة، ولا حول ولا قوة بنا ولا لنا..

يا أيها الناس.. يقول ربنا جل في علاه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وما أطيبها حينئذ من حياة، وما أحسنه يومئذ من مآل وجزاء!

نريد أن نحيا الإيمان وأن يحيا الإيمان في قلوبنا، نريد ألّا تتحول العقائد إلىٰ مفاهيم قائمة في الذهن بل نريد أن تكون منطلقًا للعمل، نريد أن يعيش المسلم مستحضرًا ربه في حياته، منكشفةً له الحقيقة علىٰ وجهها من أن هذه الحياة الدنيا فانية، وأن أمر الله فينا هو العبادة والعمارة والتزكية؛ فلا بد أن نعبد الله، وأن نعمر الأرض وأن نزكي النفوس، فلا بد أن ندعو الناس إلىٰ الله رب العالمين، مدركين أن الله قد حدَّ لنا حدودًا وأمرنا بأوامر ونهانا عن نواهٍ يجب أن نتقيد بها، وأنه قد أخبرنا عن حقائق ينبغي أن نستحضرها، فإن نحن فعلنا ذلك كنا عبادًا ربانيين، وإن نحن مع ذلك أطبنا مطعمنا وانتهينا عن الفساد المستشري في أوساط الناس مددنا أيدينا إلىٰ السماء: يا رب؛ فيستجيب الله لنا، أمّا أن يكون مطعم أحدنا حرامًا ومشربه حرامًا وغُذي بالحرام.. يقول رسول الله ﷺ: «**أَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَٰلِكَ**»[1]، «**رُبَّ أَشْعَثَ**» -كصاحب الحُق- «**مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّه**»[2] العبرة ههنا.. «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[3]، والقلب ينبغي أن يتحكم في العقل، والعقل يتحكم في السلوك، فإذا فعلنا ذلك استقامت لنا

(١) أخرجه مسلم: ٢/٧٠٣ برقم (١٠١٥).
(٢) أخرجه مسلم: ٤/٢٠٢٤ برقم (٢٦٢٢).
(٣) أخرجه مسلم: ٤/١٩٨٦ برقم (٢٥٦٤).

الدنيا، أما إذا تحكم سلوكنا وشهوتنا في عقولنا، وعلت عقولنا على قلوبنا، اختل الأمر، وأصبحنا صورة مشوهة من الفجار!

وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥].

فعلينا أن ندرك الأمر على حقيقته وأن نعود إلى الوحي، وأن نستحضر الآخرة في ظل ذكرنا لله سبحانه وتعالى.

حَقِيْقَـةُ الْوَحْـيِ

من أفكار الخطبة:

١- السنة بيان للقرآن وهما معًا يمثلان حقيقة الوحي، ولا يفترقان إلى يوم الدين.

٢- «لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله» قـضية كونيـة، ومنهج رباني، وبرنامج عمل يومي في نفسك وأهلك والأقربين.. وفي الناس.

٣- مضمون الوحي عناية الرحمن بعباده ومحبته لهم؛ حتـى لقـد ارتقـى مفهـوم الواجبـات إلى درجـة الحقوق..؛ كرامة الله هذا الإنسانَ!

٤- حـضارتنا مبناهـا علـى التـوازن والـيقين والالتـزام والإبـداع، ولـيس علـى الخرافـة والتقليـد الـذميم والانفلات والبدعة.

٥- حفظ الله ﷻ كتابه فكان شاهدًا ذاتيًا علـى صـدقه، وتولى بيانه بحفظ سنة رسوله ﷺ فعصم أمتـه مـن الضلال.

٦- إنها الفتن!! فاستمسك بـالوحي؛ كـن معتـزًا بـدينك، موقنا بربك ﷻ، محبّا لنبيك، واعيا في سعيك، مؤمنـا في سيرك، صابرا جميلا قويا مطمئنا بذكر الله.

حَقِيْقَةُ الْوَحْيِ

أرسل الله ﷻ رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله..؛ فما الذي أرسل الله به رسوله إلينا؟ أنزل الله علىٰ قلبه الشريف القرآن، ووفقه بألا ينطق عن الهوىٰ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] علَّمه ﷻ ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥] إنه الوحي الذي تكلمنا عنه باعتباره هو الفاصل بين المسلمين وبين غيرهم في عالمنا اليوم..؛

فما الوحي..؟

الوحي قرآن وسنة؛ القرآن كتابٌ أراد الله ﷻ أن يصل إلىٰ العباد حتىٰ يهديهم إلىٰ طريق الرشاد، والقرآن صغير الحجم.. كبير النفع.. عالي القدر، هو إيجاز لكنه إعجاز، القرآن استعمل ١٨٩٠ جذرًا من جذور العربية.. فإذا عرفت أن معجم لسان العرب قد اشتمل علىٰ ٨٠ ألف عرفت أنه لم يستعمل إلا ١.٥٪ من لغة العرب!

القرآن لم يكرر١٦٩٠ كلمة، لم يكررها بل استعملها كلمةً واحدةً في موضعٍ واحد، وهذا أمر خارج عن طوق البشر.

القرآن كتاب هداية يؤكد ربنا فيه ﷻ في كل كلمةٍ منه علىٰ أنه من عند الله، وعلىٰ أنه يرشد إلىٰ الصراط المستقيم، وعلىٰ أنه يدلك بوضوحٍ علىٰ برنامجك اليومي الذي ينبغي أن تتخذه ديدنًا لنفسك ولأهلك ولعشيرتك وقومك، يبين لك قضية التوحيد وكيف نوحّد الله في سلوكنا.. نوحِّد الله في

حياتنا.. يبين لنا مآل الدنيا وأنها إلىٰ زوال، ويُنبهنا إلىٰ الموت ويُنبهنا إلىٰ الحياة الآخرة بعد ذلك.. إلىٰ الحساب.. إلىٰ العقاب والثواب.. إلىٰ الجنة والنار، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وأنه يبشر، ولكن يبشر المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٩] ويبشرهم أيضًا بأن لهم أجرًا حسنًا.. ويبشرهم بأن لهم مغفرةً من الله ﷻ وأجرًا عظيمًا.. ويبشرهم.. ويبشرهم.. ويبشرهم إلا أنه يأمرهم وينهاهم أن يفروا إلىٰ الله جميعًا.

القرآن آياتٌ قليلة في الكلمات عظيمة في المعاني، تفتح لك آفاق الدنيا والآخرة ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [البقرة: ١-٢]، واستعمل كلمة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، ولم يقل: «ذاك»؛ تعظيمًا لشأنه؛ لأن «اللام» لما كانت في لغة العرب تفيد البعد، فلو أشاروا بها إلىٰ القريب فإنه يكون علىٰ جهة التعظيم.. ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [السجدة: ٦] وصف نفسه وأشار إليها بـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ وهو ﷻ قريب من عباده.. فيقول ربنا ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ

ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١-٩]...

الله.. الرسول.. اليوم الآخر في سياقٍ ونسقٍ واحد.

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١-١١].

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ١-٨] سبحانه وتعالى. سياقٌ واحد.. قضيةٌ واحدة.. تأكيدٌ واحد.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ

أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ١-٧].

لا إله إلا الله ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ٩-١١].

هذه رسالة ربكم إليكم؛ ينبهكم ويؤكد عليكم أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن هذه ليست كلمة تُقال بل هي حياة.. هي قضية.. هي برنامج يومي.. هي مفاصلة بينك وبين العالمين، ينبغي عليك أن تعود إليها، وأن تفهمها وأن تعيها؛ وإلا فإنك في دائرة الكفر أو الفسق أو العصيان، ونحن نريد أن نخرج من دائرة الكفر أو الفسق أو العصيان، نريد أن ندخل في دائرة الإيمان والتقوىٰ والورع؛ هناك يزين الله الإيمان في قلوبنا.. هناك يشعرنا الله بحلاوة الإيمان، فإذا شعرنا بحلاوة الإيمان استزدنا منه.

هذا هو القرآن، وهذه هي الرسالة.. هذا القرآن الذي قال فيه ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] قال في شأنه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] ﷻ جعل هذا الوحي مستمرًا عبر التاريخ، لم يكن النبي ﷺ بدعًا من الرسل.. لم يكن وحده متفردًا بتلك الدعوة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

تفكّر.. تدبّر.. قَرَنَ الله ﷻ بين الكتاب والسُّنّة فأمرنا أن نطيع الله ورسوله، وأمرنا أن نأخذ الدين من كلٍ من الكتاب والسنة معا وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ قيل: الذكر هو السُّنّة ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ هو القرآن، وحتىٰ الذين قالوا: إن الذكر هو القرآن فإن الله ﷻ قال له: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ وهي السنة باتفاق؛ فالسنة كانت بيانًا للقرآن، وظلت معه وستظل معه إلىٰ يوم الدين تمثل الوحي من رب العالمين، ولذلك قال الناسُ عنه ﷺ: إنه صاحب الوحيين: وحي القرآن ووحي السنة.. **فما السُّنَّة؟**

الذي بين أيدينا نحو خمسين ألف حديث، بعضها مكرر فيؤول إلىٰ ثلاثين ألف، رويت لنا بأكثر من ألف ألف -مليون- سند، ورد إلينا بعضها -بعد الجرح والتعديل- علىٰ جهة الصحة والقبول، وبعضها علىٰ قبيل الرد أو الضعف، قام علماء الأمة يوثّقون مصدرهم.. قام علماء الأمة حتىٰ يحرروا سنة رسول الله ﷺ فيما نسب إليه، ومع حذف المكرر يكون معنا خمسة عشر ألف حديث يصح منهم النصف والضعيف منهم النصف، في البخاري من غير المكرر: ألفان.

بعض الناس يستكثر ما ورد في السنة الشريفة وهو مخطئ؛ لأنه عندما يسمع أنه رُوي عن النبي ألف ألف حديث فإنه يظن أنها أحاديث مستقلة، وألف ألف إنما هو في الأسانيد.

سُنّة رسول الله ﷺ يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ -فيما أخرجه ابن ماجه وغيره- يقول: «**فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَانْتَهُوا**». وقد أخرجه البخاري ومسلم.. فلِمَ نقول ابن ماجه؟

لأن ابن ماجه وضعه في أول سننه[1]، وكأن هذا هو مفتاح الدين أن نمتثل فننتهي عما نهانا عنه رسول الله ﷺ، ونأتمر لما أمرنا به فيما استطعنا ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفيما رواه ابن ماجه وغيره، يقول رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ**» أي أنه مستهتر مستهين «**يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ. أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ**»[2]، وبنحوه عند أحمد وفي أوله: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ**»[3] والشافعي يرويه: «وَمِثْلَيْه مَعَه» أي أن سنة رسول الله ﷺ كحجم القرآن مرتين لما اشتملت عليه من البيان التفصيلي لكل الأوامر والنواهي ولكل العقائد والأخبار ولكل الأخلاق والشرائع.

الكتاب والسنة معًا لا يفترقان إلىٰ يوم الدين.. الكتاب والسنة هما حقيقة الوحي، والوحي هو الذي بيننا وبين الآخر؛ فعندما نختلف معهم إنما نختلف لأن الكتاب والسنة قد أخبرا بكذا وكذا، وآخرُ لا يعرف كتابًا ولا يؤمن بسنةٍ ولا يريد أن يحتكم إليهما ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وربنا يقسم أن هؤلاء ليسوا من المؤمنين ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٦٥٨/٦ برقم (٦٨٥٨)، ومسلم: ٩٧٥/٢ برقم (١٣٣٧)، وابن ماجه: ٣/١ برقم (٣).

(٢) أخرجه أبو داود: ٦١٠/٢ برقم (٤٦٠٤)، وابن ماجه: ١٥/١ برقم (١٢).

(٣) أخرجه أحمد: ٤١٠/٢٨ برقم (١٧١٧٤).

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦] بيّنًا واضحًا لنا فيه من الله برهان.

هذا هو الوحي، هذه هي القضية.. فما مضمون الوحي؟ وما الذي علمنا الله ﷻ في الكتاب الهداية؟ لنا لقاءات عبر هذا المنبر إن شاء الله تعالىٰ نبيّن فيها أول ما نبين: أن الله يحب عباده، وأنه إنما جاء الوحي ليبيّن لنا حب الله لعباده، وأنه قبل أن يفرض علينا الواجبات أعطانا النعم والحقوق، وأن الواجبات قد ارتقت إلىٰ درجة الحقوق في دين الله.. ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤] منتهىٰ كرامة الله هذا الإنسان؛ آتاه كلامه، فأبان خير بيان!! فكانت أعظم المنة، وتمام النعمة، والكلمة الأخيرة من الله رب العالمين، وحيا أوحاه الله لهذا الإنسان الكامل الذي «**كَانَ خُلُقُه القُرْآنُ**»(١)، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] محمد رسول الله ﷺ، خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

يقول غير الفاهمين إن الحضارة الإسلامية إنما هي حضارة واجبات، ولذلك فهي حضارة مستبدة -زعموا- وأن الدين الإسلامي ليس فيه الحب الذي رأيناه في دين آخر! وكذبوا.. ديننا هو دين الحب.. حب الله ورسوله والمؤمنين.. حب الحق.. حب الطريق الواضح المستقيم.. حب السعي إلىٰ الحقيقة.. حب المحافظة والعلم، وليس حب التخريف والتحريف ولا الشهوات ولا الضلال.. يقولون عنا إننا مستبدون! ونحن قد علَت بنا الواجبات لدرجة الحقوق، وعلت بنا الحقوق لدرجة الواجبات؛ لأن ذلك من

(١) أخرجه مسلم: ٥١٢/١ برقم (٧٤٦)، وأحمد: ١٤٨/٤١ برقم (٢٤٦٠١) واللفظ له.

عند رب العالمين، حقك في الحياة صار واجبًا فحرم عليك الانتحار، حقك في العلم صار واجبًا فلا بد عليك أن تتعلم ومن لم يتعلم فهو آثم.. آثم في حق نفسه.

الحقوق تحولت عندنا إلىٰ واجبات فظن الجهلة أن حضارتنا إنما هي مستبدة وإنما هي قد بُنيت علىٰ الفقه ولم تُبْنَ علىٰ الإبداع ولم تُبْنَ علىٰ الحرية والانطلاق! وكذبوا.. بل بُنيت علىٰ الالتزام وبُنيت علىٰ الإبداع. نعم لم تُبْنَ علىٰ البدعة ولا علىٰ التقليد الذميم للآخر الضال المضل، بُنيت بالتوازن.. بالميزان الذي أقام الله به السماوات والأرض ﷻ خلق الأرض والسماوات ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] سنعالج ذلك الميزان الذي علّمناه الوحي الشريف كيف نقيمه في أنفسنا، ونقيمه في كوننا من حولنا، وادعوا ربكم لعلها أن تكون ساعة الإجابة فيستجيب الله لنا ويرفع عنا البلاء.

أما بعد؛ فأشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدًا رسول الله؛ عليها نحيا وعليها نموت..؛ اللهم يا ربنا اجعلنا من المتبعين لسنة نبيك، ومن المؤمنين ظاهرًا وباطنًا بوحيك، واجعلنا يا ربنا أهلاً لذلك، ولا تجعلنا فتنة للقوم الكافرين.

مشيرًا لحفظ السنة، يقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1]، وهذا حديث متواتر رُوي من أكثر من مائةٍ وعشرين طريقًا، ينبه النبي ﷺ الناس ألا تكذب له ولا تكذب عليه، ولذلك فإن تصحيح

(١) متفق عليه، البخاري: ٥٢/١ برقم (١١٠)، ومسلم: ١٠/١ برقم (٣).

الأحاديث من الدين قالوا: «إن هذا الإسناد من الدين فانظروا عمن تأخذون دينكم»، حفظ الله ﷻ الكتاب لنا بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. وحفظ لنا سنة نبيه بفضله فقامت الأمة -بتوفيق الله لها- بذلك الحفظ إلىٰ يوم الدين ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٩]. إنما الذين يريدون أن يتبعوا الشهوات، ويريدون أن نميل ميلاً عظيما، ويهرفون بما لا يعرفون، ويتصدرون قبل أن يتعلموا..؛ فالله حسيبهم.

فيا أيها المسلم كن واعيًا في سعيك، وكن مؤمنًا في سيرك، واسأل الله أن يلقي الثبات في قلبك، وأعطهم -كما أخبر رسول الله ﷺ- حقهم، واسأل الله حقك، واسأل الله السلامة..؛ فنحن في فتنةٍ عمياء ظَلماء لا يُدرىٰ بدؤها من نهايتها، لا يزال فيها الحليم حيرانا، اختلطت الأمور، وأُمر بالمنكر، ونُهيَ عن المعروف، وأُعجب كل إنسانٍ برأيه، وشاع في الأرض قلة العلم وقلة الديانة وقلة الحياء.. و«**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(١)!

فالمؤمن اليوم غريب؛ قابض علىٰ دينه كما يقبض علىٰ الجمر.

فما العمل؟ الصبر.

فما العمل؟ «عَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٢).

فما العمل؟ الفهم والوعي والسعي.

فما العمل؟ كتاب الله، وسنة رسول الله.. ارجع إليهما، واحْتَمِ بهما.

فما العمل؟ الله.. اعرف أنه لا إله إلا الله، وأن الله عظيم جميل قوي.

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٢٦٨/٥ برقم (٥٧٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب: ٢٥٧/٥ برقم (٣٠٥٨)، وابن حبان في «صحيحه»: ٢٧٩/١٣ برقم (٥٩٥٠)، والحاكم: ٥٧٠/٤ برقم (٨٦٠٠) وصححه.

الدعاء ليس من صفة الضعفاء، الله الذي بنىٰ السماوات وبسط الأرض..؛ عندما تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه.. تلجأ إليه فيقف معك وينصرك.. كن مخلصًا لله «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[1] انخلع من دائرة الكفر والفسوق والعصيان بكُلك وجميعك.. بقلبك ونفسك وروحك وعقلك وادخل في دائرة الإيمان والتقوىٰ والورع والرشاد والسداد ابتداءً؛ تُفتح لك كنوز القرآن، وتُيسر لك أمور السُّنة.. يرضىٰ الله عنك.. تمد يدك إلىٰ السماء: «يا رب يا رب» فيستجيب لك.. فاللهم اجعلنا من عبادك المُخلِصين المُخلَصين، نوّر قلوبنا يا رب العالمين...

(١) أخرجه البخاري: ٣/١ برقم (١)، ومسلم: ١٥١٥/٣ برقم (١٥٥).

أَلَمْ يَأْنِ لَنَا بَعْدُ..؟!

من أفكار الخطبة:

١- طال الأمد فقست قلوبنا..! أم ألِفناه بيننا فصدقناه تصديقا باهتا أخفى عنا رونقه!

٢- الوحي بين أيدينا بريء من التحريف منزه عن التخريف وتعاليمه خالية من الكهنوت، فتمسكنا به.. وترك أقوام آخرون ما بين أيديهم ولهم في ذلك برهان.

٣- وأقوامٌ مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. وآخرون لا تعلمونهم الله يعلمهم.

٤- تصديقك بالوحي يوصلك إلى الحقيقة؛ حقيقة الإنسان وسر ربانيته في الأكوان!

٥- كلَّم الله عباده بوسائل ثلاثة اجتمعت كلها لرسول الله النبي الخاتم محمد ﷺ.

٦- أمر عظيم جليل هو اتصال الإنسان بكلام الرحمن.. هذا هو الوحي..!

٧- الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوَّة، ومن صدق حديثه صدقت رؤياه.

٨- علموا أولادكم حبَّ رسول الله ﷺ.. هو الإنسان الكامل والأسوة الحسنة.

٩- البِدار. البِدارَ..! ابدءوا في هذا الطريق المنير عبادَ الله.

أَلَمْ يَأْنِ لَنَا بَعْدُ..؟!

يا عباد الله إن المسلم في هذا العصر ينبغي أن يعود إلىٰ مصادره الأولىٰ، وأن يعلِّم أبناءه الأسس التي عليها قام دين الله، وأن يؤمن بأنه لو عرفها وطبّقها وصدّقها وآمن بها سينال سعادة الدارين الدنيا والآخرة.. إن معنا كنزًا مخفيًّا عرفناه من آبائنا، وتلقيناه من أساتذتنا وشيوخنا، وتربّينا عليه حتىٰ صار مألوفًا في قلوبنا واضحًا في أذهاننا، إلا أن الإلفة قد أخفت رونقه وكادت أن تنسينا أهميته، فلم نعد نتكلم فيه وإن كنّا في أمسِّ الحاجة إلىٰ أن نعيد ونزيد فيه مرة بعد أخرىٰ، وأن ننبه إليه وأن نرشد عليه.

من الأسس التي تميز المسلم عن غيره أنه يؤمن بالوحي، بَيْدَ أنَّ أقوامًا في هذا العصر لا يريدون أن يؤمنوا بالوحي؛ فافترق المؤمن عنهم بإيمانه ووجدانه.. خافوه وحاولوا أن يدمروه لأنه يؤمن بأن الله ﷻ قد أوحىٰ إلىٰ عباده المرسلين.. هناك في أوربا تركوا الوحي وراء ظهورهم ظهريًّا؛ وذلك أنهم ملّوا التحريف والتخريف.. ملّوا الافتراء علىٰ الله فخرجوا من دينهم أفواجا متكاثرة؛ كفروا بالوحي ولهم حجة وبرهان بينهم وبين أنفسهم أن يكفروا بالوحي، وحاول بعض المثقفين ممن ذهب إليهم وتعلم عندهم أن يقلدهم، وأن يأمرنا كما أمروا أنفسهم بأن نكفرَ بالوحي! فنظر المسلمون إلىٰ وحيهم.. إلىٰ كتابهم، فوجدوه منزَّهًا عن التحريف، ونظروا إلىٰ أوامر الله ونواهيه فوجدوها خالية من الكهنوت، ونظروا إلىٰ الإسلام في جملته وتفصيله فوجدوه دينا يدعو إلىٰ السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة؛ فلم يرضَ

واحد من المسلمين أن يترك الإيمان بالوحي، إلا أنه تحت ضغوط الحياة الدنيا وسفاهة السفهاء من الناس اختلط الحابل بالنابل، وأصبح كثير من المسلمين يتناقض أول كلامه مع آخره؛ فأوله يلزم منه إنكار الوحي وآخره يلزم منه الإيمان بالوحي، وأوله يؤمن بالوحي صريحًا ثم يتكلم كلامًا يخرج عما أمر به الله ونهى عنه رسوله الكريم.. اضطرب حال المسلمين!

روى ابن حبان في صحيحه(1) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَلاَ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] فَتَلاَهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٣]، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكِّرْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦].

وفيما رواه مسلم وأبو يعلى، يقول عبد الله بن مَسْعُود: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عُوتِبْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ: أَيُّ شَيْءٍ أَحْدَثْنَا؟ أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْنَا؟»(2)...؛

فيا عباد الله اسمعوا نداء ربكم.. اسمعوا عتاب الرحمن من فوق عرشه جل في علاه: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

(١) أخرجه ابن حبان: ٩٢/١٤ برقم (٦٢٠٩)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي: ٣٧٦/٢ برقم (٣٣١٩).

(٢) أخرجه مسلم: ٢٣١٩/٤ برقم (٣٠٢٧)، وأبو يعلى: ١٦٧/٩ برقم (٥٢٥٦).

أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

ماذا يقال بعد ذلك سوىٰ: بلىٰ. بلىٰ يا ربنا قد آن...

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦].. آمنا ربنا سبحانك وإليك المصير.

ينبغي عليك أيها المسلم أن تبدأ بنفسك، وأن تعود إلىٰ الإيمان الصافي بالوحي، واعلم أن الله تبارك وتعالى قد أوحىٰ لأنبيائه ورسله عبر التاريخ، وبعث في كل أمة رسولا أمره فيها بالتوحيد، وأمره فيها بالبلاغ، وأمره فيها بعمارة الأرض، وأمره فيها بتربية الإنسان، وأمره فيها بأن يتفاعل مع تلك الأكوان، وأمره فيها بكل خيرٍ لهم، وجعل لكل منهم شرعةً ومهاجًا.

اعلم أيها المسلم أن الله تبارك وتعالى أوحىٰ لعباده الأنبياء والمرسلين، قال لنا تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورىٰ: ٥١]، سبحانه وتعالىٰ يُكَلِّم عباده المؤمنين من الأنبياء والمرسلين بطرق ثلاثة:

الطريق الأول أن يوحي إليهم ﴿وَحْيًا﴾ فكيف كان يوحي ربنا جل جلاله لسيدنا النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ صلى الله عليه وسلم..

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ -وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ- فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ**»(١) في بداية الوحي يأتيه شيءٌ مثل صلصلة الجرس: صوت حاد

(١) أخرجه البخاري: ٤/١ برقم (٢)، ومسلم: ١٨١٦/٤ برقم (٢٣٣٣).

يهز وجدانه، ويجعله في حالة كان الصحابة يراها على رسول الله ﷺ يَتَفَصَّد عرقًا ولو كان في اليوم البارد، وهو يصفه عندما جاءه جبريل أول مرة فضمه- يقول: «حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ»[1].. إن أمرًا من رب السماوات والأرض.. إن كلام الرحمن يتصل بالبشر..! فلا يطيق رسول الله ﷺ ذلك إلا بعناءٍ وشدة ويبلغ به الجَهد مبلغًا شديدًا «فَيُفْصَمُ عَنِّي» أي ينفصل ذلك عني، وكأن شخصًا يخنق شخصًا آخر ثم يتركه فيتنفس الصعداء.. الأمر أمر جد لا هزل فيه.. الأمر أمر وحي من رب العالمين.

«وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» كان يأتيه سيدنا جبريل عليه السلام في صورة رجل كان معروفًا عند الصحابة الكرام، هو دحية الكلبي، وكان دحية من سَراة[2] الناس أي: أشرافهم ذوي المروءة، شديد الجمال في وجهه نظيفًا في ثوبه، واختاره رسول الله ﷺ ليكون من سفرائه، فكان سفيره برسالته إلىٰ قيصر الروم، وكانت الصحابة إذا رأت جبريل في صورة رجل رأته في صورة دحية الكلبي يقول: «وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»... ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧-١٩]، كان رسول الله ﷺ تأخذه رِعْدة ويرجف قلبه الشريف لأنه يعلم أن المخاطب هو رب العالمين.

تحكي أمنا عائشة رضي الله عنها أن «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»[3]؛ وظل هكذا ستة أشهرٍ يرىٰ كل يوم ما سيكون في غدٍ، ومن كثرة هذه الرؤىٰ

---

(١) أخرجه البخاري: ٤/١ برقم (٣)، ومسلم: ١٣٩/١ برقم (٢٥٢).

(٢) سراة: بفتح السين وقد تُضم. انظر: «لسان العرب» مادة: سرا.

(٣) الموضع السابق.

لم يرد لنا منها شيء؛ لأن ورودها كان سيحكي ما يكون كل يومٍ في حياة النبي وفي حياة قريشٍ وفي حياة مكة في تلك الشهور الستة! كان الصادق الأمين كل يوم يرىٰ في المنام فيصبح فيرىٰ ما رآه في المنام في الواقع؛ يُهيئه ربه لأن يتلقىٰ عنه سبحانه.. يهيئه ربه لتلقي الوحي.. يهيئه ربه لتحمل الرسالة والأمانة فكان لا يرىٰ رؤيا إلا وقد جاءت مثل فلق الصبح.

وهناك يقول رسول الله ﷺ في معجزة من معجزاته في إخباره بالغيب «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١) فلما حسبوا مدة الوحي وجدوها ثلاثةً وعشرين عامًا، كان منها ستة أشهر رأىٰ فيها الرؤيا الصالحة التامة التي كانت تأتي مثل فلق الصبح، أي أن ما رآه ﷺ كان جزءًا من ستٍ وأربعين جزءًا من مدة الوحي(٢) وهو يخبر بذلك قبل أن يعرف متىٰ موته، وهو يخبر بذلك صحابته الكرام وهو لا يعرف متىٰ الساعة؛ فَصَلِّ اللهم علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم يا ربنا تسليمًا كثيرًا.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَىٰ رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ،**

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٥٦٤/٦ برقم (٦٥٨٨)، ومسلم: ١٧٧٤/٤ برقم (٢٢٦٣).

(٢) حكىٰ البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وعلىٰ هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان.اهـ من فتح الباري: جزء ١- كتاب بدء الوحي: ص٣٠.

ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ(١).

انظروا إلىٰ الضعف البشري.. انظروا إلىٰ القهر الإلهي.. انظروا إلىٰ رحمة الله.. انظروا إلىٰ معنىٰ الوحي.. انظروا الصدق في الكلام النبوي.

الوحي هو القضية التي بيننا وبينهم.. الوحي هو ذلك المألوف الذي قد نسيناه.. الوحي هو القضية الفاصلة التي ينبغي أن توضع ونؤمن بها جميعًا.. من أراد أن يؤمن بالإسلام فلا بد عليه أن يؤمن بالوحي، لا مجرد أن يعرف أن الإسلام يدعو إلىٰ الإيمان بالوحي!! فالمعرفة شيء والتصديق شيء آخر؛ التصديق هو الإيمان بالإذعان والتسليم.. التصديق أن تجعل هذا هو المعيار الذي تقيس به الأمور.. التصديق أن تجعل هذا هو المنطلق الذي منه البداية قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥] لخص لنبينا محمد ﷺ كل شيء.. لخص له طريق المعرفة في قراءة الوحي، وقراءة الكون الذي يحيط بنا..

لخَّص إليه البسائط الإلهية، والمركبات الوجودية الإنسانية...؛

ربنا تبارك وتعالى يبدأ في خلقه من البساطة فإذ بالشيء يركّب ويعقد وينمو نموًّا مذهلاً عجيبًا؛ أُلقي بذرة في الأرض تخرج شجرة، ومن الحيوان المنوي المهين يخرج إنسان له عقل وله وجدان.. شيء يذهل! ويفكّر الخلق فيركّبون

(١) سبق تخريجه، ص: ٣٨.

ويتراكبون فيخرجون في النهاية جهاز إرسال يتلقىٰ موجات قد خلقها الله.. البسائط الربانية عجيبة!

إيمانك بالوحي يجعلك إنسانًا حضاريًّا سواء كنت عالمًا أو متعلمًا، سواء أكنت قارئًا أم جاهلاً، يُجري الله الحكمة علىٰ لسانك من تلك البسائط الإلهية؛ لأنك آمنت بما أراد أن تؤمن به وصدّقت فعرفت الحقيقة علىٰ وجهها..؛ فأنت بذلك إنسان وأنت بذلك رباني وأنت بذلك عبدٌ لله.

أيها المسلمون.. لم يكن النبي ﷺ بدعًا من الرسل، ولم يكن النبي ﷺ إلا واحدًا في مسيرة أولئك الأكرمين من الأنبياء والمرسلين ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

أكرم الله النبي ﷺ بتلك الوسائل الثلاثة في الوحي، فكلّمه من وراء حجاب ليلة المعراج ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴾ [النجم: ١-١٦] هذا تصوير يهز المشاعر ويربي الناس علىٰ بداية الطريق.. علىٰ الإيمان بالوحي، فالوحي هو الأساس.

نحن لا نقف من الآخرين مواقفنا ولا نجادلهم مجادلتنا لدنيا نتوخّاها ولا لمصلحة نحصلها، بل لأننا نريد أن نلقىٰ الله ﷻ وهو عنا راض.. نريد أن ندخل جنة ربنا.. نريد أن يعفو عنا وأن يشملنا برحمة منه.. لا نريد دنياهم التي يريدون أن نقاتلهم عليها إنما نريد أن نهديهم إلىٰ أقوم طريق، وأن ننبههم إلىٰ ذلك الوحي الذي لا نؤمن به إلا بالإيمان بالله مُنزل الكتاب، وإلا بالإيمان بالنبي المنزَّل عليه الكتاب، وإلا بالكتاب الذي هو الوحي، فالقضية هي هذه.. أدركها شيخ الإسلام مصطفىٰ صبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فألّف كتابًا ناصعًا كبيرًا وسماه: (موقف العقل والعلم والعالم من دين رب العالمين وعباده المرسلين) وجاء بهم علىٰ المحكّ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فهل يستجيب البشر؟

هذه هي القضية..؛ ابدءوا.. البِدارَ البِدارَ...! علموا أولادكم حب رسول الله ﷺ.. علموهم أن ذلك الإنسان الكامل كان محل نظر رضا الله، وأنه كان يوحي إليه ربه بما يريد، وأن الله قد ربّاه فأصبح عبدًا لربه، وأن الله قد قَبِله عنده، وأن الله جعله صادقًا أمينًا لم يكذب في كلام الناس قط تهيئةً لتبليغ الوحي عن رب العالمين إلىٰ عباده وإلىٰ العالمين.

الوحي درس من الدروس.. راجع نفسك أيها المؤمن فيه، وثبّته في قلبك، وجدد إيمانك به، واجعله منطلقًا عندك لتقويم ما حولك عسىٰ الله أن يعلمنا السباحة في بحر الظلمات الذي ابتلينا به.. عسىٰ الله أن ينقذنا وأن يخرجنا منها علىٰ خير حتىٰ نلقىٰ الله ﷻ وهو عنا راضٍ.. عسىٰ الله ﷻ أن يهدي أقوامنا إلىٰ أقوم طريق، وأن يعيد الإيمان إلىٰ قلوب كثير من أولئك الذين تشكّكوا وضلوا كالخراف الضالة.. وادعوا ربكم...

الحمد لله.. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فيا عباد الله إن الله ﷻ منّ علينا بذلك النبي الكريم.. منّ علينا بأن هدانا إلى الإسلام.. منّ علينا أن أنقذنا من ضلالة الشرك.. وكثير من الناس في العالم لا تعرف حقيقة الإسلام لكثرة ما شوّهه أعداؤه، وكثير منهم لمّا عرفوه آمنوا وأسلموا...، فهذا كنز بين أيديكم فلتبدَأوا به.

ابدَأوا في هذا الطريق المنير.. والله وضعنا فيه من غير حول منّا ولا قوة؛ ولم يخرجنا مشركين ولا ملحدين... إنما منّ علينا بالحنيفية السمحاء.. فطرة الله التي فطر الناس عليها.. بالإسلام..؛ فكان أعظم نعمة يمُنّها علينا، ونِعَم ربنا لا تنتهي ﷻ.. اشكروا ربكم.. احمدوه.. اسجدوا له بالليل والنهار.. قولوا له: الحمد لك يا ربنا أن أنقذتنا من الضلالة.. ادعوه وادعوا للآخرين الذين ضلوا الطريق فالدعاء يستجيب له ربنا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]...

اللهم اغفر لنا ذنوبنا....

الْعَرَبِيَّةُ مِفْتَاحُ الْكَنْزِ..!

من أفكار الخطبة:

١- كيف نقرأ القرآن؟ تأملات في سورة يوسف والقصص القرآني.

٢- القدح في اللغة العربية قدح في الأداة التي نفهم بها القرآن.

٣- ما بال أقوام تعلموا العربية وأتقنوها ثم قاموا ينهون عنه وينأون عنه!

٤- أمَّة أمِّية يحفظون ما يسمعون، ويضبطون ولا يكتبون؛ فقرأوا وكتبوا وأشهدوا؛ بتوفيق الله ووعده بحفظ العهد الخاتم والمعجزة الخالدة.

٥- لمَ جعله الله ﷻ قرآنا عربيًّا... أأعجمي وعربي!

٦- قرآنٌ كريم عربي مبين كأنما أنزل الآن، فيه سر عجيب يهدي إلى الرشد.

٧- أحبُّوا كتاب ربكم، وارجعوا إليه، وعلموا أنفسكم وأولادكم العربية واعتزوا بها.

الْعَرَبِيَّةُ مِفْتَاحُ الْكَنْزِ..!

فالذي بيننا وبينهم الوحي الذي أنزله الله من السماء علىٰ قلب رسوله المصطفىٰ ونبيه المجتبىٰ ﷺ ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر: ١٥] الذي بيننا وبينهم هذا الكتاب الذي آمنا به وجعلوه وراءهم ظهريًّا.. الذي بيننا وبينهم ما يوصل إلىٰ فهم هذا الوحي الشريف، وإلىٰ الامتثال بأوامره ونواهيه، وإلىٰ طلب الهداية منه، يقول ربنا سبحانه وتعالىٰ:

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ١-٤].... ويأخذ يقص علينا قصة يوسف..

كان علماؤنا يجلسون في الأزهر الشريف، يدرّسون للقضاة والمحامين عن حقوق الناس وأهل العدالة- سورة يوسف؛ لأنها قد اشتملت علىٰ كل إجراءات القضاء وإقامة العدل والحكم بين الناس، علىٰ جميع المستويات: التشريعي والتنفيذي والقضائي، علىٰ جميع المراحل؛ من الشهادة والدعوة، والادعاء، والسماع، كانوا يدرسون سورة يوسف لبيان ما يكتنف النفس البشرية، وأن النفس البشرية غابةٌ متشابكة يصدر عنها الخير والشر، يصدر عنها الحسن والقبيح

وأن «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[1] وأن هذه الدنيا ليست مثالاً، إنما هي واقع مر ينبغي أن يُغَيَّر وأن يُقاوم وأن تقاوم فيه الشهوات.. يُدَرِّسون ويَدْرُسون من كلام الله ﷻ ما يأخذون منه مبادئ لسير العدالة بين الناس، تُختَمُ السورة ببيان أثر القصص القرآني، يقول ربنا ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ أولو الألباب هم المفكرون المتعقلون، الذين يتدبرون القرآن، ولا يخرون على آيات ربهم صمًا وعميانًا، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فلخص الله ﷻ أهداف القصص القرآني ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢] الله ﷻ أنزل القصص الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]؛ وهذا القصص الحق الذي أنزله الله ﷻ في الكتاب إنما يُفهم بلغة العرب.

فالقدح الذي نراه قد كتُب في المجلات السيارة وفي المؤتمرات المشبوهة وفي الاجتماعات الخائبة.. القدح في اللغة العربية قدح في الأداة التي نفهم بها القرآن، الذي سوف يكون تصديقًا لما بين يديه من الكتب السابقة ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.. كل شيء يهم الإنسان في حياته وسعيه إلى الله، في حياته ومماته وحقيقة الكون أن هناك معادًا سنعود فيه إلى ربنا ﷻ للحساب، ونحن نريد أن نكون في رضا الله إلى الجنة، نعوذ بك من سخطك

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: غريب: ٦٥٩/٤ برقم (٢٤٩٩)، والحاكم وصححه: ٢٧٢/٤ برقم (٧٦١٧).

والنار، ﴿وَهُدًى﴾ لأن بعده هو الضلال، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأن بعده هو العذاب.. عذاب نراه في الدنيا من التخبط والمذلة والمهانة بسبب البعد عن كتاب الله ومبادئه وأوامره وسننه، وعذاب في الآخرة ينتظر الفاسقين.. ينتظر القوم الذين لا يؤمنون.. ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أما القوم الذين لا يؤمنون فهو عليهم عمىً.. أما القوم الذين لا يتقون فهم يطلبون أن يسدوا الطريق عن فهمه وأن ينحوه جانبًا.

عباد الله.. يقول ربنا ﷻ في آياتٍ وكأنها نزلت في عصرنا ترد على أولئك المنافقين، وعلى هؤلاء الجاهلين إذا كانوا لا يعلمون وهو احتمال ضئيل، بل إنني أراهم يعلمون ويحيدون عن الحق، وأن ذلك يصدر عن متخصصين عاشوا حياتهم في اللغة العربية، وعرفوا أسرارها وعلموا أنها تؤدي إلى فهم كتاب الله، والوقوف على كثير من أسرار إعجازه..! إنهم لم يريدوا كتاب الله.. لا يريدونه حتى ولو كانوا يؤمنون بالله العلي العظيم، إلا أنهم يجحدون الوحي، بل يؤمنون أن خالق الكون قد خلقنا وتركنا، سبحان الله! وهل خلقنا عبثا.. أم تركنا سدىً..

يقول ربنا ﷻ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ١-٥].

إن هذا الذي يعادي الوحي يريد عدم التكليف، لا يريد الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والذكر، والدعاء، لا يريد أن يلتزم بكل هذه القيود التي يراها شاقة على نفسه، ولا يريد أن يمنع نفسه عن الشهوات.. عن الزنا والكذب والنفاق..؛ فماذا يفعل حتى يُظْهِر نفسه بكِبْرِه أنه خير الناس؟!.. ماذا يفعل؟! ينكر الوحي والعياذ بالله!! ويقول ربنا جل في علاه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ

لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥] يضطر أن ينكر وحي الله من أجل كبره الذي في الصدور، ولا غرابة فقد عرض الله الأمر على إبليس أنِ اسجُد مع الملائكة ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] لما تَمَكَّنَ الكبر من قلبه أبىٰ.. ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٥-٩] يؤمنون بالله ويكفرون بالوحي، وكأن الآيات نزلت في هؤلاء المستمعين الذين يريدون أن يقدحوا في العربية، وربنا ينبهنا أنه أنزل الكتاب بالعربية لعلنا نعقل.. أنزل الكتاب بالعربية على أقوام من الأميين فدربت ذاكرتهم على الحفظ على مر العصور بصورة لم يتدرب عليها أقوام آخرون؛ كانت الفراعنة تكتب، والرومان يكتبون، وأهل الهند يكتبون، إلا العرب كانوا لا يقرأون ولا يكتبون بل كانوا يحفظون، أنزل الله الكتاب على أقوام يحفظونه في صدورهم ويتهيأون لهذا أتم التهيؤ.

من قرون بعيدة -وكما يقول علماء الوراثة الآن- وهذه الوراثيات تزداد كل حين.. جيلا بعد جيل.. فأتى الوحي إلى أقوام يحفظون ما يسمعون، ويضبطون من غير كتابة، إلا أنهم كتبوا أيضًا وأشهدوا على ما كتبوا حتى تمَّ الحفظ الذي وعد الله به عباده للكتاب الخاتم؛ إذا كان هناك عهد قديم وعهد جديد فهناك عهد خاتم، والعهد الخاتم هو القرآن الكريم، هم لا يعرفون هذا المعنى: أن الرسل تسير في موكب واحد.. .

ويتساءل أقوام: لِمَ اختار الله العربية؟!! وإنها لغةُ الإنسان بَلْهَ الإنسان الكامل محمد ﷺ.. لغة فيها من المميزات ما لا يوجد في لغة سواها..

لا تستطيع لغة أن تبقىٰ علىٰ هذه المرونة والسعة إلىٰ يوم الدين بدلالات ألفاظها وبمواطن الكلمات في الجملة المفيدة سوىٰ العربية، ونكتشف هذا عندما نريد أن ننقل معاني القرآن الكريم إلىٰ لغة أخرىٰ من لغات البشر..

ترجمت تلك المعاني إلىٰ أكثر من مائة وثلاثين لغة.. كل هذه الترجمات عبر العصور من المؤمنين ومن الكافرين لم توفِّ القرآن حقه، ولم تنقل إلا وجهة نظر الكاتب والمترجم؛ لسعة العربية، ودقة معناها، وجمال جرسها، ومردود الكلمة العربية علىٰ ذهن السامع الذي يعرف اللغة وهو مردود آخر غير كل لغات العالم.. فما ظنك والقرآن كلام الله رب العالمين.

وها هو.. تكاتفت اللجان علىٰ أن تترجم معانيه بحيث أن تنقل النص العربي إلىٰ أي لغة كانت سواء استعملت من ألفاظ تلك اللغة المنقول إليها قديمها وحديثها، فلا يمكن أن يُنْقَلَ القرآن كما هو في العربية.. أليس هذا دليلاً علىٰ حكمة الله أن ينزله قرآنًا عربيًا؟ وألا يكفي هذا عند قوم يؤمنون يريدون أن يستفيدوا من الكتاب وأن يستهدوا بهديه أن يهتموا بلغة العرب تدريسًا وفهمًا.. تعليمًا ونشرًا.. ألا يكفي هذا؟!!

فيا قومِ..! إذا كان هذا سمت العربية في ذاتها.. فكيف بالنص القرآني في منطقه ورسمه، ولفظه ونظمه، وحلاوته ونغمه، وفعله في النفوس وأثره، وأوجه تحمله وثرائه، وحرفه وشكله، وتركيبه وبسطه، ومفاتحه وخواتمه، ومداخله ومخارجه.. وكيف بظاهره وباطنه.. وحدِّه ومطلعه[1]....! لا والله «**وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ**»[2]...

---

(١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُنْزِلَ الْقُرآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ**». صحيح ابن حبان: ٢٧٦/١ برقم (٧٥)، وفي مشكاة المصابيح: ٢٣٨/١، ٤١/٢: « **أُنْزِلَ الْقُرآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مطَّلَع**».

(٢) سبق تخريجه ص١٤.

فسبحان من كان هذا كلامه وتعالىٰ علوًا كبيرًا!!! إنها والله لعربية أعجزت فطاحل العرب، ومن مدَّ عنقه من العجم فدخلوا في دين الله أفواجًا -أو خذلوا أنفسهم وخذَّلوا- عربية أعجزت معشر الإنس والجن معًا جميعًا.. ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].. قرآنٌ مجيد ولفظه عربي مبين.. وفيه سر عجيب يهدي إلىٰ الرشد.. لا يزال غضًّا طريًا كأنما أنزل الآن.. إنه الوحي.. إنه كلام الله رب العالمين..

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

إنه الكنز....! والعربية مفتاحُ الكنز.. معنا كنز أيها المسلمون تنبهوا إلىٰ أن أحدهم -وأحدهم هذه تعني جماعة كثيرة من الناس المنافقين- إلىٰ أن أحدهم يريد أن يلقي بصندوق الكنز في البحر حتىٰ نضل أكثر من ضلالنا، وتتعمىٰ علينا الأمور أكثر مما قد عُمِّيَتْ علينا..!

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، -وكان يُقال للوليد «ريحانة قريش»- فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ. قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ.

قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ!!؟ «فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ

مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَىٰ وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ فَاتِحَتَهُ»(١).

قَالَ: لَا يَرْضَىٰ عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّىٰ تَقُولَ فِيهِ!.

قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّىٰ أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ -وَقَدَّر فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر- قَالَ: «هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]»(٢).

ادعوا ربكم.. فلعلها أن تكون ساعة الإجابة..

أما بعد.. فاحذوروا أبا جهل أيها المسلمون!! احذروا أن تبيعوا دينكم ودنياكم بدنيا غيركم.. وتطلبوا رضا غيره بسخطه ﷻ.. ارجعوا إلىٰ كتاب الله في شهر كتاب الله، واقرأوا القرآن من وعي ومن غير وعي حتىٰ يفتح الله ﷻ عليك فهمه، وعَلِّمَ نفسك وأولادك العربية واستشرف نفحات الله وحبه.. أحبَّ كتاب الله.. أحب كتاب الله حبًا تلقىٰ به وجه الله يوم القيامة...

وهاهي العشر الأواخر من رمضان تدخل علينا وهي أوقات عبادة، وذكر، وتلاوة، وقيام، ونتحرىٰ في وترها -أو في كلها- ليلة القدر.. هذه الأيام المباركة نفحات فتعرضوا لنفحات الله عسىٰ أن يصيبنا منها ما يرضي الله ﷻ عنَّا.

---

(١) وتَفَتَّح بما عنده من مال أَو أَدب: تطاول به، وهي الفُتْحة؛ تقول: ما هذه الفُتْحَة التي أَظهرتها وتَفَتَّحْت بها علينا؟ فالمقصود أن القرآن يعجز هذا المتطاول المفلّق في عربيته فيحطمه فلا يملك إلا التسليم له.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي: ٢/٥٥٠ برقم (٣٨٧٢).

إِذَا دَخَلَ النُّورُ.. خَرَجَ الزُّورُ

من أفكار الخطبة:

١- جاء الوحي ليخرج الإنسان من دائرة الظلمات إلى دائرة النور.

٢- الله هو النور؛ هو ﷻ أظهر من الظهور وأدل من الدليل.. والوحي نور، والرسول نور، والذي يضيء الليل الأكحل.. نور.

٣- المؤمن متنور منوِّر يحب النور في عقله وقلبه وفي طريقه يمشي به في الناس.

٤- تحديد دائرة النور ودائرة الظلام إنما هو بإذن الرحمن ﷻ لا بفكر أحد من البشر.

٥- أمارات المحجوبين في دائرة الظلمات.. ومبتغاهم.. ودعاواهم.. وسعيهم المظلم.

٦- القضية بين أهل النور وأهل الظلام ليست شخصية، إنما هي قضية بينهم وبين الله.

٧- بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.. فأين تذهبون.. وأنى تبصرون..!

إذا دخل النُّورُ.. خرجَ الزُّورُ

إن الله ﷻ قد أنزل الكتاب وأوحىٰ إلىٰ رسله وإلىٰ خاتمهم ﷺ بالوحي، ونتيجة الوحي وفائدته أن يخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور.

الظلمات طريق الشهوات.. طريق الاعوجاج عن سبيل الله وصراطه، والله ﷻ يبين أن أصل الإنسان في خلقته ضعيفًا؛ وذلك أنه يميل إلىٰ الشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

جاء الوحي ليخرج الناس من تلك الظلمات وهذا الاعوجاج.. إلىٰ النور.

والنور هو الله ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور: ٣٥]، والنور هو الوحي، والنور هو الرسول ﷺ، والنور هو الضياء الذي خلقه الله لنستنير به الطريق، حتىٰ في الليل الأكحل ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

النور هو الذي دعا إليه الله ﷻ ورسوله المؤمنينَ؛ فمن دخل دائرة النور فقد اهتدىٰ، ومن ضل في دائرة الظلمات فقد غوىٰ ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]، فالذي يحدد دائرة النور هو الله، والمؤمن المسلم يحب النور لأنه اسم من أسمائه تعالىٰ وصفة من صفاته، وهو صفة من صفات الوحي ومن آثاره، وهو صفة من صفات النبي ﷺ وهو صفة من صفات الكتاب.

المؤمن يحب النور فهو متنور ومنوِّر.. المؤمن يحب النور ويعيش فيه ولا يستطيع أن يعيش في الظلام؛ ومن أجل ذلك حرم الله علينا الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والبهتان والفساد في الأرض؛ حرم الله علينا كل ذلك لأن هذه ظلمات بعضها فوق بعض.

والمؤمن يحب بطبعه وعقيدته وقلبه وروحِه النورَ، يريد نورًا في عقله يدرك به الحقيقة علىٰ ما هي عليه.. ويتلذذ بالنور في قلبه بذكر الله مطمئنًا له.. ويسعىٰ في نور ويريد أن يغرق فيه.. في النور وليس في الظلام..! وإذا دخل النور خرج الزور...!

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ علة الإنزال وسببه أن يخرج الناس من دائرة الظلام إلىٰ دائرة النور ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يعلم الله ﷻ أن سيقوم المنافقون في الشرق والغرب وأتباعهم وأبناؤهم فيتهمون المؤمنين (بالضلالية) ويدَّعون -للفساد في الأرض والتخريف والتحريف- النورَ! إنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقلبون الحقائق ويلبسون الحق بالباطل وهذا ديدنهم.. يعلم ربنا ﷻ -وهو الذي خلقهم- أن هذه الدعاوي لا تساوي شيئًا عند الإنسان المؤمن السوي، وأن تحديد دائرة النور وتحديد دائرة الظلام إنما هو بإذن الرحمن ﷻ لا بإذن البشر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] (عزيز) كلمة فيها قوة، ودلالتها فيها شدة.. (عزيز) كلمة فيها تفرُّد.. كلمة فيها توحيد.. كلمة فيها

استقلال لتحديد دوائر النور والظلام، إن الذي يحدد دائرة النور ويحدد دائرة الظلام هو العَزيز الذي لا مثيل له لا في قدرته ولا في خلقه.. لا في حكمته ولا في إبداعه؛ فهو سبحانه وتعالى الذي استوفى صفات الكمال كلها.. استوفاها سبحانه وتعالى وهو حقيق بالحمد منا.. من أجل أنه متفرد في عليائه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وليس غافلاً ولا ناسيًا ولا ساهيًا ولا غائبًا، هو سبحانه وتعالى أظهر من الظهور، وأولى بالإيمان من كل شيء محسوس في عالم المادة.. هو لا يحتاج إلى دليل يقام عليه فهو أظهر من الدليل ومن المستدِل ومن المستدَل عليه..؛ هو الله سبحانه وتعالى رب العالمين فهو يستحق منا الحمد؛ فهو حميد.. هو سبحانه وتعالى محمود بألسنتنا وبقلوبنا وبأنفسنا وأرواحنا.. الله عزيز حميد، والكتاب يرشدنا ويدلنا إلى صراط العزيز الحميد.

يسأل المنافقون: ومن العزيز الحميد! فيجيبهم ربنا سبحانه: الله.. ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] كلام فيه مفاصلة.. فيه شدة وقوة.. فيه قرع لهم لعلهم يرجعون.. كلام لا يخرج من الند إلى نده، ولا من المثل إلى مثله، إنما يخرج من رب العالمين، لعبادٍ يقدر سبحانه وتعالى على إفنائهم بقوله [كن] فيكون.. كلام تهتز له القلوب إن كانت مؤمنة.. كلام تهفو إليه الأرواح لو أسلمت لله رب العالمين أنفسَها وذاتها وكينونتها.. كلام ليس فيه ديمقراطية ولا نقاش.. كلام ليس فيه أخذ وردّ.. إنما هو كلام رب العالمين لعباده المؤمنين.. إذا لم يهتد أولئك بإذن الله فليثبت المؤمن على إيمانه، وليتسلَّ بكلام ربه وليَسِرْ، وليكن في هذه الحياة الدنيا متوكلاً على الله رب العالمين لا يخاف إلا هو سبحانه وتعالى.

﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢] مَن هؤلاء الكفار؟ ما علاماتهم

حتىٰ يحذرها المؤمن.. ما علاماتهم حتىٰ يعرفوا أنفسهم، وأن الله قد وصفهم بما وصفهم به، ولا يصفهم أحد من المسلمين ادعىٰ عليهم بالباطل لأنه لا يفهم أو أنه يتعصب أو أنه يتطرف أو أنه يصنع شيئًا ليس علىٰ هواه.. مَن هؤلاء الذين يغضب الله عليهم ولا يرضىٰ عنهم ويقرِّعُهُم هذا التقريع؟

يقول الله ﷻ في إثرها: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٣] وأنتم تعرفون أن (الألف والسين والتاء) تدخل للطلب.. يطلبون الدنيا ويفنون في طلبها لا من أجل قوة ينشرون بها الدعوة إلىٰ الله كما أمر الله ﷻ ورسوله، ولا من أجل معانيَ وأخلاقٍ يريدون هداية البشرية إليها، ولا من أجل حقيقة يريدون أن يوجهوا الخلق إلىٰ الله فيها، بل إنهم يستحبون الدنيا للشهوات التي نهانا الله عنها، ولثقل التكليف عليهم، وبإضلال الله قبل ذلك وبعد ذلك لهم، فالله لا يأذن لمن هذه صفتهم أن يدخلوا دائرة النور ولا بأن يتمتعوا بآثار الوحي.

﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ هذا كلام رب العالمين ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ٣] فهل استحب هؤلاء الدنيا وتركوا المؤمنين في حالهم وأخذوا بحرية العقيدة والمعتقد..؟! من أراد العاجلة فليسع لها ومن أراد الآخرة فليسع لها، وهناك حرية في دخول الجنة وحرية في دخول النار! فإذا أراد أحد من الناس أن يدخل النار حزِنًا عليه، ولكن لا نحمله قهرًا علىٰ أن يدخل الجنة.. فما بالهم لا يتركونا ندخل جنة ربنا علىٰ هوانًا ويريدون أن يحملونا قهرًا علىٰ دخول النار.. تركناهم يدخلون النار لاختيارهم فلم لا يتركونا ندخل الجنة باختيارنا؟! ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لا يقفون فقط في جانب اختيار طريق النار الأعوج، بل إنهم أيضًا يسدون طريق الجنة علىٰ المؤمنين، والله يأبىٰ ذلك ورسوله والمؤمنون.

﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ انقلبت الفطرة، وأصبح المنكر عندهم معروفًا وأصبح المعروف عندهم منكرًا؛ فسدُّوا طريق الجنة علىٰ أصحابها وفتحوا طريق النار للناس، ثم يهرفون بما لا يعرفون ويدعون إلىٰ الحرية والإبداع.. أي حرية؟!! لو كانت هناك ثَمّ حرية لتركتم أهل الجنة يدخلونها برغبتهم واختيارهم، وساعتها سوف يقول أهل الجنة: اتركوهم وشأنهم ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] ولكنهم لم يتركوا لنا حتىٰ حق الاختيار في أن ندخل الجنة، بل هؤلاء المنافقون يريدونها عوجًا.. أهذا كلامنا أم هو كلام رب العالمين لعباده المرسلين يوجهون به المؤمنين؟!!

هو كلام رب العالمين لعباده المرسلين، فيقول ربنا ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ويذكر ربنا ﷻ بعد ذلك الحقيقة المطلقة ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]....

هذه آيات بينات من كتاب ربنا.. تدبروها وأنتم تسمعون الإعلام اليوميّ، وأنتم تقرأون الصحافة يومًا بعد يوم، وأنتم ترون الأحداث التي قد امتلأنا بها بالداخل والخارج، وانظر أين أنت أيها المؤمن في خريطة الإسلام، وادع الله ﷻ أن يثبت فؤادك علىٰ الحق إلىٰ أن تلقاه وأن يحيينا مسلمين، معتزين بإسلامنا، وأن يجعلنا رحمة للعالمين بميراث سيد المرسلين ﷺ، وأن يجعلنا هداية للناس وألا يجعلنا فتنة للقوم الكافرين ولا فتنة للقوم المنافقين...

ادعوا ربكم..

أما بعد..؛ فقد سألني سائل: هؤلاء المنافقون هل هم مؤمنون في داخلهم، أو أنهم يتكلمون عن الإسلام مرة بالخير، ومرة وكأنهم يخافونه، ومرة وكأنهم يستهزئون به...؛ فما حال قلوبهم.. أتعرف؟!

قلت: أنا لا أعرف إنما ربنا يعلم كل شيء.. ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، والله ﷻ قد سلانا بذلك القرآن العظيم، الذي أنزله تسلية لقلب رسوله الكريم، يقول ربنا ﷻ وهو يكشف عوارهم ويتكلم عن مكنون أفئدتهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ القضية ليست قضية شخصية.. هم لا يكذبونك.. أنت تحزن من موقفهم.. من ضلالهم.. من أنهم يسعون في الطريق الأعوج إلى النار؛ لا تحزن ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ولا تأس عليهم ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]...

القضية ليست هي بينهم وبيننا ولا حتى بينهم وبين سيد البشر ﷺ، القضية بينهم وبين الله ﷻ.. هم يكرهون التكليف ويستحبون الشهوات ويريدونها عوجًا، ولا يؤمنون بوجوده ولا بتدخله في حياتهم ولا بأنه يرسم لهم الطريق القويم؛ لأن هذا سيُقَلِّل من سعيهم وطموحهم للجاه والمال والشهوات والمُتَع وهم لا يريدون ذلك.. القضية بينهم وبين الله ﷻ.

ولكننا إذا ما خُيِّرنا بين حزب الشيطان وحزب الله.. فليعلموا أننا مع حزب الله ﷻ، وإذا ما خُيِّرنا بين فريق الرحمن وأوليائه وفريق الشيطان وأوليائه فإننا لن نبيع دنيانا بآخرتنا.. ودنيانا بديننا.. وتوجهنا إلى الله بمتعة غيرنا..! لن نفعل ذلك فليعلموا هذا..؛ فإنهم في بعض الأحيان -من ضعف المسلمين- يتشككون فيه؛ فتخرج نابتتهم تحاول أن تضل الناس بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

أيها المسلم.. اعتز بإسلامك وتنعم به.. تنعم بإسلامك الذي قد منَّه الله لك، وأذِن الله فيه لك.. عِش فيه وعش به، وكن من المتقين مع الصادقين.

اللهم ثبت قلوبنا علىٰ الإيمان.. حبب لنا الإيمان وزينه في قلوبنا.. وكره لنا الكفر والفسوق والعصيان.... واعف عنا واغفر لنا وارحمنا.. واجعلنا رحمة للعالمين..

الإِيمَانُ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

من أفكار الخطبة:

١- لا يكون المرء مؤمنًا إلا إذا آمن بالغيب وبالشهادة معا.

٢- إيمانك بالغيب أول أركان التقوى تلك التي تؤهلك لتلقي أنوار الهدى من الله.

٣- المؤمن يشهد بقلبه ما لا يراه ببصره، وله من ظاهره شاهد على ذلك؛ إنه يؤمن بالغيب.. وغيب الغيب هو الله ﷻ.

٤- الغيب نؤمن به ولا نراه بأبصارنا، ولا ندركه بعقولنا المجردة، وإنما بشيء آخر فينا هو فوق الحواس الظاهرة، وفوق العقل المجرد..!

٥- إنه الإنسان المكرَّم حين يسمع فيعي ويبصر فيعتبر، ويشهد بفؤاده فيرتقي.. ويسعى في مراد الله ﷻ رب الأكوان، فيقيم البنيان.

٦- حبٌّ أساسه الرحمة العامة وآيته العطاء، ورهبةٌ لله وحده تملأ القلب، ومعرفة تؤهلك لتحمِّل الأمانة بالحق والميزان.. ذاك هو المدخل، وتلك هي دعوتنا ناصعة.

٧- اختلت هذه المعاني في أذهان الناس، وشاع الكفر والتدمير والفساد في الأرض، ولا منقذ من ذلك إلا الإسلام والمسلمون.

٨- جاءتني هذه المعاني... ونحن نصلي على الشهيد..!

٩- الإيمان بالغيب والشهادة: منهج حياة، وأداة تفسير، ومدخل سلوك.

الإيمانُ بِالْغَيبِ وَالشَّهادَةِ

تركنا رسول الله ﷺ وقد ملأ الأرض نورًا.. تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.. تركنا وقد أقر لنا في أنفسنا الإيمان بالغيب والإيمان بالشهادة، والمؤمن لا يكون مؤمنًا ولا يكون الله في قلبه وعقله ونفسه ووجدانه، ولا يؤثّر ذلك في فعله وسلوكه إلا إذا آمن بالغيب وآمن بالشهادة، ووصف الله نفسه بأنه عالم الغيب والشهادة.

أما الإيمان بالغيب فهو أول أركان التقوىٰ فإذا تحققت بها فأنت أهل لتلقي أنوار الهداية من الله ﷻ ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢-٣].. يؤمنون بالله الحق، وملائكته وأنها حق، وكتبه ورسله وأنها من عند الله، واليوم الآخر وأنه آت لا ريب فيه، وبالقدر خيره وشرّه وأنه لا يكون في الكون إلا ما أراد الله.. يؤمن بذلك إيمانا تخالط بشاشته القلب، وتصديقا لا يعتريه شك ولا ريب، وبغير هذا لا يكون مؤمنًا..

والغيب نؤمن به ولا نراه بأبصارنا، ولا ندركه بعقولنا المجردة، وإنما بشيء آخر فينا هو فوق الحواس الظاهرة، وفوق العقل..! هو غيب غير أن المؤمن يشهد أنه حق.. إنه يشهد بقلبه.. يشهد بفؤاده! وله من ظاهره شاهدٌ علىٰ ما في قلبه.. شاهدٌ يعلن بعبوديته لله وحده، وتصديقه وعده.. ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ

لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٦-٩].

إنه الإنسان حين يسمع فيعي، ويبصر فيعتبر، حين يشهد بفؤاده فيرتقي شاكرا لله رب العالمين ساعيا في مراد الله ورضوانه.. هذا هو الإنسان الذي كرَّمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا؛ فسجدت له ملائكة عرش الرحمن، وسخر الخالق ﷻ له الأكوان.. هناك يقوم هذا الإنسان الضعيف في خَلْقِه القوي بربِّه.. يقوم بالحق؛ وإذا قام هذا الإنسان فإنه يؤسس البنيان، ويقيمه راسخًا على تقوى من الله ورضوان.. بدءا من الكلمة وانتهاء بعمارة الأرض، فينفع الناس ولا يخسر الميزان فيفسد في الأرض، يقيم الشهادة لله الحق على هدى من الله..

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

فالله ﷻ قد أنزل إلينا القرآن خاتمًا للكتب يرشدنا كيف نُقيم هذه الشهادة بالحق بعبادة الله وعمارة الدنيا وتزكية النفس، والتصديق بالغيب والشهادة يجعل الإنسان المسلم قد أجاب عن كل الأسئلة التي لا إجابة عليها في ذهن البشر، والتصديق بالغيب والشهادة يجعل الإنسان المسلم في حالة توازن يعرف كيف يعبد ربه ويُعمّر كونه وكيف يزكي نفسه.

والمدخل إلى عبادة الله ﷻ.. وهو ﷻ غيب الغيب ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ربنا العظيم هو غيب الغيب، لم يُحط به أحد؛ لا نبي

مرسل ولا مَلَك مُقَرَّب، فالرب رب والعبد عبد وهناك فارق بين المخلوق والخالق، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢].

الإيمان بغيب الغيب برب العالمين يُخرج من قلبك ومن نفسك ومن روحك ومن كيانك كله- الشيطانَ، وإذا غاب الله عن الوجدان دخل الشيطان إليه، فكان هناك حزب الله وكان هناك حزب الشيطان، ولما أخبرنا الله عن قصة الشيطان في كتابه الكريم وجعلها من أوائل ما تجده وأنت تقرأ في قصة خلق آدم كان لذلك حكمة، وحكمتها أن تؤسس فكرك علىٰ طريقةٍ مستقيمة تؤمن بها بالغيب والشهادة معًا.

المدخل إلىٰ ذلك تلخّص في ثلاث: في الحب، وفي الرهبة، وفي المعرفة، وعسىٰ أن نتكلم عن كل مدخلٍ منها بعد ذلك بالتفصيل كيف ندخل بإيماننا بالغيب؟ وكيف نجعله يُفجّر المحبة في قلوبنا؟ فالحب هو الرحمة.. الرحمة العامة والخاصة.. آيته العطاء، والله ﷻ يحب المؤمنين، والله ﷻ يحب صنعته؛ وأرسل رسوله الخاتم ﷺ رحمة للعالمين، وتكلمنا قبل ذلك في لقاءاتنا عن حب الله لأشياء وبغضه لأشياء، وأن هذا هو الذي يرسم منهج المسلم في التقويم.. في الأخذ والرد.. في القبول وعدمه.

أما الرهبة فإنها تملأ القلوب وتقشعر منها الأبدان، ولكنها لا تكون إلا لله فيتحرر الإنسان.. ونحن ندعو الناس إلىٰ الحرية وغيرنا يدعون الناس إلىٰ التفلّت، ونحن ندعو الناس إلىٰ الحب وغيرنا يدعوهم إلىٰ القسوة، وندعو الناس إلىٰ الإيمان بالغيب وهم يدّعون أن الغيب خرافة، وندعو الناس إلىٰ أن يعيشوا في سنن الله التي خلقها في كتابه المنظور في هذا الكون، وأن يتدبروا كلامه المسطور في القرآن الذي أوحىٰ به إلىٰ النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ ﷺ،

ولأنهم قد أنكروا الغيب وأغلقوا علىٰ أنفسهم ينكرون الوحي فينكرون الأخذ بكتاب الله إلا علىٰ أنه نص أدبي! ويعيشون وقد ضيّقوا علىٰ أنفسهم الحياة الدنيا، ويسعون فيها ظانّين أنهم يحسنون وهم يفسدون، وأنهم يصلحون وهم يدمرون؛ فاختلت المعاني بيد البشر ولا منقذ لهم إلا الإسلام والمسلمون..

فاللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، واهدنا واهد بنا يا رب العالمين، وأزل الغشاوة من علىٰ عيوننا وعلىٰ قلوبنا، واجعلنا هداةً مهديين غير خزايا ولا مفتونين، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تجعلنا حجابًا بينك وبين خلقك.

أما المعرفة فتبدأ بمعرفة النفس، وهي عينها معرفة الله كما قال يحيي بن معاذ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ» فمن عرف نفسه بالافتقار والعجز والبداية والانتهاء والحدوث عرف ربه بأضدادها بأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه علىٰ كل شيء قدير وبكل شيء عليم وبكل شيء محيط.

من عرف نفسه وعرف أنه مخلوق أدرك أن الله هو الخالق ﷻ جل شأنه وعز في علاه.. من عرف نفسه فإن نور الله يدخل قلبه، ومن دخل نور الله قلبه خرج الشيطان منه، ومن كان كذلك كان مأمونًا علىٰ البشر.. مأمونًا علىٰ نفسه.. مأمونًا علىٰ هذا الكون الذي خلقنا الله فيه خلفاء، لا يستطيع -وهو يعلم أنه سوف يعود إليه سبحانه- أن يفسد، ولو أفسد لا يستمر في الفساد؛ يضيق صدره ولا ينطلق لسانه ويريد أن يتوب وأن يرجع إلىٰ الله وأن يستغفر عما قدمت يداه.

أما إذا عمي القلب عن الله سبحانه وتعالىٰ بأن أغلق الإنسان علىٰ نفسه الغيب، وصدّق بالشهادة ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] فإنه يكون مُدمّرًا لا مُعمّرا.. كافرًا لا عابدًا.. نجسًا لا زكيًّا.

الغيب والشهادة يقول فيها رسول الله ﷺ وهو يربط بينهما -وهو ينهىٰ الضارب إذا ضرب أخاه أن يتقي الوجه- يقول: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ**»(١)، وعند الطبراني عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»(٢).

فالله سميع وخلق الإنسان سميعًا.. والله بصير وخلق الإنسان بصيرًا.. والله له قدرة وإرادة وحياة وعلمٌ فوهبها للإنسان؛ فجمع الإنسان بين خطي الغيب والشهادة، وكذلك في التوراة: «إن الله قد خلق آدم علىٰ صورة الرحمن» وإذا ما صح الحديث فليس في ذلك شيء من التجسيد والتجسيم، فالمسلمون ينزّهون ربهم علىٰ أبدع ما يكون التنزيه، ولكن فيه وصل بين الغيب والشهادة.. فيه إقامة للإنسان خليفةً للرحمن.. فيه بداية للخير بأن نؤمن بالغيب والشهادة معًا.

هيا بنا نؤمن بالغيب والشهادة نرىٰ الحق (وهو اسم من أسمائه تعالىٰ)، ونرىٰ الخلق (وهو ما دون الله وما سواه)...؛ لنعلم كيف نتعامل فيما آمنا به من الحق، وكيف نتعامل فيما أقامنا الله فيه من الخلق.. وعلىٰ ذلك نلتقي في كل يومٍ من أيام الجُمَع، نذكر فيها ربنا وندعوه ﷻ أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يهدينا إلىٰ سواء السبيل.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٠١٦/٤ برقم (٢٦١٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ٤٣٠/١٢ برقم (١٣٥٨٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٢/٨: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف.

أما بعد...؛ جاءتني هذه الصورة من الإيمان بالغيب والشهادة، وأن ذلك من مفاتيح الفهم، ونحن نُصلي على الشهيد الذي ضحّى بنفسه من أجل أمته وناسه وأهله ووطنه، ومن أجل أن يضرب على يد العابثين الفاسقين؛ فإذ به ينتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب.. سلّى قلوبَنا شهادتُه لمّا عرفنا أنه شهيد، وأنه ذاهب إلى ربه، وأن الله يُبدله حياةً خيرًا من حياته ودارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله وصحبًا خيرًا من صحبه، وجزاءً خيرًا مما يقوم فيه في دنياه.. تسلت قلوبنا وعرفنا كيف نُسلي أباه وأمه وأصحابه وإخوانه ومن عرفوه ومن فُجعوا فيه، ومن لا يعرفوه وشاهدوا هذه الجريمة النكراء ونتائجها.

أما ذلك الذي آمن بالشهادة دون الغيب فماذا يقول؟ وماذا تعني عنده الحياة؟!! أما نحن الذين آمنّا فقد ردّدنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]

فماذا كان موقف الذي آمن بالشهادة دون الغيب؟ وماذا سيقول؟!!

فقدان مطلق ومحنة لا منحة فيها، ومصيبة لا أجر عليها، وعبث ما بعده عبث يُولّد الحقد والكراهية.. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ٩-١١].

عباد الله.. الإيمان بالغيب والشهادة يُولد التوكل على الله، لقد ضربنا على أيدي المسرفين في الأرض ولم نتركهم في فسادهم وطغيانهم إلا أننا عندما أصابتنا المصيبة قلنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]..

أيها المؤمنون؛ الإيمان بالغيب والشهادة منهج حياة، وأداة تفسير، ومدخل سلوك ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]... ادعوا ربكم.

السلسلة الثانية

القرآن الكريم

النَّبِيُّ الْمُقِيْمُ

من أفكار الخطبة:

١- إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزة سنة كونية قائمة لا تتبدل ولا تتحول.

٢- مهمة الرسل ضرورة مطلقة، ومطلب لا غنى عنه، ويسيرون في موكب واحد.

٣- معجزة النبي الخاتم محمد رسول الله ﷺ هي عين رسالته؛ وحيا كأنه أنزل الآن.

٤- أظهر دلائل إعجاز القرآن عدم قابليته للتحريف، أو المعارضة بمثله، ومصداقيته.

٥- الرسول باق حكمًا ما بقيت رسالته مؤيدة بمعجزته؛ فلا نسخ لنبوّته ولا لرسالته.

٦- آيات الله في أنفسنا، وفي الآفاق لا تزال شاهد صدق على الحق المنزل من ربنا.

٧- تبارك الله رب العالمين؛ فالكون خلقه، والكتاب أمره؛ له وحده ﷻ الخلق والأمر.

النَّبِيُّ الْمُقِيْمُ

إنها سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول، وقال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]، وهو القائل جل في علاه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]. وهذا الكتاب حل محل النبي المقيم، إلىٰ يوم الدين، ختم الله به الرسالة والنبوة وجعله آخر كلمة منه إلىٰ العالمين العرب والعجم، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

فمن سنن الله الكونية إرسال الرسل؛ لتبليغ مراده من خلقه، وما كان سيدنا محمد ﷺ بِدْعًا من الرسل.. ومن سننه جل في علاه تأييد الرسل بالمعجزات التي علىٰ مثلها يأتمنهم البشر ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾؛ فيؤمنون بهم ويتبعونهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولما أن اقتضت حكمة العزيز ﷻ أن يعلن بميثاقه الخاتم، وعهده الآخِر، وكلمته التامَّة إلىٰ العالمين؛ فقد أرسل خاتم أنبيائه ورسله، وأيده بمعجزة تبقىٰ بعد انتقاله، شاهدة علىٰ صدقه، وقائمة بما أرسل به، فكانت معجزته هي عين رسالته، في حياته وبعد مماته وإلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، كتابا وحيا هو كلام الله ﷻ فلا يلحقه تبديل، ولا يناله تحريف، محفوظ بحفظ الله نصًّا وبيانا، قام فينا مقام النبي ﷺ؛ فبه أُرسلَ، يتلىٰ علينا علىٰ مَرِّ الدهور وكَرِّ العصور غضًّا طريًّا

كما نزل؛ محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقد عصم الله ﷻ به من الضلال وكفى، والرسول باقٍ في أمته حكما ما بقيت رسالتُه، مؤيدةً بمعجزته ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

«لا إله إلا الله- محمدٌ رسول الله». فلا نبي بعده فينسخ نبوته، ولا رسالة بعد رسالته فتنسخ رسالته.

هو الوحي الذي به أيَّد الله رسوله، وبه أرسله، هو الذي قال فيه النبي الخاتم، محمد رسول الله ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وهو الذي بيننا وبين العالمين.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رُجُلاً قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، طُوبَىٰ لِمَنْ رَآكَ وَآمَنَ بِكَ، قَالَ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، ثُمَّ طُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي**».

وفي رواية أخرىٰ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، وَطُوبَىٰ سَبْعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه، البخاري: ١٩٠٥/٤ برقم (٤٦٩٦)، ومسلم: ١٣٤/١ برقم (٢٣٩).
(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: الرواية الأولىٰ: ٢١٣/١٦ برقم (٧٢٣٠)، والثانية: ٢١٥/١٦ برقم (٧٢٣٢).

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أمةٌ قائمة حاضرة ظاهرة باقية مُشاهَدةٌ بهذه الصفات من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة- لهي شاهد قائم على الناس بصدق الكتاب، وصدق الرسول، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾، وهذه الأمة بتصديقها بالكتب السابقة، وما أرسل الله من الرسل، لهي شهادة قائمة بصدق الكتاب فيما أخبر، والرسول فيما بلَّغ، ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤]، و«**لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»(١)، ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

سنة كونية لا تتبدل ولا تتحول، هي قضية الوحي الرباني الإلهي، الذي آمن به من آمن، وكفر به من كفر، والذي اتبعه من اتبعه، وضل عنه من ضل، والذي نتمسك به إلىٰ أن نلقىٰ ربنا يوم القيامة فيدخلنا الجنة بإذنه، والله ﷻ من وراء ذلك هو الوكيل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ ﴾ [فصلت: ٥٣] نعم، هذا كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦] وشهادة الله الحق لا تزول فهي قائمة بقيومته ﷻ. وهذا كتابٌ تنزيلُ الرحمنِ الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار ﷻ لا إله إلا هو.

يقول ربنا ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

(١) متفق عليه، البخاري: ٢٦٦٧/٦ برقم (٦٨٨١)، ومسلم: ١٥٢٤/٣ برقم (١٠٣٧).

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٥]، خطاب للعالمين في كل زمان ومكان كأنه نزل الآن، يقول فيه ربنا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ وهل رأى الذين كفروا في عصر النبوة شيئًا مما قاله الله بعد؟! وهل رأى أولئك شيئًا مما قد خلق الله به الخلق وحدثهم عن السموات والأرض؟!

يقول ربنا ﷻ: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١]، الله لم يُرِ أحدًا من الناس خلق السموات والأرض لكنه أمرنا أن نسير في الأرض فننظر كيف بدأ الخلق؛ فجعل في الأرض والسماوات آيات يصل الإنسان بالبحث والتقصي والتأمل والتفكر- أنها تدل على ربها، وكما قلنا من قبل مرارًا أن كل معلومة لا توصل إلى الله فليست بعلم في لغة القرآن، إنما العلم هو ما وصلك إلى ربك ومولاك، وإلا فهو مجموعة من المعلومات لظاهرٍ من الحياة الدنيا، العلم هو أن تستعمل ما عرفته للتوصل إلى ربك ﷻ، ما أشهد الله أحدًا منهم خلق السماوات والأرض وما حدث فيهما..

انظر إلى إعجاز القرآن، وإلى قبول ذلك النص كلَّ مستوى معرفي للبشر، عبر الزمان والمكان إلى يوم أن نلقى الله ﷻ، حتى خرج القرآن عن طوق البشر، وحتى خرجت هذه اللغة الرفيعة وذلك النظم المعجز عن حد معقول الناس، حتى يصل الناس عند التدبر والتأمل بعدل وإنصاف إلى أن يُبهتوا، وأن يُسَلِّموا، وأن يسجدوا لله رب العالمين خارِّين من قيام.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ﴾ تأتي في اللغة بمعانيَ عِدَّة؛ فتأتي بمعنى: أخبروني؛ أي: أخبروني أيها الكافرون عن علمكم بأن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما.. أتعلمون ذلك؟ فلما أن كان الكافرون لا يعلمون شعروا بأن هناك

من يتحدث، وأن هذا الذي يتحدث يعلم ولا يعلمون.. شعروا بالرهبة، شعروا بأن الأمر فوق طاقتهم وأنه ليس عندهم من المعلومات ما يستطيعون أن يحاكوا به هذه الذي جاء بها النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ من عند ربنا ﷻ، وقفوا في حالة عجز تام من هذا الكلام المعجِز.

تقدم البشر وَسَعَوْا لدراسة هذا الكون، ورأوا أن السموات والأرض كانتا سديمًا[1] عظيمًا فانفصلت الأرض عن مادة السماء، وكلما نزل شهب أو نيزك وحللوه في المعامل وجدوا العناصر التي فيه تشبه عناصر الأرض، سواء علىٰ ظهرها أو في باطنها، فعرفوا أن هذا الكون كُوِّن من مادة واحدة، وعرفوا أن الأرض لما انفصلت لم تنفصل انفصال إبانة[2]؛ لم تنفصل فتكون بنفسها شيئًا مختلفًا عما انفصلت عنه، بل إنها ما زالت متصلة بالكون وبمادته ولمادته؛ فهي تتصل بهذا الكون وبالسديم الأعظم اتصال الباب بالحجرة التي ركب عليها الباب؛ يفتح ويغلق ويفتح ويغلق فينفصل وينفتح من غير إبانة، أو استقلال، ويأتي هنا إعجاز ليس في مقدوره ﷺ ولا في مقدور أحد من البشر، بل إذا عرفنا أن الذي وضع اللغة هو الله وهو الذي علمها آدم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] ازداد الإعجاز! فالأمر ليس فقط من استعمال للغة من قبل محمد ﷺ، بل هو وضع للألفاظ بإزاء معانيها، وهذا الوضع إنما الذي وضعه هو الله قبل خلق محمد وقبل خلق آدم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ حتىٰ قال ابن عباس رضي الله عنهما: علَّمه -أي علم الله ﷻ آدم عليه السلام- القصعة والقصيعة. علَّمه أسماء كل شيء.. علمه اللغات فهي من وضع الله ﷻ..

﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠] (فتق): كل كلمة في لغة العرب تبدأ

---

(١) السديم هو الضباب الرقيق. لسان العرب- سدم.
(٢) الإبانة والمباينة والبينونة: المفارقة. لسان العرب- بين.

بالفاء والتاء: «فتـ» يكون معناها: الانفصال من غير إبانة؛ (فتح) انفتح الباب ولم ينفصل عن الحائط ولم ينفصل عن الحجرة التي قد انفتح عليها. (فتر) الماء الفاتر: هو الذي انفصلت عنه الحرارة ولم تنفصل انفصالاً تامًّا بل لم يزل فيه شيء من الحرارة، (فَتَش): أي أنه فتح الشيء لكنه لم يأخذ منه شيئًا فتَشه وفتَّشه، (فتق) فلو انفتق الثوب وانفتح فتحةً؛ فإنه لا يذهب كل جزء من الثوب في مكان وإلا يكون قد قُطِع؛ عبَّر الله ﷻ عن تلك الحالة التي قامت بين السماء والأرض بـ(الفتق)، ولم يعبر عنها بالانفصال ولا بالإبانة، ولا بالتخالف ولا بالاستقلال، ولا بأي كلمة أخرىٰ سوىٰ تلك الكلمة التي تنتمي إلىٰ قاعدة تعبر في مضمونها، وفي داخلها عما حدث بالفعل.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ وهذا الذي حدث اكتشفه ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ قريبًا فيما لا يتجاوز الخمسين سنة، وظهرت عندهم النظريات، ثم أُخِذت بالتجارب والتحليل في المعامل، إلىٰ أن صارت مُسَلَّمَة أن الحالة التي كانت بين السماوات والأرض إنما هي (الفتقُ)، ولو بحثنا في لغات العالم عن شبيه لتلك الكلمة، وعن عرقها، ودلالتها اللغوية، وأدائها العلمي ــ لما وجدنا، ولعرفنا أن هذا القرآن؛ ولأنه نزل بلغة العرب التي فيها تلك الخصائص اللغوية، التي تعبر تعبيرًا دقيقًا عن الحاصل والحادث في الحياة الدنيا كونًا وإنسانًا وتاريخًا ــ لعرفنا أنه من عند الباري ﷻ، وأن الكون قد صدر منه خلقًا، وأن هذا الكتاب قد صدر منه أمرًا؛ كلاهما قد صدر عن الله ﷻ ولا يمكن أن يكون بينهما تناقض ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، ولكن ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]..! بعضهم عندما وُوجِه بذلك قال: لا نعرف؛ لعل محمدًا كان عنده من المعلومات ما عندنا!! وأبىٰ إلا كفورًا..

وسيظل هذا الكتاب مُعجِزًا في كل كلمة منه ليبين لنا إعجازه، ولو وقفنا الآن مع باقي الآيات لطال بنا المقام ورسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ**[١] **مِنْ فِقْهِهِ؛ فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَأَقْصُرُوا الْخُطْبَةَ**»[٢]، ونحن نصلي بسور قصيرة فليناسبها مدة تلك الخطبة، ففيها تذكرة وموعظة، وفيها لفت للأنظار إلىٰ ذلك الكتاب الكريم الذي معك وإلىٰ مدىٰ إعجازه؛ ارفع رأسك به وكن عزيزًا به في العالمين، وبلغه لمن خلفك، وادْعُ الله أن يفتح عليك فتوح العارفين به؛ لتستخرج مغالِقه، وليجعله حجة لك لا حجة عليك، ويجعله ربيع قلبك وسلوان همك وحزنك، وأن تخرج به من هذه الدنيا سالمًا معافىٰ من الفتن والكدر، والله ينصرنا به علىٰ أعدائنا.. اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين.. وادعوا ربكم.

الحمد لله حمد الشاكرين له المعترفين بذنوبهم لديه.. المقصرين في حقه أيَّما تقصير، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله، الحبيب المجتبىٰ والنبي المصطفىٰ ﷺ، وعلىٰ آله وأصحابه، صلاة وسلامًا دائمين أبدين إلىٰ يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه، اللهم انفعنا به وببركته في الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.

أما بعد؛ فالقرآن كتاب هداية، كما فيه من لافتات تبين أنه الحق مهما رجعت إليه، إلا أنه ليس بكتاب تخصص في علم كيمياء، أو رياضيات،

(١) أي أَن ذلك مما يعرف به فِقْه الرجل. قال ابن الأَثير: وكلُّ شيء دَلَّ على شيء فهو مَئِنَّة له. وهي العلامة. لسان العرب- مأن.

(٢) أخرجه مسلم: ٥٩٤/٢ برقم (٨٦٩).

ولا فيزياء..؛ إنه كتاب عالَمٍ يهدي الإنسان إلىٰ أقوم طريق، ويبين للناس أن هذه الهداية الربانية منحة صمدانية، قد أنعم الله علينا بها من كل جانب ومن كل طريق، فاهتبلوها[1] وانتهزوها وكونوا بالقرآن ليل نهار.. تدبر القرآن ولا تهُذُّه كهذِّ الشعر[2]؛ لا تقرأه سريعًا.. قف عند كل حرف فيه، قف عند كل شكلة وحركة، وتدبر وتأمل؛ فإن الله ﷻ يفتح عليك، وينور قلبك به، ويهديك إلىٰ أقوم طريق.

(١) اهتبل: اغتنم، من الهُبالة وهي الغنيمة. لسان العرب.
(٢) ولا تهُذُّه: الهذُّ قطع الشيء، والقراءة بسرعة. القاموس المحيط.

الْكِتَابُ وَالْمِيزَانُ

من أفكار الخطبة:

١- الأضحية.. والميزان!

٢- ميزان الكون بيد الله وحده؛ له الخلق والأمر، وهو الحكم العدل.

٣- العقل مخلوق، وما لم يستمد من الخالق؛ فهو قاصر عن بلوغ الرشد.

٤- التمييز بين المصالح والمفاسد منوط بالشرع الشريف.

٥- إقامة الوزن بالقسط سر الصلاح والإصلاح، وخسرانه أصل الفساد والإفساد.

٦- إنما يُعرف الحق بالموازنة، وهي مهمة القائمين بالقسط من الناس.

٧- الكتاب حُكم للنظر، والميزان حِكمة للعمل، والحديد قدرة لتقنين العمل بالعدل.

٨- الكتاب يأمرنا والميزان يجعلنا قادرين على تطبيق ذلك الأمر وتلك الأوامر في الواقع..؛ فيكون الصلاح.

٩- الميزان الذي أنزله الله إنما هو لكل البشر، لا يختص بنبي، ولا يختص بولي، إنما هو الحكمة..هو القدرة على السير في طريق قويم بين الإفراط والتفريط.

١٠- الإسلام يبني الإنسان على التوازن، فيسري هذا التوازن على الكون.

الْكِتَابُ وَالْمِيزَانُ

هذه أيام مباركات وأشهر معلومات.. فرض فيهن الله ﷻ زيارة بيته الأعز الأكرم.. بيت الله الحرام، وذكَّر المسلمين في أركان الأرض كافة ممن لم يزوروا ولم يعتمروا، أو حدث لهم حادث أو حال ظرفهم أن يصلوا إلىٰ البيت الحرام، أمرهم بأن يعيشوا معيشة الحجاج وأن يهريقوا الدم، والله ﷻ ليس هناك عمل أحب إليه في ذلك اليوم – يوم عيد النحر– من أن يهراق الدم في سبيله وله، لوجهه خالصًا من دون الناس إعلانًا للتوحيد؛ فالذبح لا يكون إلا لله، والأضحية لا تكون إلا لله، والنذر بها لا يكون إلا لله؛ فالله ﷻ هو وحده الذي يستحق العبادة، فتُهدَىٰ الفقراءَ، وتُوزَّع للمساكين لوجه الله.. توزع ويوهب ثوابها لفلان وعلان.. نعم؛ إنما هي لوجه الله ﷻ.

نحرر الذبح لله خالصًا وعن أمره ﷻ؛ لأن الذبح في أصله مخالف لما عليه الكون؛ فالله ﷻ رحيم بخلقه، وهذا المذبوح من خلقه، ولم يبح لنا الله ﷻ أن نذبح الذبائح إلا من أجل منفعة قد وضعها فيها.

ويقول الشَّرِيد[1] رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا**

(١) هو الشريد بن سويد: صحابي مشهور، له صحبة حديثة في أهل الحجاز، سكن الطائف، والأكثر أنه الثقفي، ويقال إنه حضرمي حالف ثقيفا، وتزوج آمنة بنت أبي العاص بن أمية، ويقال: كان اسمه مالكا، فسمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقته الثقفيين في الجاهلية. الإصابة/ ٣٨٩٦، وفي مرقاة المفاتيح/ ٢٦١٦: قال الطيبي: كان اسمه مالكًا فقتل قتيلاً [من] قومه فهرب إلى مكة وأسلم فسماه النبي الشريد.

أما هذه المعاني التي خرجت عن سنن رسول الله ﷺ وعن سنته- غافلة.. متطرفة؛ فإن أصحابها يدعون إلىٰ خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها.. وليست من الرحمة في شيء أبدًا..!

ومن أجل ذلك فلا بد علينا أن نواجههم بحقائقهم، وأن نواجههم بالحقيقة التي أرادها الله ﷻ.. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣] لو جاوزنا بالعبرة من هذا النص العام أسباب النزول؛ فإن هذه الآية وهذه السورة بيننا وبينهم إلىٰ يوم الدين ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾..؛ الذين يلوموننا من أجل أننا نذبح الحيوان خالصًا لله رب العالمين وامتثالا لشرعته الغراء، لإطعام الفقراء، ولقيام الإنسان في الأرض- الذي بيننا وبينهم وبين هذا الشنآن أن ندعوهم بأنهم هم الأقطع من الخير، والأقطع عن الحق، وكلام ربنا ﷻ علىٰ ما هو عليه، من إرشاد البشر إلىٰ جادة الصواب والصراط المستقيم.

لا تهتم أيها المسلم بمثل هذا العدوان الذي يتلبس بصورة الرحمة والرأفة، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما، فيما يرويه الطبراني قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَىٰ صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: «**أَفَلَا قَبْلَ هَذَا؟!! أو يُرِيدُ أَنْ يُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ؟!!**»[1]، ورواه الحاكم[2] وفيه: «**أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوتَاتٍ، هَلاَّ أَحْدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا**» أمر بأن تُورىٰ السكين عن الذبيحة وتُخفىٰ، وأمر ﷺ أن يكون الذبح مما يريق الدماء؛ فهناك عرقان تسمىٰ الأوداج وهناك المريء وهناك

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ١١/٣٣٢ برقم (١١٩١٦)، و«المعجم الأوسط»: ٤/٥٣ برقم (٣٥٩٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/٤١: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه ووافقه الذهبي: ٤/٢٥٧ برقم (٧٥٦٣).

الحلقوم وكلها ينبغي أن تقطع لراحة الحيوان....؛ راحة في أوله وراحة في نهايته، وقصدٌ هو لله رب العالمين.

وذَبَحَ النبي ﷺ يَوْمَ الْعِيدِ كَبْشَيْنِ، ثُمَّ قَالَ حِينَ وَجَّهَهُمَا: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ**»(١).

فالذبح تَقَدَّمَتْهُ هذه الجمل المفيدة لقضية مخلوق سُلِّطَ علىٰ مخلوق بإذن الله، أمّا أن يسلط خارج إذن الله.. فلا، إنما هو من أجل الله وبإذن الله وبأمر الله؛ ومن هنا كان هذا العمل حسنًا؛ لأن الله قد رآه حسنًا، والاعتراض عليه كان قبيحًا؛ لأن الاعتراض علىٰ الله من عمل إبليس.

بعض الناس يطلب آداب الأضحية، وفيما روته أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ**»(٢)؛ تشبهًا بالمحرمين، وهذا الكلام الذي يتعلق بالأبدان من عدم أخذ المضحي من شعره أو أظفاره؛ تشبُّها بالمحرمين- يُشبع شيئا من أشواق المشتاقين إلىٰ ربهم، وإلىٰ الذهاب إلىٰ بيته الكريم، والمشتاق يعلم ما أقول، وإذا لم تكن أيها المسلم في دور الاشتياق إلىٰ الله ورسوله وزيارة تلك الأماكن التي هي محل نظر الله، وزيارة هذا القبر المعظم المفخم الذي قد ضم رسول الله ﷺ، ولم يكن قلبك في هذه الأيام يريد أن يطير بجناحين إلىٰ هناك؛ فعليك أن تتباكىٰ إذا لم تبكِ؛ وعليك أن تطلب الشوق إذا لم تكن مشتاقًا.

واعلم أن هذا الذي يقوله لنا رسول الله ﷺ إنما هو لتسكين الأشجان

---

(١) أخرجه أبو داود: ١٠٤/٢ برقم (٢٧٩٥)، والحاكم وصححه: ٩٣٦/١ برقم (١٧١٦).
(٢) أخرجه مسلم: ١٥٦٣/٣ برقم (١٩٧٧).

وشدة الأشواق إلىٰ البلد الحرام.. إنما هو لضبط النفس والوصول بها إلىٰ الميزان الذي أنزله الله مع أنبيائه ودَلَّ الله الخلق عليه.. واقرأوا إن شئتم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورىٰ: ١٧]، لم يقل [الله الذي أنزل علىٰ أنبيائه] أو [إلىٰ أنبيائه] بل قال عز من قائل ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ ﴾ أي: وأنزل الميزانَ، وكأن الكتاب الذي نزل بالحق، **والميزان** الذي أنزله الله إنما هو لكل البشر، لا يختص بنبي ولا يختص بولي، **إنما هو الحكمة**، هو القدرة علىٰ أن يسير الإنسان في طريق قويم بين الإفراط والتفريط ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ﴾ [الحديد: ٢٥] ولم يقل [عليهم] ولا [إليهم] إنما قال: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالكتاب يأمرنا والميزان يجعلنا قادرين علىٰ تطبيق ذلك الأمر وتلك الأوامر في الواقع؛ منّا من يتبع ومنا من يبتدع فيأتي الحديد فيه بأس شديد ولكن لإقامة الحق..؛ ففيه منافع.. فيه بأس التأديب وفيه منفعة إقامة الحق علىٰ المفسدين، هذا ترتيب في آية واحدة جامعة لما عليه الإنسان في دنياه، لا تكون إلا من رب العالمين.

كلمات قليلات جمعت فأوعت، وأعجزت سامعيها من أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ الكتاب للنظر، والميزان للعمل، والحديد لتقنين العمل في آية واحدة، وفي سطور بسيطة وكلمات منيرة.

بعض الناس أذاع منذ سنوات أنه يريد أن يكون الحج في كل أيام أشهر

الحج، وأتوا به في وسائل الإعلام يهرِف[1] بما لا يعرف، ويخرج عن الملة من حيث لا يدري، وبعد ذلك رأيناهم قد أعادوها مرة ثانية وكأن للباطل دولة وكأن له صولة، والباطل يركمه[2] الله جميعًا بعضه فوق بعض فيلقيه في النار.

الله ﷻ جعل الأشهر المعلومات للإحرام، وبنىٰ علىٰ ذلك قضايا التمتع والقِرَان في مناسك الحج، والنبي ﷺ يقول: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[3] فلا يمكن أن نأخذ مناسكنا من كل من هبّ ودبّ، ولا أن نأخذ ديننا من الفسقة والملاحدة والمخبولين؛ نحن نأخذ ديننا من رسول رب العالمين ﷺ، فرأيناه كيف حج فحججنا، كما أراد لا كما يريد فلان وعلان.

رسول الله ﷺ يجب أن يُعَظَّم في قلوبنا أكثر مما يقوله هؤلاء ويتفوه به السفاء! والذي يسلينا أن الله ﷻ يقول: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٤] فإذا كانوا لم يقدروا الله حق قدره أيقدِّرون رسول الله ﷺ؟!!! أيقدرون علماء الأمة من بعده؟!! أو يقدرون شيئًا قلَّ أو كثر بعد أن خرجوا بالكلية من نطاق الله ورسوله؟!!

أيها المسلمون اجْلوا قلوبكم بذكر الله، وبالصلاة علىٰ سيدنا رسول الله، ونحن الآن في الأيام هي خير أيام السنة، كما أن ليلة القدر هي خير ليالي السنة.. هذه العشر أو التسع من ذي الحجة أيام ذكر وعبادة وتَعَبُّد..

---

(١) يقالُ: «لا تَهْرِفْ بما لا تَعْرِفْ»، وفي مَثَلٍ: «لاتَهْرِفُ حتىٰ تَعْرِفَ»، الهَرف: شِبَهُ الهَذَيان من الإعجاب بالشَّيء. العين، لسان العرب. هرف.اهـ. وفي هذا الاستعمال في السياق إشارة لا تخفىٰ إلىٰ اتباع الهوىٰ، وإعجاب المرء برأيه، إلىٰ حد الهذيان، والتيهان.

(٢) الرَّكْم، جمعُ شيءٍ فوقَ آخَرَ حتى يصيرَ رُكامًا، وارْتَكَمَ الشيءُ وتَرَاكَمَ: اجْتَمَعَ. القاموس. ركم. وفي التنزيل: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

(٣) أخرجه مسلم: ٢/٩٤٣ برقم (١٢٩٧)، بلفظ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هٰذِهِ**» ورواه بهذا اللفظ النسائي في «الكبرىٰ»: ١٢٥/٥ برقم (٩٣٠٧).

أيام صيام[1]، وكان رسول الله ﷺ يصومها وينصح بصيامها.. أيام دعاء، وقال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]: أَيَّامُ العشر. والأيَّامُ المعدودات: أيَّامُ التشريق.

وكان ابنُ عمر وأبو هريرة يَخْرُجانِ إلىٰ السّوقِ في أيامِ العَشرِ، يُكبّرانِ وَيكبّرُ الناسُ بتكبيرِهما[2]. ذكر ذلك البخاري في ترجمته لباب فضل أيام التشريق، وروىٰ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ**». قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ؟ قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**»[3].

التجئوا إلىٰ الله أن يحقق لكم كل ما تتمنوه من خير الدنيا والآخرة، ولا تنسوا في دعائكم أمة محمد ﷺ أن يجمع الله قلوبها علىٰ الحق، ولا تنسوا القدس وأنتم تدعون لله، لعل الله أن يستجيب لواحد منا، فيرينا في عدو الله وعدونا يومًا قريبًا مُعَجَّلاً.. نراهم وقد أنزل الله فيهم ما يستحقون، وأمر الله غالب ونحن علىٰ قضائه وقدره صابرون ولأوامره مستعدون، وندعوه أن يوفقنا إلىٰ ما يحب ويرضىٰ سبحانه وتعالى.

هذه الأيام لا تعكروا صفوكم باعتراض سفيهٍ علىٰ الله ورسوله، كما أراده بعضهم من الاعتراض علىٰ الذبح، أو السخرية منه، أو الاعتراض علىٰ المقرر في الدين المعلوم منه بالضرورة، أو الاعتراض علىٰ آيات بينات واضحات أجمعت عليها الأمة.. خلُّوا قلوبكم من الخَبَث والأجواء الفاسدة، وتوجهوا

---

(١) عَنْ أُمِّ المؤمنين حَفْصَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: صِيَامَ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَالْعَشْرَ، وَثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ. أخرجه ابن حبان في «صحيحه» ٣٣٢/١٤ برقم (٦٤٢٢).

(٢) صحيح البخاري: ترجمة الباب رقم (١١) فضل العمل في أيام التشريق.

(٣) أخرجه البخاري: ٣٢٩/١ برقم (٩٢٦).

بهـا إلـىٰ رب العـالمين، واربطوهـا بـالعرش، واجعلـوا ذكـركم خالـصًا لله، واخرجوا من هذه الدائرة العَفِنة التي مللنا منها ومن سماعها، والتجئوا إلىٰ قراءة القرآن وتمسكوا به، وتدبروا آياته؛ فهو كنز قد حباكم الله به.

عباد الله في تلك الساعة ولعلها أن تكون ساعة الإجابة.. ادعوا ربكم مخلصين.

أما بعد فإن الله ﷻ عفو كريم قوي عزيز رحمن رحيم،يحب مِن عباده في هذه الأيام الذكر فاذكروا الله وصلوا علىٰ النبي ﷺ الليل والنهار، وادعوه مخلصين له الدين، وليصم منكم من يستطيع الصوم، ومن لم يستطع فليشتغل بقراءة القرآن.

أيها الناس هذه نفحة من نفحات الله وأيام من الأيام المعدودات المعلومات وأشهر من الأشهر الكريمة الحرام التي حرم الله فيها القتال؛ حتىٰ يستفيد المؤمن فيها بالذكر والدعاء والصلاة والعبادة والقراءة.

أيها الناس صفُّوا قلوبكم لله؛ لا نعرف إلاهُ.. ليس لنا في هذه الحياة إلا أن نلجأ إليه.. هو الذي بيده فضل الدنيا وفضل الآخرة.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. إنا لله وإنا إليه راجعون، هي كلمات غير أنها حقائق يعيشها المسلم ويتوكل علىٰ ربه ويعبده حق عبادته ولا تسمح لأحد من الناس أن يعكر عليك دينك وصفوه.

مَفْهُومُ الْحَقِّ الْمُنَزَّلِ

من أفكار الخطبة:

١- ختم النبوة والرسالة يعني قيامَها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢- الحق في اللغة معناه الثبات؛ فلا يتغير، وحقيقة الحق لا تختلف.

٣- هذا الكتاب نزل بالحق، ويُبلغنا الحق، ولا يزال يبلغ بنا حقيقة الحق.

٤- الحق فوق الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال.

٥- عَرَفْنا الحقَّ ﷻ بمحبته لنا، ويعرفُنا الناس بمحبتنا للحق.

٦- كتابنا كتاب لطيف معجز؛ آياته تنير لنا الطريق فرقانا بين الحق والباطل.

٧- اختلاط الأوراق يجرُّ إلى متاهةٍ لا نريد أن ندخل فيها...

٨- سنظل دعاة تعمير لا دعاة تدمير....!

مَفْهومُ الْحَقِّ الْمُنَزَّلِ

إن الله ﷻ أرسل سيد الخلق أجمعين خاتمًا للنبيين والمرسلين، وإمامًا للمتقين، وهاديًا إلىٰ الله رب العالمين، وأنزل عليه الكتاب بالحق، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨]...

ذكر الله ﷻ هذا ختامًا للرسالات التي أنزلها، وللشرائع التي شرعها.

وفيما سبق هذه الآية الكريمة من السورة نفسها، تكلم الله ﷻ علىٰ أنه أنزل التوراة فيها نور وهدىٰ، يحكم بها النبيون للذين آمنوا، وتكلم علىٰ أنه قد أرسل نبيه ورسوله عيسىٰ ابن مريم عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام -في آثارهم، ثم تكلم إلىٰ سيد الخلق أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين- مبلغًا من خلاله إلىٰ الناس كلهم ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي خاتمًا للكتب.

والكتاب الذي نزل وصفه ربنا بأنه الحق، والحق في اللغة مأخوذ من الثبات فالحق لا يتغير، والحق لا يتبدل، وحقيقة الحق لا تختلف، الحق مطلق في كل زمان ومكان فالكتاب نزل بالحق، وأنزله ربنا ﷻ ليدوم؛ ومن أجل ذلك قال ربنا ﷻ معلنا بهذه الحقيقة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وهذا الكتاب الذي نزل بالحق يُبلِّغُنا الحقَ ويُبلغنا الحقيقة، ومن الحقيقة أن الناس سوف تختلف، ومن الحق الثابت أن الله ﷻ لن يجعل الناس كلهم أمةً واحدةً أبدا، وأنه لو جعلهم أمةً واحدة لكان منهم من المنافقين من يبطن الكفر به ﷻ، ولا يمتثل لشرعه ولا لمنهاجه، فالله ﷻ خلق الناس متعددين مختلفين، ولم يُكره أحدًا أن يغير دينه، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ علىٰ أنه بلَّغنا ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

فالمشيئة هنا إنما مردّها إلىٰ الإنسان يفعل كيف يشاء، وعاش أهل الكتاب في ديار الإسلام سالمين مطمئنين آمنين، حتىٰ إنه لما طرد غيرُنا اليهودَ، وقتّلوهم كل مقتل لم يجدوا إلا الأندلس الشريف- موطن المسلمين الذي كان تحت سيطرتهم وتحت كلمة الله- أن يحتموا فيه، فآواهم المسلمون وطمّنوا قلوبهم وأنشأوا معهم المناظرات والمحاورات، بل تعاون كثير من علماء المسلمين مع علماء اليهود، في البحث عن اسم الله الأعظم، في تراث النبوة.. كتابهم الذي ضيعوه وما حفظوه، ولكنْ كثير منهم كما لم يراعوا ما بين أيديهم من الوحي ما رعونا حق رعايتنا، ولم يرقبوا فينا إلاً ولا ذمة، وانقلبوا علينا وتعاونوا مع كل من ناصبنا العداوة، ضد الكلمة الحق التي أنزلها الله ﷻ، هدايةً للعالمين ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥١].

حقيقة كبرىٰ هي تعامل المسلمين مع غيرهم من أهل الكتاب، معاملة نابعة من إيماننا بما أنزل الله من كتاب، وبما في كتابنا من تعاليم تهدي إلىٰ المعاملة بإنسانيةٍ ورقيٍ، وحضارةٍ ومنهجٍ، لم تشهد البشرية مثله إلىٰ اليوم.. إنه منهج الله رب العالمين، جاء به من أرسله الله رحمة للعالمين، إلا أن طائفة منهم تركت الحق الذي بين أيديها، وطلبوا إضاعة الحق الذي بين أيدينا،

وذهب فريق منهم ليضع هذا يده في يد ذاك ضد الإسلام والمسلمين، من بعد أن أغلقوا قلوبهم وصموا مسامعهم عما في كتابهم بُشرىٰ عن رسول الله ﷺ، وعن هذا الكتاب الخاتم المعجز، الذي هو مهيمن علىٰ ما بين يديها وما خلفها وهو موعظة للمتقين.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾ [المائدة: ٤٨] لهذه العقيدة التي وردت في التوراة وما فيها من نور، مصدقًا للوصايا العشر، التي حذفوا منها وصية وأبقوا تسعة، فإذا ذهبت تبحث عن الوصايا العشر -وهم يقولون إنها عشر- وعن الكلمات العشر -وهم يقولون إنها عشر- وجدت تسعة فأين العاشرة؟!! حذفوها!! كتموها!! ولعلها أن تكون: آمِنوا بمحمد رسول الله ﷺ؛ يبدون من قراطيسهم ما يريدون، ويخفون ما يريدون، ويُضلون بها العالمين أجمعين، ويصدون عن الإيمان برسول الله الكريم.. هذا حال طائفة من أهل الكتاب، وليسوا سواء، يذكر ربنا صنيعهم؛ ناعيا عليهم، ومحذرا إيانا -ونحن أهل كتاب- أن نحذو حذوهم، أو أن نسير سيرهم.

وقد أذِن لنا الله أن نتعايش مع أهل الكتاب، وأن نحكم بينهم بما أراده الله لهم في شرعتهم، وأنَّ لهم أن يعيشوا بمنهاجهم هم، وبطريقتهم في الحياة، وبعاداتهم وتقاليدهم، ورغباتهم وما يريدون ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

وبعد أن استقر الحال، وأردنا أن نعطي مساحة كبرىٰ بعد ذلك، جاء السلطان العثماني، فألغىٰ ما كان من كثيرٍ من أمور التميُّز التي هي ليست من أصل الدين، كان غير المسلم في فترة من الفترات منذ أكثر من مائة وخمسين عاما، يُمنع من أن يلبس السواد ويُمنع إلا أن يلبس في رجليه نعلين أصفرين، فصدر الفرمان العثماني سنة ١٨٥٦ من الميلاد برفع كل هذه الميزات التي

تميز المسلمين عن غيرهم؛ ليعيش الجميع في مواطنة كاملة.

استقر الحال علىٰ ذلك... ولكن رأينا من بعضهم سياسةَ: خذ وطالِب! وودت طائفة من أهل الكتاب أن نخرج من ملتنا أفواجًا ولا يُطَمْئِن قلوبَهم إلا هذا، وربنا ﷻ يحذرنا ويحذر المعصوم ﷺ، وهو الذي لا يفتر عن ذكر الله، ولا يمكن أن يتبع أهواءهم، ولا أن يلتفت عما جاءه من الحق، لكنه ينبهه المرة تلو المرة وكأنه ينبهنا نحن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

أيها المسلمون.. آية من آيات كتاب الله ﷻ ترسم لنا الطريق.. نقبل التعددية في المجتمع تحت كلمة الله، ومن خلالها نقبل أن يطبق كل منهم شرعته ومنهاجه بحكم الله الذي في كتابهم؛ لأن الله ﷻ هو الذي أمرنا بذلك، فلا يتشوفن أحد أن نترك ديننا لكل ناعق ومنافق، كما لا يتشوفن أحد أن يُضغط علينا من الخارج والداخل حتىٰ نترك أو أن نكفر ببعض ما أنزل الله إلينا.

المؤمن محب لله يطبق شرعه، وشرع الله حق، والحق ثابت، والثبات يتجاوز الزمان والمكان. المؤمن واضح العقيدة لا يتردد..

وعلىٰ كل حال فإن الله يُسلينا ويهدئ من روعنا، ويعدنا وهو أوفىٰ من وفّىٰ بوعده ﷻ وموعوده، ويقول لنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فموعدنا هو يوم القيامة، موعدنا يوم القيامة نلتقي فيه

عند ربنا ﷻ، يُنبئنا فيما اختلفنا فيه، ولكن سنظل نمتثل لأمر الله في قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وسنظل دعاة تعمير لا دعاة تدمير، وسنظل يهدينا ربنا ﷻ بإيماننا، ولا نستدرج من دركٍ إلىٰ دركٍ أسفل منه.

أيها المسلمون.. كتابنا كتاب لطيف كتاب معجز، آياته تنير لنا الطريق إلىٰ الله، فيها مفاصلة بين الحق والباطل، وفيها دعوة للنفس البشرية أن تكون نفسًا خيّرة كما كانت نفس رسول الله ﷺ، وكما جعله الله لنا أسوةً حسنة..

ادعوا ربكم.

الحمد لله.. الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء يا رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد فيا أيها المسلمون إن القرآن الكريم يُخرجنا من الظلمات إلىٰ النور، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعة الآخرة، وإن العصر الذي نعيش فيه اختلطت فيه الأوراق، واختلاط الأوراق يؤدي إلىٰ متاهةٍ لا نريد أن ندخل فيها، والخروج عنها والوقاية منها ومن الدخول فيها- إنما يتأتىٰ بالتماس البركة من كتاب الله، فاقرأوه وعودوا إليه، ولا يغرنّكم كثرة الخبيث، ولا يغرنّكم أن أكثر من في الأرض من المشركين، ولا يغرنكم أنه ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] ولا يغرنكم هذه الفتن التي لا نعلم بداية لها ولا نهاية...

كتاب الله.. حبل الله المتين[1]، فيه خبر ما قبلكم وفيه نبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، من تمسك به أعزه الله، ومن اتخذه وراء ظهره ظهريًا قصمه الله.. تمسكوا بالكتاب الكريم وتأملوا وتدبروا كما أمركم الله ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] واجعلوه كما وصفه الله هدىً للمتقين؛ فاتقوا الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا...

(١) أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»: ٤/١٨٧٣ برقم (٢٤٠٨) بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَةٍ.. الحديث». وفي رواية: «أَمَّا بَعْدُ. أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

النُّورُ فِي كِتَابِ اللّهِ

من أفكار الخطبة:

١- النور في كتاب الله صفة للرحمن، وصفة للأكوان، وصفة لسيد ولد عدنان، وصفة للقرآن، وصفة للهداية والإيمان.

٢- ضرب الله المثل بالنور الحسي؛ للدلالة على النور المعنوي.

٣- أشعة الشمس تضيء الأكوان، والإيمان يضيء الجنان.

٤- النبي ﷺ والكتاب والإيمان مكون واحد لهدى الله ﷻ، وللطريق إليه.

٥- البرنامج العملي الذي يخرجنا من الظلمات إلى النور.

٦- النور يكشف الحقائق، والظلام يَدْمِسها.

٧- الفرار إلى الله هو ملاذ كل مسلم.

النُّورُ فِي كِتَابِ اللهِ

وبعد؛ فإن في هذا الشهر الأنور الذي تتلألأ فيه أنوار النبوة، وترشدنا إلىٰ الله.. إلىٰ كتابه وإلىٰ سنة نبيه ﷺ نجد الله ﷻ يذكر في كتابه المبين نور النبي ﷺ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فوصفه بأنه منير ووصفه بأنه سراج ﷺ والسراج المصباح، والسراج الشمس، والسراج كل ما يضيء الظلمة فيبددها، فالنبي ﷺ بدّد الظلمات..

وأطلق الله ﷻ النور اسمًا من أسماء الرحمن ﷻ، وأطلقه علىٰ الأكوان في النور الحسي، وأطلقه علىٰ سيد ولد عدنان ﷺ، وأطلقه علىٰ القرآن الذي جعله فرقاناً بين البشر وجعله الكلمة الأخيرة التي خاطب بها العالمين، وأرسل النبي ﷺ به خاتم للنبيين صلىٰ الله عليك يا سيدي يا رسول الله، وأطلقه ﷻ علىٰ الإيمان...

فالنور في القرآن علىٰ خمسة أنحاء: نور الرحمن، ونور الأكوان، ونور سيد ولد عدنان، ونور القرآن، ونور الهداية والإيمان، ولو أن أحد الباحثين قد كتب رسالة يتتبع فيها النور في كتاب الله وفي سنة رسوله وأثر ذلك عند المسلمين لخرج كتابًا حافلا لم يؤلف مثله في الإسلام، ونحن في هذا العصر الذي اشتدت فيه الظلمات، ظلمات الكفر والإلحاد، وظلمات الظلم والاغتصاب، وظلمات العدو وانتهاكه للمقدسات- في أمس الحاجة إلىٰ

معرفة النور الذي تكلم عنه الله ورسوله؛ حتىٰ نعلم الشيء ونقيضه، وحتىٰ نعلم ما هذا النور؟ وكيف نتبعه؟ وما البرنامج الذي نسير عليه فرارا من الظلمات إلىٰ النور حتىٰ يرضىٰ الله سبحانه عنا في الدنيا والآخرة... لو أن أحد الباحثين اهتم بذلك لكان جيدًا؛ «النور في الكتاب والسنة» أو: «النور عند المسلمين»؛ فإن هذا الدين دين النور...

أما في إطلاقه علىٰ الرحمن فقد سميت سورة بحالها (سورة النور)، وذكر فيها ربنا ﷻ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥] بحار من النور.. وليس بحارًا من الظلمات الحسية والمعنوية التي تحيط بنا من تخلفٍ وفساد، ومن كفر وإلحاد، ومن خروج عن الجادة والصراط المستقيم إلىٰ الضلالة التي يأباها الله ورسوله..

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ لا إله إلا الله.. أطلق الله النور علىٰ الرحمن، فأصبح هناك ذلك اليقين بأن الهداية بيد الله، وهذه الآية لو تأملّناها لرضينا بقضاء الله فينا، وصبرنا علىٰ ما ابتلانا به، واستمررنا في الطريق نعبد الله لا نخاف فيه لومة لائم؛ لأن الله هو نور السموات والأرض ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ بالنور الظاهري والنور الباطني، بالنور الحسي والنور المعنوي، بنور الهداية والإيمان وبنور الرسالة والرسول، وبالأنوار التي تشغل الناس عن النور الذي هو الأكبر من أنوار الأكوان... ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ وما نور الله؟ قد يكون القرآن، وقد يكون هو

سيد ولد عدنان ﷺ فهو نور، وقد يكون هو الإيمان، واللفظ وإن احتمل الثلاثة، فهو يحتملها جميعًا سويًّا؛ فإن الله ﷻ يهدي إلىٰ الإيمان، وحب رسول الله ﷺ هو أصل الإيمان، ويهدي إلىٰ القرآن، و«**كَانَ ﷺ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**»[1]، فالنبي ﷺ والقرآن والإيمان إنما هي ألفاظ لها دلائل علىٰ شيء واحد، ومكون واحد لهدىٰ الله، وللطريق إليه ﷻ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] يخرجهم من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان، ومن ظلمات المعصية إلىٰ نور الطاعة، ومن ظلمات التخلف والضعف إلىٰ نور القوة والتمكن ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، و«**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ؛ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[2] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كلمة قطعت كل يأس، وحررت المؤمن من مشاهدة عمله، واستعجال النتائج، وتربص هداية من يدعوهم، وجعلته لا يعمل إلا لله؛ لأن الهداية بيد الله ﷻ ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢-٥٣].

الله سبحانه وتعالىٰ له ما في السموات وما في الأرض، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والمستعان هو الله، والملجأ إليه هو الله، ولا ملجأ من الله إلا إليه،

(١) سبق تخريجه ص٢٩.

(٢) أخرجه مسلم: ٤/٢٠٥٢ برقم (٢٦٦٤).

والتوكل علىٰ الله فرض من فروض الإيمان، وركن من أركان الإسلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ منير، في نور الله، صراط الله وليس صراط أحد من البشر، إنما هو صراط الله.. ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

أيها المسلمون تنبهوا إلىٰ هذا المعنىٰ العظيم؛ حيث يضرب الله الأمثال، ويمثل الأمور المعنوية بالحسية، والفوائد المستخلصة من المشاهد؛ فالله ﷻ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ضياء حسي ونور حسي ولكن ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] فهناك نور هو الإيمان مثل ذلك النور الذي نراه من أشعة الشمس، أشعة الشمس تضيء الأكوان والإيمان يضيء الجنان.. يضيء قلب المؤمن.. فتنبه أيها المؤمن وأنت في شهر النور إلىٰ النور في القرآن... فصفة للرحمن، وصفة للأكوان، وصفة لسيد ولد عدنان، وصفة للقرآن، وصفة للهداية والإيمان، وادعوا ربكم النور في شهر النور، وصلوا في بداية دعائكم علىٰ النور ﷺ، واختموا دعائكم بالصلاة علىٰ النور ﷺ، وادعوا الله أن ينير قلوبنا بالإيمان وأن يثبت أفئدتنا عليه إلىٰ يوم أن نلقاه ﷻ إنه سميع قريب مجيب.

الحمد لله حمد الشاكرين له، الواقفين علىٰ بابه دون يأس، حتىٰ يفتح لنا فتوح العارفين به، المستغفرين المعترفين بذنوبهم، المقصرين في حقه ﷻ.. حمدًا يليق بجلاله، يغفر لنا به ذنوبنا ويفتح به قلوبنا ويثبت به أفئدتنا ﷻ لا شريك له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيله حتىٰ أتاه اليقين..

اللهم صَلِّ عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...؛ فيا عباد الله النور يكشف الحقائق والظلام يدمسها(١) ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [الرعد: ١٦] لا تستوي يا ربنا؛ فالأعمىٰ لا يرىٰ ما أمامه فيحتاج إلىٰ مُعِين؛ ومن أجل ذلك بشَّره النبي ﷺ بالجنة إن صبر علىٰ البلاء الذي قد ابتلاه الله به بأن فقد حبيبتيه، والبصير يرىٰ فيعطي ويُعين ويعرف الحقيقة، والظلام الدامس يحول البصير إلىٰ أعمىٰ، والنور يجعل الإنسان يكتشف حقائق ما حوله، ونحن في عصر كثر فيه الدجل والخُوار، والتولي والفرار عن الله، فبدلاً من أن نستجيب له: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] فررنا من الله -والعياذ بالله- وبدلاً من أن نصبر في الله صَبرنا عن الله، -والعياذ بالله- وبدلاً من أن ننفذ أوامره فنسعد بتأييده لنا ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧] تولينا مدبرين..!

ولكن لا يزال لله في الأرض قائم لله بحجة، «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِك**»(٢)، وفي رواية أخرىٰ دل علىٰ أنها بالشام(٣)، ومرة بأنها بأكناف بيت المقدس(٤)،

---

(١) يغطيها ويخبئها. لسان العرب- دمس.

(٢) متفق عليه، البخاري: ٣/ ١٣٣١ برقم (٣٤٤٢)، ومسلم: ١٥٢٣/٣ برقم (١٩٢٠)، وهذا لفظ مسلم.

(٣) عن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عن أَبِيهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ، لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**». أخرجه الترمذي: ٤٨٥/٤ برقم (٢١٩٢) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». أخرجه أحمد: ٦٥٧/٣٦ برقم (٢٢٣٢٠)، والطبراني في «الكبير»: ١٤٥/٨ برقم (٧٦٤٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: ٥٦٤/٧، وقال: رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات.

وقد مَكّنهم الله بذلك والحمد لله، وأنعم عليهم بأن يقتلوا عدو الله وعدونا، فاللهم يا ربنا أنِر بصائرنا، وانزع الوهن من قلوبنا؛ وأيدهم بروح من عندك، وأنزل علىٰ قلوبهم وعقولهم وبصائرهم وأبصارهم نورًا يرون به حقائق الدنيا والآخرة، ويشاهدون به مقاعدهم من الجنة تنتظرهم، وأنزل السكينة علىٰ قلوب أمهات الشهداء، واشف صدور قوم مؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم، إنك علىٰ كل شيء قدير....

سُورَةُ الْجُمُعَة

من أفكار الخطبة:

١- تمضي مواسم الخير، ويبقى في النفس أريجها، وفي القلب حصادها.

٢- لا يخلو زمان المسلم من الخير، وأمره كله له خير.

٣- سورة الجمعة بناء للإنسان وصلاح للأكوان، وإقامة للميزان وتنبيه للغفلان.

٤- نحن أهل كتاب، فلنعتبر بمن سبقونا؛ لنكون خير أهل كتاب.

٥- أم لم يعرفوا رسولهم!

٦- بئس مثل القوم! فهل لأنفسنا رضيناه؟!

٧- تدبَّر..! ستعرف أين مكمن عزتك، وسبيل نجاتك من الذل والضلال المبين.

٨- انظر إلى حال من هم أحرص الناس على حياة؛ فستعرف أي حياة هي! وهل هذه هي الحياة!! وحينها يقال لك: فخالفهم إذن، فتلك هي حقيقة المخالفة!

٩- خذ من دنياك لآخرتك، واجعلها في يدك مُخرِجًا لها من قلبك.. ولا تعكِس!

١٠- اذكِر الله ذِكراً كثيراً؛ ودُم على ذكره باللسان، والجنان، والكيان.

سُورَةُ الْجُمُعَة

للخير مواسم تُرصَد، وإن لربنا في أيام دهرنا لنفحات.. تعرَّض لها من تعرَّض، وغفل عنها من غفل، وعَنْ أَنَس بن مَالِك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ لِلهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»[1]. فلا يخلو زمان المسلم من الخير، وأمره كله له خير، فعند كل أذان موسم للخير، وخمس صلوات في اليوم والليلة هي من مواسم الخير، وفي الثلث الأخير من الليل موسم للخير، وكل جمعة هي لنا عيد، ومجلس علم، وساعة ذكر، ونظرة في عبر، وصمت في فكر.. كل أوقات المسلم غنيمة، في كل لمحة من عمره، وفي كل نفس من أنفاسه، وفي الكون من حوله خلق جديد مسبح بحمد الله الحي القيوم جل في علاه، وقد مضىٰ رمضان، وبقي في النفس أريجه، وفي القلب حصاده، ونريد أن نؤسس علاقةً سليمةً مع الله عسىٰ أن ينظر إلينا بنظر الرضا والرحمة...

وها هو رمضان قد تفلت منا، وفَّق الله من وفقه في صيامه وقيامه وتلاوة كتابه والمحروم من حرمه الله، وعلىٰ كل حال إذا كنت من الموفقين أو من المحرومين فباب الله ﷻ مفتوح للعالمين، رمضان نفحة ربانية ومنحة صمدانية، تجعلك مهيَّأً لما بعده أن تعيش مع ربك فمن فاته شيء من رمضان،

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: ١/٢٥٠ برقم (٧٢٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٩/١١: رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال «الصحيح»، غير عِيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن إِيَاس بن الْبُكَيْر، وهو ثقة.

فليدركه خارج رمضان بعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وبطاعة الله ورسوله على كل حال، وبالمسارعة إلى المغفرة والرضوان، وعدم الإصرار على الذنوب والمعاصي ونسيان الله.

والقرآن الذي أنزل في شهر رمضان يؤسس لنا العلاقة بين العبد وربه، وبين هذا الكون وخالقه، وبين الإنسان وذلك الكون، وبين الإنسان ونفسه، ويجعل الإنسان مع نفسه ومع كونه ثم مع ربه، متسقًا في تيارٍ واحد يسبح الرب ﷻ، ودين الإسلام عقيدته السمحة واضحة حنيفية، هي عقيدة سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، عقيدة تجعل الإنسان يفهم أين هو، ويفهم ماذا يفعل، ويفهم لِم يفعل؛ يدعو الله ﷻ ويدعو إليه وقلبه مفعم بالإيمان، وذهنه واضح لا يتردد ولا يتشكك ولا يرتاب.

مع دستور من هذه الدساتير التي أرشدنا الله ﷻ إليها، في سورة تسمت بذلك اليوم الذي نتجمع فيه لذكر الله، في «**سورة الجمعة**»، انظر إليها وتدبرها وتأملها مرة بعد مرة، وستحصل على برنامج عملي لأيامك المقبلة التي تواجهها وتستقبلها بعد خروجك من رمضان، وبعدما رضي الله عنك وتعرضت لنفحاته في هذا الشهر الكريم، من صيامٍ وقيامٍ وذكرٍ وتلاوة، وبعد هذه الصلة الربانية التي شعر بها كل واحد منا، حتى مر الشهر وكأنه يوم... وما أغلاه..!

يقول ربنا ﷻ في مفتتح هذه السورة الكريمة، سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] الكون يسبح، وهو معنى ينبغي أن تستحضره دائمًا أيها المسلم أن هذه الكائنات التي حولك تسبح لله رب العالمين ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، هذه الكائنات تسبّح؛ فلا تكن أنت النغمة النشاز -التي لا تُسَبّح- ضمن هذه

الكائنات المسبحة بحمد ربها... لا تنس الله، ولا تنس ذكر الله، واجعل لسانك رطبًا بذكر الله، أما أن تنسىٰ فقد دخلت في إطار أقوامٍ آخرين ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وكانوا من المنافقين، والله ﷻ لا يرضىٰ لعباده الكفر..

والكفر أنواع: كفر بالله الرحمن يمس عقيدة المرء، وكفر بالنعمة بعدم شكران المنعم ﷻ، وكفر بالعشير -وهو الزوج أو من تعاشر- بنكران إحسانه إليك؛ فلا تكفر بنعم الله عليك ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويأتي الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ ويقول له: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»(١).

إذن فعليك أن تذكر الله قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنبك في كل حال، اجعل لسانك يذكر الله حتىٰ مع عدم استحضار القلب؛ فإن ذكر الله ﷻ يرجعك التارة بعد الأخرىٰ إلىٰ حظيرة القدس؛ فإن ذكر الله مع الغفلة خير من عدم ذكره بالمرة لا بالقلب ولا باللسان، اذكر ربك باللسان، واتلُ القرآن، واجعل بينك وبينه حصة في كل يوم..

اجعل وردًا بينك وبين القرآن حتىٰ لو لم تتدبر معانيه؛ فإنك في يومٍ سوف تتدبر، لا تترك الصلاة لأنك لا تخشع فيها؛ صلِّ وداوم علىٰ الصلاة حتىٰ يأذن الله ﷻ أن يملأ هذا الوعاء بالنور، وأن يملأه بالأسرار، وأن يملأه

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له: ٤٥٨/٥ برقم (٣٣٧٥)، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه: ٢/ ١٢٤٦ برقم (٣٧٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» ٩٦/٦ برقم (٨١٤)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد: ١/ ٦٧٢.

بالأنوار، وأن يملأه بالملك والملكوت؛ فإن قلب المؤمن لا يسعه شيء في هذا الكون؛ من اتساعه لمعرفة الله الواحد القهار.

القرآن يؤسس لك دستورًا تسير عليه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَمَا﴾ تطلق على غير العاقل، أو تطلق على إذا ما اختلط العقلاء بغير العقلاء؛ تغليبًا لكثرة غير العقلاء في هذا الكون، من جمادٍ وحيوانٍ وشجرٍ وبحار وأنهار، مع العقلاء من جنٍ وإنسٍ وملائكة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ﴾ وقِفْ عندها، وقل فيها ما شئت ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ وقف عندها، واقرأ شرح أسماء الله الحسنىٰ، التي يعين الله في أن نتذاكرها اسمًا اسمًا إن شاء الله تعالىٰ[1]، ونقف علىٰ شيء من أسرارها، وعلىٰ شيء من أنوارها.. أنوار ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.. **تعرَّف إلينا ربنا ﷻ؛ فهل عرفناه!**

عباد الله.. وهل عرفتم رسولكم؟!! ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]، هل حركت فيكم هذه الآية شيئا ما؟!! أم أنكم وقفتم عند كونها في أهل الكتاب؟!! ألسنا من أهل الكتاب؟!! فهل عرفناه؟! ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]، نبينا ﷺ هو دعوة أبينا إبراهيم؛ حين دعا ربه ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعاء إبراهيم أبي الأنبياء.

واسمع يا عبد الله.. وكن خير سامع لما يحكيه لك عِرْبَاض بن سَارِيَة رضي الله عنه، صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنِّي عَبْدُ اللهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَنَا دَعْوَةُ**

(١) يصدر قريبًا في هذه السلسلة النورانية بإذن الله تعالىٰ. (الناشر).

أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَىٰ، وَرُؤْيَا أُمِّي آمِنَةَ الَّتِي رَأَتْ» وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَأَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ، ثُمَّ تَلَا ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨][(١)].

ونبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان آخر من بشّر به صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وهنا -في سورة الجمعة- يأتي كلام ربنا مشيرًا إلىٰ أن نبينا ﷺ هو دعوة إبراهيم، وأن الأمر متصل ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، هذه الأمة الواحدة التي تسير في طريق الله، والتي مقصدها هو الله، من لدن آدم إلىٰ خاتم المرسلين ﷺ...

لم يكن نبينا في هذه المسيرة بدعًا من الرسل، إنما كان هو ختام الموكب الكريم الذي أرسل الله فيه المرسلين للبشر، فحرّف من حرف، وخرّف من خرف، فجاء النبي ﷺ مصدقًا لما بين يديه، وجاء مهيمنًا علىٰ ما بين يديه من الكتاب، وجاء يدعو الناس إلىٰ الخير، ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، هذا حال البشر وهو حالهم إلىٰ الآن ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٣/١٥٢٤ برقم (٦٤٠٤)، والحاكم: ٢/ ٤٥٣ و٦٥٦ برقم (٣٥٦٦) و(٤١٧٥) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، ووافقه الذهبي.

ويختم الآيات بالصفات ذاتها، تلك التي ختم بها في سورة البقرة في دعوة إبراهيم[1]؛ ليشير إلىٰ الاتصال بينهما.. يختمها بـ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ فالنبي ﷺ بُشِّرَ به في التوراة، والتوراة رغم هذا التحريف التي بين أيدينا تصرخ بإتيان النبي ﷺ، والراسخون في العلم منهم يعلمون هذا وكتموه، أما غيرهم من أهل الكتاب فقالوا: لا نريد أن نؤمن لأن النبي جاء بالسيف، وكنّا لا نريد أن يأتي بالسيف، كنّا نريد أن يأتي فينصحنا بأن من ضرب علىٰ خده الأيمن فليعطه خده الأيسر، ومن ضرب علىٰ الاثنين فليعطه قفاه..! تلك أمانيهم فينا!! والنبي ﷺ جاءنا بالعزة، وجاءنا بالواقع.

وقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، خلّىٰ المسلمون أنفسهم من ذلك، واحتاجوا إلىٰ الكفار يَسْتَجْدون منهم الأسلحة، ونبينا ﷺ يأمرنا بإعداد القوة، وينص القرآن علىٰ ذلك، فكان ينبغي علينا أن نحول حياتنا كلها للاستعداد للجهاد في سبيل الله، كل ما يحدث لنا الآن هو نتيجة الاستنامة التي نمنا فيها عن الجهاد الأكبر وعن الجهاد الأصغر..؛ فهل تركنا الجهاد بكل مفاهيمه الصحيحة، وسمينا الأشياء بغير اسمها، واستنمنا ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة، وهل اكتفينا بمخالفتهم في ظواهرنا ورضينا بذلك، لنتشبه بحقائقهم!!!

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ نعم أتاه الله المسلمين فاستطاعوا أن يخرجوا وهم حفاة عراة ليغزوا العالم، لا يغزونه بالظلم والقهر والجبروت، إنما غزوه بالحضارة والدين وعمارة الأرض والتزاوج بين الشعوب، رأىٰ الناس من

(١) يعني الموضع السابق ذكره قريبًا، من سورة البقرة: ١٢٩.

المسلمين خيرًا، ورأىٰ المسلمون من الناس شرًّا عبر التاريخ! ومن وفّقه الله بذلك الفضل العظيم فإنه يطيع الله ورسوله في نفسه، ويفهم عن الله مراده، ويسير علىٰ خُطىٰ من استطاعوا أن يعمُروا الأرض، وأن يعمّروها ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤].

صدقتَ ربنا ولك الحمد، وأنت ذو الفضل العظيم.

ثم بعد ذلك يقول جل شأنه وتعظم سلطانه وعز من قائل ﷻ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ [الجمعة: ٥] يذكرنا «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ»[١]. أي فمن الأمم قبلنا من أهل الكتاب سواهم، وها نحن قد شاع الإلحاد، وشاع وكثر أهل الكنفوشيوسية[٢] والبوذية[٣] والشنتوية[٤]، وديانات لا نعرف من أين أتت، غير أن الذين أوتوا

---

(١) متفق عليه، البخاري: ٦/٢٦٦٩ برقم (٦٨٨٩)، ومسلم: ٤/٢٠٥٤ برقم (٢٦٦٩).

(٢) وهي ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلىٰ الفيلسوف «كونفوشيوس» الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعيًا إلىٰ إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آرائه إليها، وهي تقوم علىٰ عبادة الإله الأعظم وعبادة أرواح الآباء والأجداد وتقديس الملائكة. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»: ٧٧٩ بتصرف.

(٣) وهي الديانة التي ظهرت في الهند بعد البراهمية «الهندوسية»، في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي فلسفة وضعية في إطار ديني، وتدعو إلىٰ الزهد والخشونة والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير، ومؤسسها هو «سدهارتا جوتاما» الملقب بـ «بوذا»، وبعد موته تحولت إلىٰ معتقدات باطلة، ذات طابع وثنيّ، ولقد غالىٰ أتباعها في مؤسسها حتىٰ ألّهوه. انظر: «السابق»: ٧٩١ بتصرف.

(٤) هي ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، ولا زالت الدين الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوىٰ الطبيعة، ثم عبادة الإمبراطور مؤخرًا، حيث يعتبرونه من نسل الآلهة كما يزعمون، ويطلق الشنتويون لفظ «كامي» علىٰ كل إله أو شيء يسمو =

الكتاب من قبلنا هم من حذرنا ربنا إلىٰ اليوم كما أخبر ربنا ﷻ، لم يتكلم عن بوذا، ولم يتكلم عن «الحوار» لكونفشيوس، ولم يتكلم عن أحدٍ من أهل الملل الباطلة في الأرض... إنما تكلم عمن سيواجهنا إلىٰ يوم الدين.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة:٥] هل صار المسلمون كهذا المثال؟! نحمل كتابًا هو كنز من الكنوز ولا نفقه ما فيه، ولا نريد أن نعمل بما فيه..! معنا كتاب هو كلمة الله الأخيرة، ولا نريد أن نتحرك، ولا أن يغير كل منا حياته لله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ كمثل حمار وعلىٰ ظهره كتب؛.. ماذا هو فاعل فيها؟!! لا شيء..؛ إنه لا يعرف القراءة والكتابة، وبينه وبين ما يحمل حجاب، وليس عنده قوة للربط (ربط المعلومات لاستخراج الحقائق واستلهامها)، ليست عنده قوة ذكاء فيعلم أنه لا بد أن يكون أقرب المستفيدين من هذا الذي يحمله علىٰ ظهره؛ حمار..! وبعد هذا البيان القرآني والتنبيه الرباني الظاهر.. هل ترضىٰ أيها المسلم لنفسك هذا المثل؟! سؤال حائر..!!! نرجو الله ألا يحكم علينا ما حكم عليهم، وأن يخرجنا من هذه الدائرة السخيفة التي يسير فيها المسلمون دون وعي، وأن يؤلف بين قلوب أمة محمد ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الجمعة:٥] والتكذيب علىٰ درجات؛ إما أن يقول: هذا ليس من عند الله!! كما عليه بعض المتسمين بالأسماء الإسلامية في عصرنا من العلمانيين، وإما أن يتلوها بلسانه ولا يعمل بها؛ فيكذب فعله قوله..؛ ولذلك انظر وتأمل في الآية التي تركناها ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ

= فوق الإنسان كالسماء أو السلطان، ولا تنتسب الشنتوية إلىٰ شخص معين كما نجد ذلك في البوذية مثلاً، بل هي: دين اجتماعي مرَّ بأدوار مختلفة، وليس لها انتشار إلا في اليابان فقط. انظر: «السابق»: ٧٥٩ بتصرف.

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ ﴾ التلاوة لا بد منها، وهو أمر مهم أن نتلو الآيات، وأن نطبع المصحف، وأن نتعلم تلاوته حتىٰ ولو لم نتدبر ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾، فعلم الكتاب شيء وتلاوته شيء آخر، وعلم الكتاب شيء والحكمة شيء آخر ﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ هي أعلىٰ درجة، وأرقىٰ في العلم؛ إذ هي الفهم عن الله، وهي مناط إقامة الميزان، الذي بإقامته كمال الإنسان، وصلاح الأكوان، فتأمل أيها المسلم كتاب ربك إليك؛ كيف ختم الآية الأولىٰ والثالثة بصفة العزة والحكمة، ثم انظر إلىٰ ما بين ذلك من ختم الآية الثانية ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة: ٢]، وهنالك حتما إذا تدبرت ووعيت ستعلم سبيل نجاتك، ومكمن عزتك، وكيف الخروج من دائرة الذل والضلال المبين، إلىٰ دائرة الفضل العظيم ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

علموا أولادكم القرآن، بدءًا من حفظه وتلاوته ولو من غير وعي، وانتهاءً بتدبره وإقامته في العمل، وندعو الله أن ينزل علينا من الحكمة ما نتوصل به إلىٰ عز الأمة.

﴿ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] إذن فلا بد علينا ألا نظلم أنفسنا! وظلم النفس يأتي بالكسل، كان النبي ﷺ يستعيذ من العجز والكسل[1]، وظلم النفس لا يأتي بالنشاط فلا تظلم نفسك بأن تفتّح أمامك أبواب الخيرات، ثم لا تدخلها ولا تنتهزها، ومن تلك الأبواب المفتحة صلة الرحم، والخشوع في الصلاة، وأداء الأمانات بين الناس، وحُسن الخلق مع الأهل والزوجة......

(١) عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَقُولُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» واللفظ للبخاري، والحديث متفق عليه، البخاري: ١٠٣٩/٣ برقم (٢٦٦٨)، ومسلم: ٢٠٧٩/٤ برقم (٢٧٠٦).

هناك من يسألني عن مواقف كثيرة في الحياة لا يرى فيها إلا النزاع والخصام! على الرغم من أنه إذا صبر فإن الله سيفتح عليه فتوح العارفين به، ولكنه قد يضيع ذلك كله بسبب حمق الغضب، والنبي ﷺ قال: «**لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ**»[1]، ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، لا تظلم نفسك بالتقصير في انتهال الخير وفي البعد عن الشر كله، تفكر.. تدبّر في كل يوم فإن طريق الله بين الذكر والفكر، تفكّر كيف تكون عبدًا ربانيًا لله، حتى تقول للشيء كن فيكون بإذن الله؛ لأن الله يستجيب للعبد الرباني.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧]، أليست هذه هي حال المسلمين التي حذر منها النبي ﷺ حين قال: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ**». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[2].

انظر إلى حال من لا يحبون الموت، وهم أحرص الناس على حياة؛ فستعرف أي حياة هي! وهل هذه هي الحياة!! وحينها يقال لك: فخالفهم إذن، فتلك هي حقيقة المخالفة!

لتكن الدنيا في يدك، ثم طلقها من قلبك ثلاثًا ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»: ٢٥/٣ برقم (٢٣٥٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: ١٣٤/٨ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وأحد إسنادي «الكبير» رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود: ٥١٤/٢ برقم (٤٢٩٧)، وأحمد: ٢٨/٣٧ برقم (٢٢٣٩٧).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٨-٩]، موازنة بين الدنيا والآخرة.. بين الغيب والشهادة ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الجمعة: ١٠] في طلب العلم، وفي السعي على الرزق، وفي صلة التكافل الاجتماعي، من زيارة المريض وزيارة ذوي القربىٰ ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ فإن الدنيا والآخرة بيد الله ﷻ..

﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾، انظر إلىٰ بداية الآيات ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الجمعة: ١]، وانظر إلىٰ نهاية هذه الآية قبل الأخيرة التي يقول فيها ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ ثم بعد ذلك يؤكد علىٰ ترك الدنيا مرةً بعد مرة، وألا تكون في قلوبنا، وأنها لن تفوت فالرزق مقدَّر، والأعمار تفوت فالأجل موقوت، ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١]. ادعوا ربكم.

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله إمام المتقين، وعلىٰ آله وصحبه صلاةً دائمةً أبدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح للأمة، وتركنا علىٰ المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلاةُ الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، اللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيًّا عن أمته، واحشرنا تحت لوائه يوم القيامة...

الْفَهْمُ عَنِ اللّهِ

من أفكار الخطبة:

١- قيام الحكماء في الأمة فرض من فروض الكفاية.

٢- مادة العلم والفكر: الكتاب المقروء «القرآن»، والمنظور «الكون».

٣- الفكر حركة العقل في المعلومات، والحكمة ثمرة العلم والفكر في النفوس الزكية.

٤- الحكماء هم أهل القيام بالحكمة والعدل في الكون.

٥- القياس الفاسد نزعة إبليسية، أورثتها غيابات الجهل والكبر واتباع الهوى.

٦- ثمة عقبة! لا تقتحم إلا بفعل الخيرات؛ إيمانا بالله وتصديقا بوعده.

٧- فضّل الله ﷻ الإنسان على سائر الكائنات بالروحية والاستواء.

٨- الإنسان في مفترق الطرق يتردد، والسعيد من فاز بتزكية النفس، وسبيل الهدى.

٩- كرامة الإنسان في هذه الدنيا في حفاظه على آدميته ونورانيته، والاستواء أن يستمر عليها حال قوته وضعفه على سواء.. وذاك هو مناط التفضيل.

١٠- البدارَ البدارَ؛ لا تغلق على نفسك أبواب الخير.

الْفَهْمُ عَنِ اللّهِ

تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء.. ترك لنا قرآنًا وسنة؛ تركنا مع رسولٍ مقيم هو القرآن الكريم، ختم الله الرسالة بنبيه، وترك قرآنًا تتعجب منه الجن والإنس، وأمرنا أن نتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وأكثر الله فيه من المثل وقال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١]، قال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] أمرنا أن نتدبر وأن نتعقل وأن نتفكر، والفكر حركة العقل في المدركات.. فلا بد إذن عندما نتفكر في القرآن الكريم أن نتفكر فيما حولنا من واقع معيش، وأن نتفكر فيما ضربه الله لنا من الأمثال، وأن نطبق هذا على ذاك، وأن نستخرج الحِكَم، وأن نكون من أهلها.. نؤسس ذلك من عقيدةٍ واضحةٍ في الإيمان بالله ورسوله وما أنزل من شيء...

تلك الأمثال ضربها الله لنا، وهنا نحن نلتفت يمنة ويسرة في واقعنا المعيش، فإذ بنا نرى العدوان هو السائد، ونرى الحق وكأنه لا مكان له مع القوة، ونرى الفساد ولا يقوم له الناس كما يقومون لأصحاب العدوان والقوة، عالم غريبٌ يُحترم فيه الفاسد القوي، ولا يُحترم فيه الضعيف التقي، والله ﷻ أسس لنا في ذلك نظرًا..

واليوم نلتقي معًا على مأدبة القرآن لنتأمل أمثلة ضربها الله لنا، وندرُسها، ثم بعد ذلك نستخلص منها ما يفسر هذا العالم المحيط، ويبني كيفية التعامل معه.

ربنا ﷻ في أواخر سورة المدثر يتكلم فيقول: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥٦].

خطاب للبشر.. لمن سمع ولم يصدّق، أو لمن سمع وكره، خطاب للبشر.. الذين يسمعون وحي الله فيكذبونه أو يكرهونه حتىٰ بعد ما علموه، ويمثل الله ﷻ حالهم بتلك الصورة ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴾ أسد يريد أن يأكل حمارًا؛ فيفر الحمار خوفًا وفزعًا ويتبعه الأسد طغيانًا وعداونًا، والأسد لا يفكر فإن الله قد خص الإنسان، وخص بني آدم بالتفكر، وبترتيب الأمور المعلومة للتوصل بها إلىٰ المجهول، والحمار لا يفكر، إنما هي صورة عدوان، نتجت من أن الله ﷻ لم يجعل تلك البهائم علىٰ أحسن صورة، لم يجعلها في حالة استواء، لم يجعلها وينفخ فيها من روحه ﷻ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

نزاع حيواني كهذا النزاع الذي فيه عدوان من أهل الشر، من أهل كراهية الوحي، من أهل تنحية كلمة الله كما نشاهد الدماء تراق، والعدوان يستمر ثم بعد ذلك لا نفهم كيف يؤيد أولئك الأقوياء هؤلاء الظلمة إلا أن يكونوا قد سدوا علىٰ أنفسهم منافذ النور، وسدّوا علىٰ أنفسهم مدارج الوحي، وسدّوا علىٰ أنفسهم خلق الله السوي، واكتفوا بما قد أقامهم الله فيه من جسدية وجسمانية، مردُّها إلىٰ الطين والتراب والحمأ المسنون.

انظر معي: يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣٢] من هم الملائكة؟ الملأ الأعلىٰ، النخبة العليا، مخلوقات يخبرنا عنها رسول الله ﷺ

أنها من نور[1]، ربنا يقول في شأنهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، الملائكة عالم علوي ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ -الملأ الأعلىٰ- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

آدم خُلق من ترابٍ.. من طينٍ.. من صلصالٍ.. من حمأٍ مسنون، ثم تمت لـه تسوية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، ولكن ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩] إذن؛ فالإنسان قد خُلق كما خُلق الحيوان من ترابٍ ومن صلصالٍ ومن حمأٍ مسنون، إلا أن الله قد أضاف له -تكرمة له- الاستواء والنفخ من روحه ﷻ، وجعل هذا موجبًا لأن تسجد له الملائكة، فلما عصاه العاصي (إبليس)، طرده الله من رحمته لما قال له ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]، فقاس إبليس قياسًا فاسدًا؛ لأن النار وإن كانت قياسًا أحسن من الطين، إلا أن الروح أعلىٰ من الطين ومن النار ومن النور ومن الملائكة، وبموجب هذا أسجد الله ﷻ الملائكة لآدم.

إذن فالإنسان رُكّبت فيه من المعاني فوق ما لغيره من خلق الله، فيه من التركيب الطيني معنىٰ الحيوانية، ومن النفخة معنىٰ الروحية -بهذا الذي قاله ربنا- وفيه معنىٰ الاستواء، وفُضّل علىٰ سائر الكائنات بالروحية والاستواء، وكان ذلك موجبًا للملائكة أن تسجد له، فعندما ألغىٰ هؤلاء القوم الروحية والاستواء رجعوا إلىٰ الحيوانية، إلىٰ الحُمر المستنفرة التي فرت من قسورة!

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». أخرجه مسلم: ٤/٢٢٩٤ برقم (٢٩٩٦).

ربنا يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] فضّلهم في حالة الاستواء والعلو على الملائكة والجان وعلى سائر الكائنات، أما إذا أراد الإنسان طريق الشر، وأغلق على نفسه طريق الخير وربنا ﷻ يقول له ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٠-١٦] إذن؛ فثمة عقبة لا تقتحم إلا بفعل الخيرات، عبادة لله، وإيمانًا بالوحي- أما هؤلاء الذين سدوا على أنفسهم الأبواب، فإن لهم شأنًا آخر ليس هو شأن التكريم، ولا هو شأن الروح، ولا هو شأن النور، والله يقول: ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾، فالله يهدي لنوره من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

تأملْ، تدبرْ، تفكرْ، استخلصْ، طَبّقْ هذا على ما حولك من مفاهيم البشر، تجد نفسك متميزًا بتلك العقيدة الصحيحة السليمة التي توافق الحق، وحينئذٍ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، فماذا عن هؤلاء؟!

هؤلاء ﴿ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ انظر الكلام، ﴿ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي أنهم عرفوه وعلموه، بل وقد يكونوا قد عرفوا أنه من عند الله في بعض الأحيان، لكنه ثقيل لا يُراد له أن يكون برنامجًا لحياتهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [محمد: ٩-١٢] -ردة إلى الحيوانية- ﴿ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ يذكرنا ذلك

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

انظر ترتيب الآيات، وانظر تردد الإنسان بين الآدمية وبين الحيوانية؛ فالإنسان في القرآن هو ذلك المخلوق الذي في مفترق الطريق، فإن هو زكّاها وأحلاها وأعلاها دخل الجنة، وإن هو سدَّ علىٰ نفسه أبواب الخير دخل النار، فما شأن الدنيا إذن؟

شأن الدنيا أن من حصَّل سنن الله فيها تمكن منها، ومن لم يحصل سنن الله فيها لم يتمكن منها، فيتمكن منها المسلم أو الكافر علىٰ حدٍ سواء، إلا أنه ينبغي علىٰ المسلم في حالة ضعفه أن يستمر نورانيًّا آدميًّا، وفي حالة قوته أن يستمر آدميًّا نورانيًّا؛ فلا يظلم، ولا يعتو، ولا يعثو في الأرض فسادًا، ولا يخرج عن أمر الله.

هذه هي النقطة الأولىٰ نتلوها بعد ذلك بدراسةٍ متأنيةٍ لكتاب الله الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ ﴾ [فصلت: ٤٢]، نتأمل ونتدبر أمثاله، ونتدبر قصصه ونتدبر آياته، لعلنا أن نخرج في النهاية إلىٰ ما يوضح لنا أمرنا، حتىٰ نكون من المتفكرين، ومن العالِمين، ومن المتدبرين الذين أرادهم الله ﷻ أن يكونوا.

كثيرٌ من الناس الآن يقرأ القرآن لكن القليل من يتدبر، وقليل من الناس يتدبر لكن الأقل من يعيش في هذا الذي تدبره، وينبغي علينا أن نسعىٰ إلىٰ المعيشة في القرآن الكريم، بعد أن نتدبر، بعد أن قرأنا...

وادعوا ربكم.

أما بعد؛ فيا عباد الله القرآن كنز بين أيدينا لا تنتهي عجائبه؛ إذا ما ذهبت إليه متقيًا اللهَ فإن الله يفتح لك أبوابه (أبواب القرآن)، وتدرك منه خطة حياتك، وإذا أنت لم تفعل ذلك أصبح القرآن ألفاظًا تتلىٰ وتسمع، ولقد خرجت طائفة من الشباب الآن يستغربون ألفاظه ولا يدركون معانيها، ويتساءلون في حيرة عما يسمعونه، وكأنه أمر ساذج بسيط وأن الروايات الأجنبية أعلىٰ منه قيمةً!!

لقد وصلنا إلىٰ مرحلة من الانحطاط في إدراك اللغة، وفي تقوىٰ الله، وفي عبادته، بل وفي الإيمان به وبمسلمات ديننا إلىٰ هذا الحد الذي نراه؛ الوَحَا الوَحَا[1]، البدارَ البدارَ،العجلةَ العجلةَ، أدركوا أنفسكم، وأدركوا أمتكم قبل الفوت وقبل الموت، وقبل أن نصل إلىٰ نقطةٍ لا نستطيع أن نفعل فيها أي شيء.

فاللهم يا ربنا اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وجلاء همنا وحزننا، واجعله معيار التقويم عندنا، اللهم علمنا منه ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا، واهدنا بالحق واهد بنا إلىٰ الحق.

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ -إلىٰ أن قال-:....إِنَّ قَوْمًا جَعَلُوا آجَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ وَنَسُوْا أَنْفُسَهُمْ فَأَنْهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَالْوَحَا الْوَحَا، ثُمَّ النَّجَا النَّجَا.... الخطبة». أخرجه الحاكم: ٢/٤١٥ برقم (٣٤٤٧) وقال: صحيح الإسناد.
الوحا (والوحاء): السرعة والعجلة. انظر: لسان العرب.

الرُّكْنُ الشَّدِيْدُ

من أفكار الخطبة:

١- القرآن هو حبل الله المتين، من اعتصم به فقد كُفي، وهُدي، ووُقي.

٢- ألفاظ القرآن مقصودة، وتضع الإنسان في رَصَدٍ نوراني لا يُخترق.

٣- مواهب القرآن لا تتناهى، وعجائبه لا تنتهي.

٤- الحفظ بالقرآن لا يعني اتخاذه تمائم وتعاويذ، وإنما هو أمر فوق ذلك وأعلى.

٥- كلام الله لا مثل له، وهو مؤسس على الحقيقة لا على الأوهام.

٦- هو الرحمن، وبرحمانيته استوى على عرشه، وبها بدأ الخلق، وأرسل الرسل، وختمهم، وبها افتتح كتابه، وسبقت رحمته غضبه؛ فلا ملجأ منه إلا إليه.

٧- تجلى ﷻ بجلال جماله على الأكوان؛ فسبحت بحمده الكائنات.

٨- تأملات في سورة غافر.

الرُّكْنُ الشَّدِيْدُ

أنزل الله ﷻ من أجل هذه الأمة كتابًا أبقاه خالدًا إلىٰ يوم الدين، وكان الكلمةَ الأخيرة فآمنّا بلفظه ومعناه، بعقيدته وشريعته، وما يدعو إليه من أخلاق، وأهل الله وخاصَّته من عباده أهل القرآن -وهم يعلمون أنه حبل الله المتين، والركن الشديد، وأنه كلمة ربنا إلىٰ العالمين، كما علمهم رسول الله ﷺ- يتخذون من القرآن الكريم حفظًا لهم..؛ حفظا من المصائب والعوائد، ومن تقلبات الزمان حِسًّا ومعنىٰ، وحفظًا لهم من الدخول في دائرة الكفر والطغيان، وحفظًا لهم من الخذلان والخسران، يتخذون القرآن عقيدةً في الجَنان، وألفاظًا تجري علىٰ اللسان، وعملاً في الجوارح بالأركان، يتخذونه دستورهم.

ومن هذا ما رواه الترمذي رضي الله عنه، والدارمي، وابن السُّنّي، والمَرْوَزِي، وغيرهم في كتب السنة المشرفة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه، أَنّ رَسُول اللهِ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ حم الْمُؤْمِنَ[1] إِلَىٰ ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وَآيَةَ الْكُرْسِيّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُمْسِيَ وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِيَ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[2]، وهنا يُعلمنا رسول الله ﷺ أن القرآن الكريم مفيد في لفظه وتلاوته، كما أنه مفيد في معناه وأحكامه، وأن الإنسان إذا ما قرأ آية الكرسي -وفضلها معروف

---

(١) «المؤمن»، و«غافر»، كلاهما اسم للسورة الكريمة، ويقال: حم غافر؛ تمييزًا لها لأنها من السبعة الحواميم.

(٢) أخرجه الترمذي: ١٥٧/٥ برقم (٢٨٧٩)، والدارمي: ٥٤١/٢ برقم (٣٣٨٦).

مشهور بين المسلمين- وحم غافر إلىٰ ثلاث آيات منها أحاطته بكلأ الله ورعايته وعنايته.

فألفاظ القرآن مقصودة، وتضع الإنسان في رَصَدٍ لا يستطيع إنس ولا جان أن يخترقه، بعض الناس قد حوّل القرآن إلىٰ هذا فقط، وما نزل القرآن ليكون تميمة، ولا ليؤدي بالناس إلىٰ أن يختزلوه في ذلك، بل إن القرآن نزل لهداية البشر، ومن عِظَم شأنه، وأنه كلمة الله التي لم تُحرَّف لا في لفظها ولا في معناها، وأن الله ﷻ تكفل بحفظه، وأن هذه الحروف التي تتلىٰ، يُثاب الإنسان علىٰ تلاوتها في كل حرف عشرة، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[(١)]، إذا عرفت هذا فقد عرفت أن مزيّة هذا القرآن لا تتناهىٰ، وأن عجائبه لا تنتهي، وأنه لا يزال لا يخلَق عن كثرة الردّ[(٢)]، وأنه خارج الزمان والمكان، وأنه وكأنه يخاطبك الآن.. **فما معنىٰ أن القرآن يحفظك؟**

هيا بنا نتلو تلك الآيات البينات، التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ، ونعيش فيها في هذا الأسبوع دستورًا لنا، وتدبرًا في شأنها، يقول المولىٰ عز وجل:

---

(١) أخرجه الترمذي: ١٧٥/٥ برقم (٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أي لا يَبلىٰ علىٰ كثرة الترداد والتكرار، ويشير الشيخ ﵀ إلى الرواية التي أخرجها الحاكم في «المستدرك»: ٧٤١/١ برقم (٢٠٤٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، اتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَىٰ تِلَاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلَامٌ وَمِيمٌ». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ١-٩]، ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ هذه هي الآيات التي لو أَشْرَتَ بالثلاثة الأولىٰ منها، وأضفت إليها آية الكرسي -كما ورد في الحديث العظيم الشريف- حفظتك صباحًا حتىٰ تمسي، ومساءً حتىٰ تصبح.

إذن القضية ليست هي طلب التعاويذ والتمائم من القرآن، ولا القضية هي أن نقف عند معانيه وأحكامه ونؤمن بها، بل هو المعيشة في آيات الله صباح مساء، نُعلنها بألفاظنا، ونطلب الحماية والرعاية والعناية وصرف السوء من ربنا بها، ونؤمن بها، ونقوم بشأنها، ونوقعها علىٰ حياتنا الدنيا، نعم ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ إذن فهو حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو صدق، ووعده وموعوده صدق، تأخذه بالراحة من غير عناء، ولا شكٍ ولا ريب؛ فهو كلام رب العالمين، تنطلق منه بعد فهمك مراد ربك، عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ**

يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ»[1]. فقم لله بلا تلكؤ، ومن غير تأخر، بل بهمَّة تنطلق من هذا الكتاب الكريم في طريق ربك إلىٰ ربك ﴿ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا مثل له، وما دام لا مثل له فكلامه لا مثل له، لا يشبه كلام المخلوقين ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ وما دام (عليمًا) فهو كتاب علىٰ علم، مؤسس علىٰ الحقائق لا علىٰ الأوهام، ولا علىٰ الأساطير، ولا علىٰ الخرافات، تكلم عن الغيب وأثبت ملائكةً وجِنّا؛ فالملائكة والجن حق، وأخبرنا عن المغيبات: عن الجنة والنار؛ فالجنة والنار حق، وعن البعث والقيامة؛ فالبعث والقيامة حق، وأرشدك في هذه الحياة الدنيا إلىٰ الصراط المستقيم.

وكانت صفات جماله ﷻ غالبةً علىٰ صفات جلاله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ بدأ بالجمال، وهو غافر الذنب حتىٰ من غير توبة لمن يشاء، فأتىٰ بالواو وقال: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ و﴿ٱلتَّوْبِ﴾ جمع توبة، أو مصدر لـ (تاب) يتوب توبًا، وسواء أكان جمع توبة لأن الإنسان يتوب مرةً بعد مرة، أم كان مصدرًا لتاب يتوب توبًا، فالمصدر مُطلق خالص، غير مُقيد، سواء أكان ذلك أم هذا؛ فإنه قابل التوب، جمال في جمال...؛ تجلىٰ ﷻ بجلال جماله علىٰ الأكوان؛ فسبحت بحمده الكائنات... جَلَّ وَجْهُ اللهِ..

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩] هو الرحمن، وبرحمانيته استوىٰ علىٰ عرشه، وبها بدأ الخلق، وأرسل الرسل، وختمهم، وبها افتتح كتابه، وسبقت رحمته غضبه؛ فلا ملجأ منه إلا إليه.

ثم لا يأتي بـ (الواو) فيقول: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ وكأنها مفردة؛ حتىٰ لا يطمع الفاسقون في عفوه، ويؤذون المؤمنين.. حتىٰ لا يطمع الفاسقون والكافرون

---

(١) أخرجه الترمذي: ٤/٤٩٣ برقم (٢٢٠٩)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وابن حبان في «صحيحه»: ١٥/ ١١٦ برقم (٦٧٢١).

في عفوه، ويفسدون في الأرض؛ فيقول ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾....

ثم يرجع بعد ذلك لصفات جماله مرة أخرىٰ..؛ لا يطيق البشر أن يكون ربنا شديد العقاب؛ فيقول: ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ أي الفضل والعفو والرحمة، من بعد هذه الشدة ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦] فيجعل هذه الصفة (شدة العقاب) بين جمالين؛ بين غفران ذنوب وقبول التوبة، وبين الفضل الواسع من عنده ﷻ، والذي لا يحُدُّه شيء.

ويذكركم بأنه كما وصف نفسه بالعزة؛ فإنه لا شريك له، ويذكركم بيوم القيامة الذي هو محل الرحمة، كما أنه محل العذاب ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تدبر وتأمل، وهذه الصفات الست اجعلها أمامك، تعلق بجلاله، وتخلق بجماله، واستح من ربك... ثم بعد ذلك حدد موقفك من العالمين ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ وها نحن نرىٰ الكافرين يتقلبون في البلاد، وهم يشهدون علىٰ أنفسهم بالكفر، وبقلة الديانة والحياء والأدب مع الله ومع المرسلين ومع عباده المؤمنين، في الشرق والغرب يتسلطون علىٰ المسلمين، والله ﷻ يأمرنا بالصبر الجميل، ويأمرنا بالثبات الحميد، ويأمرنا بوضوح العقيدة في قلوبنا حتىٰ نلقاه، ويأمرنا بأن نزداد إيمانًا كلما رأينا هؤلاء.

فإن نحن فعلنا ذلك دخلنا في دائرة نور الله، نورٌ تراه الملائكة حملة العرش أعلىٰ أنواع الملائكة؛ لأنهم يحملون أعلىٰ أنواع الكائنات.. يحملون عرش ربنا ﷻ، فإذ بهم ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ يؤمنون به وهم لم يروه ﷻ، ويطلبون في الملأ الأعلىٰ ما تطلبه أيها المؤمن في الأرض.. وهذا رد علىٰ المُجَسّمة؛ لأنه ذكر الإيمان، ولو كان حاضرًا أمامهم ما ذكره مدحًا لهم، ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، كشأن الملائكة هناك.. ﴿ يُسَبِّحُونَ

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، أي: من المؤمنين، يستغفرون لهم؛ فانظر إلى ملائكة العرش العظيم، لتعلم كيف يبدأون استغفارهم ودعاءهم لك أيها المؤمن متضرعين ﴿رَبَّنَا﴾ فيستهلون بالاعتراف بربوبيته وبمدحه ﷻ، فهو الذي خلقنا وربّانا، وهدانا ووفقنا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ فقدموا الرحمة ﴿وَعِلْمًا﴾ وأخروا العلم؛ لأنهم يطلبون منه الرحمة ولا يطلبون منه أن يحاسبنا طبقًا لعلمه في شأننا، وكأن لسان حال العابد العارف بربه، -وهو الواسع علمًا، الواسع رحمةً- يقول: رب اغفر وارحم، واعف وتكرم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فكن تائبًا.. تب في هذا الأسبوع إلى ربك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ لا تقصر في صلاتك.. اذكر الله.. اتل حصتك من القرآن.. عامل جارك بالتي هي أحسن.. اغفر وارحم حتى يغفر الله لك ويرحمك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ فأثبت الشفاعة ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وفي نهاية الدعاء يمدحون ربنا، ويصفونه بما هو أهله، فيبدأون بالمدح والثناء، وينتهون بالمدح والثناء.

إذن يعلمنا ربنا كيف نتعامل مع ذلك العصر النكد، الذي تسلّط فيه الكافرون على المسلمين.. اثبت فإنك على الحق.. اصبر ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.. دُمْ..؛ فإن الله يحب من العمل الدائم[1]، و«كَانَ عَمَلُهُ

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». وَقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ». والحديث متفق عليه، البخاري: ٥/ ٢٣٧٣ برقم (٦١٠٠) واللفظ له، ومسلم: ١/ ٥٤٠ برقم (٧٨٢).

دِيمَةً»[1].. واستمِر في طريق الله حتىٰ لو لم تُحصّل الدنيا؛ فإن هناك يومًا آخر فيه وإليه المصير.. ادخل في القرآن بكُلك بلفظه ومعناه، بعقيدته وشريعته وأخلاقه، بمواقفه من الناس مؤمنهم وكافرهم، وادعوا ربكم.

وبعد..؛ عباد الله.. كنز بين أيديكم ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] لا يزال يُعطيك ويهديك، ويقوم بك إن أنت كنت من المتقين، فاللهم اجعلنا من المتقين، اغفر ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، نور قلوبنا يسّر غيوبنا، استر عيوبنا، اهدنا فيمن هديت، عافنا فيمن عافيت، تولنا فيمن توليت، بارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنَّا شر ما قضيت.....

(١) متفق عليه: البخاري: ٤٢/٣ برقم (١٩٨٧)، ومسلم: ١٨٩/٢ برقم (١٨٦٥).

الْقُرْآنُ وَالْوَاقِعُ الْمُعَاشُ

من أفكار الخطبة:

١- كلام الله الخالق الحي القيوم، هو سر ثبات المسلم، وسكينته، وتجاوزه للمحن.

٢- في القرآن الإجابة على كل ما يثار في الساحة الفكرية والسياسية، وما لم يُثَر.

٣- هل حرَّكت الأحداث في قلوبنا أن نسعى للوحدة فيما بيننا؟.. سؤال حائر!

٤- تأملات في القواقل الأربعة الأخيرة من القرآن.

٥- القراءة الواعية للواقع، ولما نتلوه من الذكر الحكيم تزيدنا إيمانا ويقينا.

٦- القرآن منهج حياة، وذكر، وفكر، وشفاء، وارتقاء بالنفس البشرية.

الْقُرْآنُ وَالْوَاقِعُ الْمُعَاشُ

أما بعد:

فإن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم أنزله ذكرًا للعالمين في لفظه، وذكرًا في معناه، نتلوه نطلب البركة، ونتلوه نطلب الحقيقة، ونتلوه نطلب المنهاج والعلم والتفسير والمعيار، قرآن ربنا ﷻ لا تزيغ معه الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، قرآن ربنا ﷻ محفوظ إلىٰ يوم الدين، قرآن ربنا ﷻ حبل الله المتين، هو الذي يهدينا إلىٰ سواء السبيل.

عباد الله.. ها أنتم ترون الأشرار والكفار ماضون في خططهم، ويحركون جيوشهم لضرب المسلمين في الشرق، ويرصدون بلاد المسلمين واحدةً تلو الأخرىٰ، ويقرُبون من بيت المقدس والكعبة، قلنا مرات إنهم يخيروننا بين الموت والموت، لا بين الموت والحياة، ولا حتىٰ بين الإيمان والكفر؛ فإن كان ولا بد للمسلم أن يموت فليمت في سبيل الله، يبتغي الجنة ورضوان ربه، يبتغي دائرة ربنا ﷻ التي أمرنا أن ندخل فيها، إن كان ولا بد للمسلم أن يُباد فليُبَد وهو علىٰ كلمة التوحيد، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

صفقتهم خاسرة، وسومهم خسيس دنيء، لا يرضىٰ به عاقل، ولا يرضىٰ به مؤمن، ولا يقبله تقي، فكرت في هذه الحال حين كانت الجيوش بغطرسةٍ تقترب من إخواننا المسلمين بالعراق، والله أعلم ماذا سيكون حال المسلمين بعد...

فكرت وتفكرت لا عن نسيان.. فالأقصىٰ.. بيت المقدس لا يدع مجالاً لنسيان!!!! وإنما هو هم الليل والنهار، وإنما هي الشجون؛ والحديث- كما الأحداث- ذو شجون[1]..!

والله أعلم إذا ما كان قد قُدِّر علينا أن نتّحد، أم أنه يدّخر في غيبه ﷻ شيئًا آخر!

والله أعلم إذا ما كانت هذه الفتن والمحن والإحن تحرك قلوب الناس، أو أنهم ينتظرون الموت كالغنم والشياه!

والله أعلم إذا ما بدأ أحدنا بنفسه فغيرها لله، أو أنه سيظل علىٰ حاله إلىٰ أن يلقىٰ ملك الموت، أو يلقاه ملك الموت!

والله أعلم أيلهج المسلمون بالاستعاذة بالله، والدخول في دائرة حماه، والامتثال لأمره ومنهاه، أو أنهم سيمكثون في الأرض يشجبون، ويضعون علىٰ المشاجب خيبة أملهم، وسوء حالهم، وتفكك كلمتهم...

كل ذلك في أمر الله وغيبه.

إنما الذي بين أيدينا **قراءة سياسية** لما نتلوه تعبدًا، ونتلوه تعوذًا، ونتلوه تبركًا، وهو كذلك؛ فإنما هو بركة، وإنما هو حصن حصين، يرد كيد الكائدين من الجن والإنس والكافرين، إنما هو أيضًا يعلِّم المسلمين منهج حياة، ويعلِّم المسلمين كيف يتعاملون ويفهمون الأحداث التي تجري حولهم.

---

(١) في المَثَل: (الحديث ذو شُجُون) يُراد أَنَّ الحديث يتفرَّق بالإنسان شُعَبُه ووَجْهُه، وقال أَبُو طالب: معناه ذو فنون وتَشَبُّث بعضه ببعض؛ قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلاً للحديث يستذكر به غيره. لسان العرب- شجن.

في القواقل الأربعة الأخيرة من القرآن[1] قراءة سياسية، فيها الإجابة على كل ما يثار في الساحة الفكرية والسياسية بين المسلمين وبين من سواهم، يسألون أول ما يسألون بزي الديمقراطية والحرية: من أنتم؟ فأجاب ربنا ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦]، فنفى المسلم عن نفسه عبادة غير الله تعالى، بنفي الاسم ﴿عَابِدٌ﴾، والفعل ﴿أَعْبُدُ﴾، وأثبت لهم الفعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنه فتح لهم الرحمة بأن يتوبوا وأن يرجعوا؛ فالفعل يفيد الحدوث والتجدد، والاسم يفيد الثبات والدوام، أما أنا فعلى الحدوث والتجدد ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وعلى الثبات والدوام ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ فالقاعدة التي بيننا وبينكم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، أثبت على ديني، الذي يُرضي ربي حتى يتوفاني، حتى يأتيني اليقين.

فإذ بهم يكشفون عن وجوههم ويسألون عن معنى كلمة الله، وتحدث هذه الكلمة عندهم كثيرًا من الحيرة ومن العداء، وكأن الله مختص بإله المسلمين، وكل بليةٍ يصفون بها الإسلام والمسلمين يلصقونها بذلك اللفظ الجليل الأعز، ويتساءلون فيما بينهم: تعبدون الله؟! من هذا؟ إلى الآن على شبكات (الإنترنت)، وفي كتبهم يسألون عن الله، ويطالبون المسلمين أن يغيروا اسمه، وألا يستعملوا في الترجمات (الله ALLAH)، بل يستعملون كلمة (DIEU-GOD) أو غيرها من كلام الأعاجم، أما الله.. جل وجه الله.. فإنه كُلَّما ذُكِرَ اشمأزَّتْ قلوبُهم، فيجيب ربنا ﷻ ويقول:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ

---

(١) أي السور الأربعة الكريمة التي تبدأ بقول الله تعالى: (قل)، وهي: سورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوذتين.

﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ردًّا على زعم الله الأبوة أو البنوة، سبحانه، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ردًّا على ملل الكفر كلها، وبخاصةٍ اليهود الذين شبّهوا ربنا بالإنسان-سبحانه- وجعلوا خسائسهم أعلى من ربهم، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

عَنْ جَابِرِ بن عَبْد الله رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَي الْفَجْرِ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ حَتَّىٰ انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَـٰذَا عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ**»، وَقَرَأَ فِي الآخِرَةِ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ حَتَّىٰ انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَـٰذَا عَبْدٌ آمَنَ بِرَبِّهِ**». فَقَالَ طَلْحَةُ: فَأَنَا أَسْتَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ(١).

وكذلك نحن نحب ما أحب الله ورسوله، ونسير على درب العارفين بربهم بإذنه، المؤمنين به بفضله ومنته، المصدقين بوعده وموعوده وجنته.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَىٰ مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَىٰ أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّىٰ تَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**يَا فُلاَنُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٦/٢١٣ برقم (٢٤٦٠).

لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ». فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»(١).

وبعدما قرر التوحيد، ونبه الناس لحقائق الدنيا، وأنه أخرج هذا العالم من الظلمات إلىٰ النور، ومن العدم إلىٰ الوجود ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] الذي فلق هذا العالم من العدم إلىٰ الوجود، ومن الظلام إلىٰ النور بالرسالة، وأعطانا أمثلةً كونية بأن الشمس تشرق كل يوم لكنها تغيب، وأنه لا دائم إلا وجه الله، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، وأن الظلام يأتي لكنه ينقشع، كل ذلك يشير إلىٰ أنه هو الذي يربي النفس البشرية..

إذا أردت خير الدنيا فعليك بالله، وإذا أردت خير الآخرة فعليك بالله، وإذا أردت أن تتقي مصائب ما هنالك فعليك بالله؛ إما يصدها عنك، وإما ينصرك عليها، وإما يتقبلك عنده ﷻ ويجازيك عليها، ففي كل حال من نصرٍ أو هزيمة أنت في معية الله، وفي كل حال من ضيقٍ وسعة إن الله معك وأنت في جواره ﷻ.

ففي المعوذة الأولىٰ نطلب منه ﷻ وقد وصفناه بوصف واحد ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ أشياءَ ثلاثة ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٢-٥].

إذن..؛ نطلب منه صلاح دنيانا، وإن كثر فيها الفساد، في هذه الثلاثة التي فسرت شر الخلق.

---

(١) أخرجه البخاري: ١/٢٦٨ برقم (٧٤١).

ثـم يـأتي فـي المعـوذة الثانيـة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٣] فنلتجـئ إليـه بـصفاتٍ ثـلاث، ونطلـب منـه شيئًا واحدًا: أن يقينا الفتن في ديننا؛ فنطلب منه أن يقينا شر الوسواس الخناس ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [النـــاس: ٥-٦] طلبٌ واحد، نلتجئ إليه باسمٍ واحد نطلب منه جملة طلب، ونلتجئ إليه بجملة أسماء نطلب منه طلبًا واحدًا.

يبين لنا ربنا أن نستعيذ به في شأن ديننا ودنيانا، فإن كان الخلل راجعًا إلىٰ دنيانا فلنُجمل في ذلك، وإن كان الشأن راجعًا إلىٰ أُخرانا وديننا فلنلتجئ ونكرر الالتجاء ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] وعبّر بالرب لأنه هو الذي يربي الإنسان ويرعاه، ويملك وحده أمر الكون كله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، وانظر إلىٰ سعة الكلام إنه فوق الجن والإنس، إنه فوق الأفكار والأحداث، إنه فوق الأشخاص والنُّظم.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٢-٣] انظر إلىٰ سعة الكلام.. (الغاسق): الظلام المظلم الشر ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ دخل، ولج، تمكّن، استمر.. كلمة غريبة في لغة العرب، لا نجدها كثيرًا علىٰ ألسنة الناس، لكنها لما جاءت هنا في ذلك السياق كان لها دِلالة تلك الحروف؛ (و ق ب) هي حروف (بقي)؛ فكأنه (وقب) ولكنه عكس البقاء فهو يزول، إلا أنه يستمر في العودة؛ فكل ما ذُبَّ آب كالذباب، وكلما رُدَّ عاد.

لو تأملنا كلمة ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ وجدناها مؤنثة، فليس (من شر النفاثين) بل ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ وكأنه يشير إلىٰ الجماعات؛ إذن (النفث) له حقيقة وظاهر، وله إشارة بأن فيه محاربة لله ورسوله، ماذا نفعل عندما نرىٰ الغاسق إذا وقب؟

وعندما نرىٰ الشر ممن خلق؟ وعندما نرىٰ النفاثات في كل مشكلةٍ من المشكلات؟ مطلوب منا أن نستعيذ بالله، وكيف نستعيذ بالله؟ نؤمن به ونُعلن توحيده ونمتثل لأمره، ونستعيذ به بألسنتنا وأفعالنا.

إذن مطلوب منك أيها المسلم أن تعيش الاستعاذة، لا أن تتلوها بلسانك فقط، أن تتفهم معناها؛ ثبات في الموقف، ووضوح في الرأي والفكر، ومواجهة شجاعة للمصائب والبلاء الذي يزحف علينا شيئًا فشيئا، واعلموا أن الأمر ليس منكم ببعيد، وأن بناء الإنسان لنفسه لتقبل هذه المصائب هو الذي عليه مدار النصر من الله ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]- ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

أيها المسلمون.. قراءة سياسية في القواقل الأربعة، لا تمنع من أن نحولها إلىٰ أذكار نتلوها بالليل والنهار، لا تمنع أن نستعيذ بها من الجن والإنس ومن شر ما خلق، إنما إذا ضممنا الفهم الواعي في قلوبنا وأذهاننا ونفوسنا، إلىٰ ما تتلوه ألسنتنا وتتوجه إليه ميولنا لكان خيرًا لنا... ادعوا ربكم.

أما بعد..؛ فإننا نسأل الله ﷻ أن يقينا شر خلقه، وأن ينقلنا من دائرة سخطه إلىٰ دائرة رضاه، وأن يُلقيَ في قلوبنا الهمة للعمل مع وحدة قلوب المسلمين، وأن يوفقنا للصبر في مواجهة أعداء الدين.. نسأله ﷻ إذا ما أرانا فيهم ما يعدُنا ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٩٤]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، شياطين الجن والإنس، الذين لا يرجون وجه الله، نسأله ﷻ ألا يسلط علينا بذنوبنا من لا يخافه ولا يرحمنا.

نسأله ﷻ أن يعيد الحمية في قلوب المسلمين؛ للدفاع عن سيدنا سيد المرسلين، وعن بيوت الله المقدسة الثلاثة: الكعبة البيت الحرام، والمسجد النبوي، وعن بيت المقدس، وعن من هو أعظم من ذلك... عن المسلم! نظر النبي ﷺ إلى الكعبة في يوم فقال لها: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إلاَّ خَيْرًا**»[1].

نسأل الله أن يرقق قلوبنا فيما بيننا، وأن يثير حميتنا وهمتنا عندما نتسامع بقتل طفلٍ مسلم في مشارق الأرض أو مغاربها، لو أن الحمية رجعت إلى قلوب المسلمين لهابهم الكفار، وصدق رسول الله ﷺ، فقد أخبر عما نحن فيه فقال ﷺ: «**وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ**». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[2].

(١) أخرجه ابن ماجه: ٢/ ١٢٩٧ برقم (٣٩٣٢).

(٢) سبق تخريجه، ص (١٢٦).

الْقُرْآنُ فَوْقَ الأَكْوَانِ

من أفكار الخطبة:

١- القرآن وفي كل آن.. كأنه نزل الآن!
٢- هيا بنا نؤمن ساعة..! نتذاكر.
٣- سورة الحجر.. أنوارٌ كاشِفة!
٤- كيفية التعامل مع الفتن.

الْقُرْآنُ فَوْقَ الْأَكْوَانِ

رسولنا الكريم جاء خاتمًا للمرسلين، من رب العالمين إلىٰ عباده أجمعين، إلىٰ يوم الدين، فتركنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، جاءنا من عند الله برسالة تتوافق فطرة الإنسان معها، وتصبو إليها، فيسعد الإنسان عند الطاعة كما أمر الله ورسوله، وتشقىٰ النفس البشرية عند المعصية، حقًّا إنها تلهو بالبهرجة وبالأضواء اللافتة، لكنها تكتئب بعد ذلك وتعود إلىٰ نفسها لوامة، وربنا ﷻ بين لنا في صدر (سورة الحِجْر) هذه الحقيقة التي بين المسلمين والكافرين، وهذا التداخل الذي قد يحدث في قلوب بعض الناس في الدنيا، بين الإسلام وبين الكفر، وبين المعصية وبين الطاعة قد يكون أيضًا في الآخرة، والمسلمون علىٰ محجة بيضاء كما تركهم وبشرهم بها رسول الله ﷺ(1)، ولايزالون.

فتعالوا نؤمن ساعة.. نتذاكر..

تفتتح السورة -مثل ما افتتحت غيرها من السور- بحروف مقطعة، تثبت

---

(1) عن الْعِرْبَاض بن سَارِيَة رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذَا لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَماذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ** -وفي رواية: علىٰ المحجّة البيضاء- **لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**». والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك»: ١/١٧٥ برقم (٣٣١). والمحجة: هي جادة الطريق، انظر فيض القدير: ٤/٦٦٤ رقم (٦٠٩٦).

أن القرآن فوق الحروف وفوق الأصوات، وأنه فوق عقول البشر أن تبلغ منتهاه، أو أن تصل إلىٰ سر تأثيره دون ما سواه، فتطلب له مثيلا في كلام الثقلين أو تتغياه.. لم تنته الجن إذ سمعته إلا وقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢]، وهتفوا ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

القرآن كلام الرحمن، ولا يستطيعه الثقلان.. القرآن فوق الأكوان، يعلو ولا يعلىٰ عليه، فهو غالب لا مغلوب، لله كم لجلاله وجماله خشعت من عقول! ويا كم لانت لذكره وتذكرته من قلوب! سمعه أقوام فخروا للأذقان سجدا يبكون، ومما عرفوا من الحق فيه فاضت العيون.

إنه كلام الله، حمل من الأسرار ما فوق ظاهره من الحروف، وما فوق تلاوته بالأصوات، وكله حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأعجز الخلائق في لفظه وخطه ومبناه، كما أعجزهم في معناه ومرماه، نزل به الروح الأمين، علىٰ قلب سيد الأولين والآخرين، ما أثقله! لولا أن الله جَلَّ جَلَالُه يسره بلسانه ليكون من المنذرين، وليكون ذكرا للعالمين، ولا يزال الله تَعَالَىٰ يمنح عباده من أنوار الفهم عنه فيه بقدر معلوم، ورزق من لدنه مقسوم، فتفاوت الناس بقدر تحمُّله شرفا، وتفاضلوا بقدر علمه قدْرا، وتساموا بقدر فهمه مراقيَ ودَرَجا، وأما الراسخون في العلم -وقالوا آمنا به كل من عند ربنا- فلا تسأل عن مكانتهم عند مليكهم تصديقًا وصدقًا؛ إنه بحقٍّ ميراثُ النبوة قائما باقيا في هذه الأمة الغراء، وهل ورثة الأنبياء إلا العلماء![1] هجره أقوام وما لهم من ناصرين، أما الصالحون فكان موردهم ومصدرهم، وما اتخذوا

(١) قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». أورده البخاري تعليقًا في: (١٠) باب العلم قبل العمل: ١/٣٧، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ١/٢٨٩ برقم (٨٨).

من دون الله وليًا ولا نصيرًا، بل اطمأنت بالذكر قلوبهم لمَّا ساروا علىٰ بصيرة، بأنوار المنزَّل عليه ﷺ، في قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

هو كلام الله، ولا تنفد كلمات ربي أبدًا، ولو كان البحر ومن بعده سبعة أبحر مدادا، وما في الأرض من شجرة أقلامًا، ولو جئنا بمثل ذلك مددًا، فهو القريب متناولا، البعيد مدىٰ، الجليل قدرًا، لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يزال غضًّا طريًا وكأنه نزل اليوم، وإنه حقًّا هدىً للمتقين وعمى علىٰ الكافرين، وقد أوصاك ربك بالتفكر فيه والتدبر والتأمل، وطلب العلم في سبيله، وأعلمك أنه لا يغلق معانيه عمن استهدىٰ بالله العزيز الحميد، ووعدَه كل من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، وعن عَبْد الله بْنَ مَسْعُود رضي الله عنه أنَّه كان يَقُولُ: «فَعَلَيْكُمْ بِهَـٰذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا مَأْدُبَةُ اللهِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَأْدُبَةِ اللهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ»(١).

ويخبرك باب مدينة العلم سيدنا علي رضي الله عنه:

وَكَـمْ مِـنْ عَائِـبٍ قَـوْلًا صَـحِيحًا * وَآفَتُـهُ مِـنَ الْفَهْـمِ السَّـقِيمِ
وَلَكِـنْ تَأْخُـذُ الْأَذْهَـانُ مِنْـهُ * عَلَـىٰ قَـدرِ الْقَـرَائِحِ وَالْفُهُـومِ

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿الٓرۚ﴾ [الحجر: ١]، والحروف المقطعة في أوائل السور هي نصف حروف الهجاء، ولو جمعناها لخرجت جملة جميلة تصف معناه: (نص حكيم قاطع له سر)، فالنون من قوله ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، و﴿صٓۚ﴾ [ص: ١]، وهو اسم سورة بحالها، والحاء في الحواميم السبع، والكاف والياء في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، والميم في ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]،

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع»: ٣٤٠/١ وقال: رواه البزار في حديث طويل ورجاله موثقون.

وفي ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد: ١]، وفي ﴿طسٓمٓ﴾ [الشعراء: ١] وهكذا لو تتبعناها وجمعناها؛ فالقرآن (نص) يؤخذ منه، كل حرف فيه له معنىً، وهو (حكيم) وحكيم على وزن «فعيل»، أي أنه «محكم» ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فصلت: ٤٢]، (قاطع) في ثبوته، و«قاطع» في هدايته، و«قاطع» في كونه كتاب حياة، و(له سر) ومن أسراره تلك الحروف التي ذهب فيها المفسرون كل مذهب، والتي لا يزال الإنسان وهو يقرؤها يشعر بصغاره -من بعد تحصيله علومًا شتىٰ- أمام كلام الله ﷻ.

والكلام واضح لا خفاء فيه، والعلو واضح، والفخامة واضحة، والعظمة بادية علىٰ كتاب الله ﷻ، من أول حرف تقرؤه فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿الٓر﴾ فإذ بك تفهم المعنىٰ، إلا أنك تقف مبهوتًا أمامه، وكأنك قد هيئت لتلقي كلام عظيم من رب عظيم ﷻ:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ
﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي
نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا
نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾
كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا
عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ
مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحجر: ١-١٥]، ويأخذ ربنا في سرد الآيات البينات..

ونقف اليوم عند قوله تعالىٰ: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ فـ (رُبَّ) للتقليل كما أن (كم) للتكثير؛ ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني أن الكافرين (قلةً منهم) يودون في قلوبهم أن لو كانوا مسلمين، ومعنىٰ هذا أن حجابًا كثيفًا بين الكافرين وبين المؤمنين المسلمين، يحول عن إسلامهم، وعن تمنيهم الإسلام.

بعض المفسرين حمل ﴿ رُّبَمَا ﴾ في قوله سبحانه: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] حملها علىٰ التكثير، وبعضهم حملها علىٰ تكثير ذلك يوم القيامة، حين يرون عصاة الموحدين يخرجون من النار؛ فيود الكافرون لو أنهم كانوا مسلمين في الدنيا، فيخرجون كما خرجوا، وورد بذلك نص صحيح[1]، فإذا ما نظرنا لعموم النص الحكيم، وما يحتمله من المعاني الصحيحة، والأوجه الحسنة، وهذا الواقع الذي نحياه، وجدنا أن بعض الناس ينكرون ما أنزل الله، ويدَّعون الإسلام، ويسارعون في الكفر، أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فهم يريدون أن يكونوا مسلمين لا من أجل إيمانٍ في القلوب، بل من أجل إفسادٍ في الأرض، وتشويش علىٰ المسلمين وعلىٰ عقائدهم الثابتة، وعلىٰ أحكامهم المنقولة المعلومة من الدين بالضرورة ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾.

---

(١) عن صَالِحِ بْنِ أَبِي طَرِيفٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ، يَقُولُ: «يُخْرِجُ اللهُ أُنَاسًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا يَأْخُذُ نِقْمَتَهُ مِنْهُمْ، قَالَ: لَمَّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ النَّارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَلَيْسَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ فَمَا لَكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ، فَإِذَا سَمِعَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَتَشَفَّعُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمَّا أُخْرِجُوا، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ، فَتُدْرِكُنَا الشَّفَاعَةُ، فَنُخْرَجُ مِنَ النَّارِ.....الحديث» أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ١٦/٤٥٧ برقم (٧٤٣٢).

وتظهر نغمة نشاز عقيمة تروّج لـ«الشذوذ الجنسي»! وهو أمر تأباه النفس، وتأبىٰ الكلام عليه، إلا أن آخر المبتدعات أن مجموعة تدعي الإسلام، ترأسهم من ترأسهم -وما رئيسهم إلا إبليس لعنه الله- ينشرون بلا حياء أن الشذوذ من الدين!! سبحانك ربنا.. هل نردُّ عليهم؟! وهل هذا يحتاج إلىٰ ردّ؟!! هل نتركهم يضللون الشباب وعموم الناس، ويخلطون أفكارهم..؟! في فتنة لا يزال الحليم فيها حيرانَ!![1] إن تكلم -وهو الحليم- تكلم فيما لا يعنينا ولا يخطر ببالنا، من فساد قبيح تأباه الفطرة وتعافه النفس، وإن سكت لا يسكتون ويفسدون ويشوشون؛ ليظهر علماء الدين وحماة الشريعة أنهم وكأنهم رضوا علىٰ هذا!! كأنهم رضوا بذلك وأقروه! بالرغم من أنه معلوم من الدين بالضرورة ولا يحتاج إلىٰ مزيد بيان!

تحت دعوىٰ الحرية.. وأخرىٰ -نأباها ولا نرضاها- شاذة مقننة -عند غيرنا لا عندنا- أن الشذوذ من الحرية الشخصية وحقوق الإنسان، ودعوىٰ المفسدين في الأرض -تخرج طائفة تعلن عن نفسها، فأنكروا المعلوم من الدين بالضرورة، ثم ذهبوا بلا حياء وبكل استهزاء- يدَّعون الإسلام! أي إسلام؟! حاشا للإسلام -وهو دين الفطرة الزكية- أن يكون دين الشذوذ والإباحية، تحت دعوىٰ الحرية الشخصية، أو أي دعوىٰ من الدعاوىٰ كانت..!! فإن الإسلام منها ومن أهل هذه الدعاوىٰ براء، وإن صام وصلَّىٰ وزعم أنه مسلم.

غير أن هناك طائفة من المنافقين، يظهرون ما لا يبطنون، والله ﷻ حذر

---

(١) عَن أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ قال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ فِتْنَةٌ بَاقِرَةٌ، تَدَعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَكَسِّرُوا السُّيُوفَ بِالْحِجَارَةِ» الحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط»: ٢/٦٥ برقم (١٢٦٣).

منهم في أول الذِّكْر الحكيم، وفضح أماراتهم، وكشف عن مرض قلوبهم، ثم لا يزال يصف أحوالهم، ويبرز أمام العالمين ما يكون خلف الأبواب من تبييتهم ومكرهم، حتىٰ لقد أوقعهم في شر أعمالهم، ففضحهم في لحن القول، وها قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر..

وقَومٌ لهم لَحْنٌ سِوَىٰ لَحْنِ قومِنا * وشَكلٌ -وأيمُ اللهِ- لسنا نُشاكِلُهْ!

أخزاهم الله في الدنيا، وجعلهم في الدرك الأسفل من النار في الأخرىٰ، ثم لا يزال الدين غضًّا طريًّا إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ما صفات أولئك...؟ الغرق في الشهوات ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٢].

ولهم في ظاهرهم أمارات ثلاث: أولها الأكل ﴿يَأْكُلُواْ﴾؛ غلبت عليهم شهوة الطعام، فشأنهم الأكل، وسعيهم للأكل، وكأنهم للأكل خلقوا.. والأكل مطلق، فماذا يأكلون!؟ لا يبالون أحلالًا كان أم من حرام؛ وبإطلاق الأكل صح أن يدخل فيه أكل أموال الناس بالباطل، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، أكل الدنيا بالدين، لا يهم..! المهم بل الأهم لديهم أن يأكلوا؛ ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ ﴾ المتعة: وهي ثاني الأمارات؛ لما طمس الله علىٰ قلوبهم ببغيهم، وأذهب نورهم، جعلوا أوقاتهم للمتعة، وأنفقوا أعمارهم فيها، وهذه المتعة متعددة بحسب الحال؛ فهي كلمة جامعة فذة، تشمل متع الجنس، ومتع الجاه، ومتع المال، لكنها كلها متعلقة بالدنيا فقط، ولا يتعلق منها شيء بالآخرة، ولا بوجه الله، ولا بذكره، ولا بالطيب من القول، وإنما لهو ولعب، وغرور، ﴿ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ ﴾ فهذه هي الأمارة الثالثة الظاهرة، فهم يؤملون في هذه الحياة

الدنيا أملًا كاذبًا خادعًا، ألهاهم عن حقيقتها، وما من أجله خلقوا فيها، ولا ترىٰ واحدًا فيهم يذكر الموت، ويأباه ويكرهه لأنه يكره لقاء الله.

أيها المسلمون.. آية يمكن أن نجعلها عنوانًا علىٰ هذا الفساد ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]، والحل: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٢].

إن أولئك الفسدة لا بد علينا من أن ننبه علىٰ فسادهم، والله ﷻ سيرينا فيهم يومًا هو أسود عليهم ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ ﴾ [التوبة: ١٤-١٥]، هؤلاء لا بد من التحذير منهم بصورة قاطعة حاسمة، لا ندخل معهم في نقاش، بل نقول لهم موعدنا ساحة يوم القيامة، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ونصفهم بما وصفهم الله به أنهم يأكلون ويتمتعون ويلهيهم الأمل، ونحذرهم بما حذرهم الله به ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوف يعلمون في الدنيا والآخرة، ثم بعد ذلك يهلكون كما أهلك الله الأمم ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤]، ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ ﴿مِن﴾ قد تكون للتأكيد؛ يعني وما أهلكنا قرية من القرىٰ التي أهلكت، أو تكون للتبعيض؛ يعني: بعض القرىٰ التي تستحق الهلاك وتركنا بعضها؛ حيث يؤخر الله العذاب علىٰ بعضها، ويعجل العذاب علىٰ الأخرىٰ ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ لا تتقدمه ولا تتأخره.

فالأمر بيد الله الواحد القهار، وما علينا إلا الإنكار، وتربية أولادنا علىٰ الصالحات، والتحذير من هذا البلاء تحذيرًا قاطعًا حاسمًا؛ لأنه كفر بالله ورسوله، ومسخ لفطرة الإنسان، وسعي في الأرض بالفساد، وصد عن عمارة الأرض، وتزكية النفس ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ

﴿ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٢-٤].

فيا أيها المسلمون ادعوا ربكم بالسلامة في هذا العصر النكد، ورَبُّوا أبناءكم، وأنكروا المنكر بألسنتكم وقلوبكم وأعمالكم، وتمسكوا بدينكم الذي تركه رسولكم لكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها؛ فلا تغتروا بالمفسدين ولا بمناصبهم، ولا بتصدرهم وعلو صوتهم، ولا بقدرتهم على نشر الكتب، وكتابة المقالات، وعمل البرامج الإذاعية والفضائية..!

اصبروا، صابروا، اتقوا الله، ربوا أنفسكم وأبناءكم، وانظروا إلى الغيب من ستر رقيق؛ فإنكم سترون فعل ربكم وحكمته فيهم... ادعوا ربكم.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد إلا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه، اللهم صَلِّ على سيدنا محمد في الأولين وفي الآخرين وفي العالمين وسلم تسليمًا كثيرًا، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وأتباعه الأبرار إلى يوم الدين.

هؤلاء المتبجحون ذووا الصوت العالي قلة، والكثرة والحمد لله منا على دين، نعم... فالخير سارٍ في هذه الأمة التي هي خير أمة للناس، وإلى أن يأتي أمر الله، وهذا الصوت النشاز الذي يصدر ممن لا يرجون الله، وباعوا دينهم حتى ليس بدين غيرهم ولا بدنياهم، إنما باعوه بلا شيء، هذا الصوت النشاز عما قليل سيخفت ويختفي بإذن الله ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أيها المسلمون.. إنها هجمة شرسة، وما هؤلاء إلا أبواق لغيرنا تصدر أصواتا بألسنتنا، ومن بيننا، وكل ذلك مردود صداه عليهم؛ فلعنة الله على الظالمين، والخيبة الخيبة لأولئك الفاسقين. ندعو الله ﷻ أن يحفظ علينا مصر المحروسة بأهلها وأوليائها وتاريخها، وعلمائها وأزهرها، اللهم يا رب العالمين أبقها محروسة كما جعلتها أبدًا، اللهم يا رب العالمين اغفر ذنوبنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا....

الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..

من أفكار الخطبة:

١- القرآن كلام الله يحكي الحقائق، ويكشف السنن الكونية.

٢- تاهت عقول المفكرين وتحيرت، فأجابهم القرآن، فعلموا واستشرفوا.

٣- المؤمن متوازن، دافئ القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال.

٤- نقاء السريرة، وصفاء الذهن، وصحة النظر- حكرٌ على العقل المنوَّر.

٥- شرفُ العِلم فوقَ كلِّ شرف..؛ فهل قرأنا باسم ربنا الذي خلق..!

٦- العدل والإنصاف سمة التفكير المستقيم.

٧- التفكير المعوج وعلاقته بالظلام والظلم معًا.

٨- عبادة الله، وعمارة الأرض، وتزكية النفس؛ هذي معالم دعوتنا في العالمين.

٩- ليس في الإسلام رجال دين، وإنما في الإسلام حمَلة.. نَقلة.. علماء دين.

١٠- حضارتنا كامنة نائمة..! مَن لنهضتها إذا استنمنا نحن؟!!

التِي هِيَ أَقْوَمُ

يقول ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩-١٧].

تذكرت هذه الآيات وأنا أقرأ نتاج المفكرين أو من ادَّعوا الفكر، ونتاج المثقفين في اجتماعاتهم أو من ادعوا الثقافة، وسألت نفسي: إلىٰ أي شيء هدانا القرآن؟ وربنا يصفه ويقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ فلأيِّ شيء هدانا وبمَ أمرنا، وما هذا الأقوم الذي هو أقوم من فكر البشر ومن ثقافة المدعين؟

خطر في بالي أن الله ﷻ قد أمرنا بعبادته وحده ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فمن كان من المفكرين والمثقفين قد خرج عن نطاق

الإيمان، بدعوىٰ حرية الفكر وحرية الاختيار والتي أتاحها الله للإنسان، بعد أن بين له البيان قال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، أعطىٰ لنا حرية الاختيار في الإيمان والكفر، بعد أن بين لنا عاقبة الكفر والظلم وأنها مظلمة.

أمرنا ربنا ﷻ بعمارة الأرض، وبعدم الإفساد والفساد فيها ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] طلب منكم عمارها.

أمرنا ربنا ﷻ بتزكية النفس وبالخلق القويم، في الكتاب والسنة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[1].

أمرنا ربنا ﷻ بالعلم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فهل قرأنا باسم ربنا.. ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»[2]، وشرف العلم فوق كل شرف.

أمرنا الله ﷻ بالتفكير المستقيم، فأمرنا ألا نلقي القول علىٰ عواهنه «شَذَرَ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: ٣/٦٧٠ برقم (٤٢٢١)، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أورده البخاري تعليقًا: ١/٣٧ في: (١٠) باب العلم قبل القول والعمل، ومسلم: ٤/ ٢٠٧٤ برقم (٢٦٩٩).

مَـذَر»[1]، ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام: ١١].

أمرنا ربنا ﷻ بالعدل والإنصاف ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أمرنا ربنا ﷻ بهذا التفكير المستقيم الذي يتقيد بالعدل ويتقيد بالإنصاف.

اجتمع المثقفون -ويا ليتهم لم يجتمعوا- في حرية لا تُلزم الإيمان بالله، فيا خيبة من كفر بالله، وفي وضع لا يلتزم بقيم؛ فيا وكسة من أراد أن يخرج عن قيمٍ وأخلاقٍ أرادها الله، وبتفكير معوج، يتكلم بلا برهان وبلا علم وبلا تأمل ولا تدبر، ينعون على المسلمين أنهم يقتلون المرتد، وأرجعوا تخلف البلدان الإسلامية إلى هذا إلى قتل المرتد، تخلفنا عن ركب الحضارة لأننا نقتل المرتد، وتخلفنا عن ركب الحضارة لأننا نرجم الزاني، وتخلفنا عن ركب الحضارة لأن بعض المسلمين يختنون الإناث، وتخلفنا عن ركب الحضارة لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونسمي الكافر كافرًا والمؤمن مؤمنًا، فإذا ما تركنا هذا..؛ فقد صور لهم تفكيرهم الغبي أننا لو تركنا هذا للحقنا بركب الحضارة، وتخلصنا من سلطان الدين ورجال الدين..! وليس في الإسلام رجال دين، وليس في الإسلام من يستطيع أن يشرع أبدًا، في الإسلام حملة، نَقَلَة، علماء، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَحْمِلُ هٰذَا الْعِلْمَ مِنْ كُل**

(١) يقال: ذهبَ القَوْمُ شَذَرَ مَذَرَ، وشِذَرَ مِذَرَ، أي: متفرّقين. انظر: لسان العرب- مادة: شذر، و: مذر.

خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[1].. ليس هناك هذا التعبير، ولا هذا الاستعمال -رجال دين-؛ فالموجود هو (علماء الدين).

وهيا بنا نرىٰ إذا ما تركنا ديننا كيف نلحق بركب الحضارة، وكيف نصبح من الدول المتقدمة، حقائق نتلوها علىٰ أذهان وآذان هؤلاء المثقفين، عسىٰ أن يتعلموا شيئًا لم يتعلموه، أو يسمعوا شيئًا لم يقرأوه، أو يفهموا شيئًا تغابوا عنه، أو لم يصل إلىٰ أذهانهم وأسماعهم.

في مصرنا هذا -وهو قائد البلدان الإسلامية بما فيه من تراث عميق، وقد كان دارًا للخلافة بعد انهيارها في بغداد، ونشأ فيه الأزهر الشريف يعلم الدين إلىٰ يومنا هذا، ويحفِّظ القرآن ويقرأه علىٰ العالمين بصوت ندي، كما كان رسول الله ﷺ يحب، لم يُقتل مرتد منذ ألف سنة، وكان آخر من قُتِل عمارة اليمني بحكم قضاء، ألف سنة لم نقتل فيها مرتدًّا، فهل لو رفعنا من الدين قتل المرتد وشطبناها من الفقه الإسلامي سنتقدم؟! إذا كنا لم نقتل مرتداً منذ ألف سنة ولم نتقدم... فكرٌ غير مستقيم.

لم نرجم زانيًا منذ ألف سنة، ومنذ ألف سنة لم يقم حد الزنا في مصر هذه، من قبل عصر المماليك حتىٰ جاء «قنصوه الغوري» في القرن العاشر الهجري وتعجب: لِمَ لا نقيم الرجم هنا؟! وأراد أن يُحْيي مآثر الأولين في إقامة حدود الله، ونبه علىٰ القضاة أنكم إذا أمسكتم بزانٍ فأخبروني حتىٰ أقيم

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن»: ٢/ ٢١ برقم (٢٦٩٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: ١/ ١٦٨ وقال: رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي كذبه يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه إلىٰ الوضع.اهـ وأخرج الخطيب في كتاب «شرف أصحاب الحديث» بسنده أن أحمد بن حنبل سُئل عن هذا الحديث وقيل له: كأنه كلام موضوع. قال: لا، هو صحيح. فقلت: ممن سمعته أنت؟ قال: مِن غير واحد.

عليه حَدّ الرجم، فأمسكوا بزانٍ غير محصن، وغير المحصن عليه الضرب والجلد فقط وليس عليه الرجم، فقال: علىٰ كل حال ارجموه، قالوا: هذا بخلاف شرع الله..! فعزل القاضي، وأتىٰ بقاضٍ آخر فرفض، فذهب إلىٰ محبس الرجل وأخذه فرجمه ظلمًا وعدوانًا وطغيانًا، حتىٰ دخل عليه العثمانيون وقالوا: إن ملكه قد ذهب؛ لأنه خالف شرع الله. منذ ألف سنة لم نرجم أحدًا؛ فهل تقدمنا؟! فليطمئن أولئك المفكرون بتفكيرهم المعوج، وليخبرونا عما في قلوبهم وأذهانهم، وعن تحميل تخلفنا علىٰ أمور لا علاقة لها البتة بتقدمنا أو تخلفنا!

في القاهرة هنا، وفي السعودية، وفي المغرب العربي، يكاد المسلمون لا يخْتِنُون البنات، منذ زمن طويل وشاع في القاهرة -منذ أكثر من خمسين سنة- عدم ختان البنات.. فماذا حدث؟ هل تقدمنا؟!

إذن...؛ القضية ليست في هذه المسائل..! القضية في شيء وراءها، وهو الإيمان بالله وبرسوله وبشرعه، فماذا يريدون؟! يريدون ترك الشرع الشريف، أو يريدون تغييره وتبديله!

تفكير غير سوىٰ وغير ناضج، تفكير مختل لا يريد مصلحة البلاد ولا العباد، تفكير معوج ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] لأنه يُعَلِّم التفكير المستقيم؛ لأنه يطالب الناس بالبرهان، ولأنه يأمرهم بالعلم قبل أن يهرف أحدهم بما لا يعرف....!

ادعوا ربكم.

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده،

وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ونبيه وحبيبه، فاللهم صَلِّ عليه صلاةً وسلامًا دائمين، وعلىٰ آله الأطهار وأصحابه الأخيار، يا رب صَلِّ علىٰ سيدنا محمد وآله ومن اتبعه بإحسان إلىٰ يوم الدين وجازه عنا خير ما جازيت نبيًّا عن أمته.

التفكير المستقيم الذي يأتي من التدبر والتأمل، والتفكر والتأني، والعدل والإنصاف، والعلم والتقوىٰ، والقراءة والعبادة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الذي يأتي بالبحث عن الحقيقة: الله والوحي الذي أنزله، والكتب التي أرسلها، والأنبياء الذين بعثهم، البحث عن الحق والحقيقة، الذي يجعل الإنسان يزكي نفسه عن الأغراض الدنيئة، وعن الأفكار السقيمة، التفكير المستقيم منهج حياة، وهو الذي أرشدنا الله إليه، تدبروا وتأملوا كتاب ربكم؛ فإنه يهديكم إلىٰ التي هي أقوم... فهدايته إلىٰ الأقوم علىٰ الإطلاق، وفي كل مناحي الحياة ومجالاتها، فكرا، وعقيدة، وسلوكا...؛

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، وثبت الإيمان في قلوبنا، وحببه لنا وزينه لنا، وكره لنا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

بِسْمِ اللّـهِ؛ مَعًا لِنَفْتَحِ الْكَنْزَ!

من أفكار الخطبة:

- الآنَ يا عُمَرُ...!

بِسْمِ اللَّهِ؛ مَعًا لِنَفْتَحِ الْكَنْزَ

أيها المسلم ليكن لك في نبيك ﷺ أسوة حسنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقد أمرنا الشرع الشريف بعدم التشبه بصفات المنافقين والمنافقات، والكافرين والكافرات والمشركين والمشركات، وحذرنا ربنا من النفاق وأهله، وأمر قلوب المؤمنين أن تبتعد عن صفاتهم، وأن تفعل أضدادها، وأن تتمسك بطاعة الله ورسوله، وأن ينقل أحدنا نفسه من دائرة سخط الله إلىٰ دائرة رضاه، اجعل يومك هذا بداية للخير، ومفتاحًا للكنز..

الآن الآن.. ابدأ بسم الله الرحمن الرحيم؛ قراءة للكتاب.. المسطور والمنظور.. عبادة لله، وإعلاء للهمة، وتخلُّقًا بالأخلاق الحسنة.. هذه اللحظة.. اجعلها بداية لعلاقة بينك وبين كتاب ربك لا تنتهي أبدًا، واجعلها مبدءًا بينك وبين ذكر ربك، ثم لا يزال لسانك رطبًا بذكره ﷻ، رهينة لشكره؛ فلا تكثروا ذكر الدنيا، والأشخاص، والأحوال، والأموال، لا تكثروا لا بحمد ولا بذم؛ فمن أحب شيئا أكثر من ذكره..! ومن أحب الله أحب كلامه، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما، يبلغكم عن رسول الله ﷺ: **«أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»**[1].

وكيف يكون هذا الحب! إنه لا يكون حتىٰ يكون أحب إلينا من كل شيء.

---

(١) أخرجه الترمذي: ٥/٦٦٤ برقم (٣٧٨٩) وقال: حسن غريب، والحاكم: ٣/١٦٢ برقم (٤٧١٦) وقال: حديث صحيحُ الإسنادِ، ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

واعلموا أن الله تعالى يغار؛ «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ»[1] «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الجَنَّةَ»[2]، وحرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة[3].

وأعظم ما في المسلم قلبه، فاحذر على حرمة قلبك أن تنتهك، فيدخل فيه غير محبة الله ورسوله وما والاه؛ أَبَتْ غيرة الله أن تجتمع في قلب واحد محبته ومحبة سواه، لا مما والاه؛ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

«اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[4]؛ إنك إذا أحببت الله رأيته ببصيرتك، لا تفرح بالنعمة وتنسىٰ المنعم، ولا تقف عند الصنعة وتنسىٰ من صنعها، وصنعته تعالى الكون كله، فلا ترىٰ الكون حتىٰ تراه؛ وهو -جل وجهه- مفارقٌ للأكوان، وهنالك تعلم كيف تسير في الكون بالحب، وكيف تتعلق بجلال رحمانيته، وكيف تتخلق بصفات جماله، فعند ذلك ستعلم من أرسله ربه رحمة للعالمين ﷺ، وستكون من أتباعه علىٰ بصيرة بإذن الله، وستعرف يقينا لِمَ افتتح الله كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم.

حُبَّ رسول الله ﷺ... الزمه.. لا تبرحه؛ اجعل حبه أحب إليك من مالك وأهلك وولدك، ومن الناس أجمعين، أقسم لك الحبيب الشفيع بالذي نفسه

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٦٩٨ برقم (٦٩٨٠).

(٢) متفق عليه: البخاري: ٦/ ٢٦٩٨ برقم (٦٩٨٠)، ومسلم: ٢/ ١١٣٦ برقم (١٤٩٩).

(٣) سبق تخريج ما يدل علىٰ ذلك من حديث رسول الله ﷺ، ص ١٥٥.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «المسند»: ٢٩٧/١٠ برقم (٦١٥٦).

ونفوسنا جميعًا بيده ﷻ، فقال ﷺ: «**وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَالدِهِ وَولَدِهِ**»(١).

أحِبَّ رسول الله ﷺ أكثر من نفسك؛ هو أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، وقلها كما قالها سيدنا عمر رضي الله عنه.. يروي لنا زُهْرَة بن مَعْبَد عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: وَاللهِ لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**». فَقَالَ عُمَرُ: فَلأَنْتَ الآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(٢).

فاللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها؛ نعم المولىٰ ونعم النصير.

عباد الله.. عنْ أَنسٍ عن النبيّ ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمان: أَنْ يَكونَ اللهُ وَرَسُولُه أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وأَنْ يَكرَهَ أَنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أَنْ يُقذَفَ في النَّار**»(٣).

نعم...؛ إن للإيمان حلاوة، لا يعرفها إلا من ذاقها؛ ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، وشرف العلم فوق كل شرف، فأحب -إذ أحببت- لله، وأبغض -إذا أبغضت- في الله؛ والحب والبُغض من الأعمال القلبية التي تظهر علىٰ الجوارح، ولا يثبت علىٰ الإيمان إلا من خالطت بشاشة الإيمان قلبه.

يقول الحبيب المصطفىٰ ﷺ: «**لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ**

(١) متفق عليه، البخاري: ١/١٤ برقم (١٥)، ومسلم: ١/٦٧ برقم (٤٤).
(٢) أخرجه أحمد: ٢٩/٥٨٣ برقم (١٨٠٤٧).
(٣) متفق عليه، البخاري: ١/١٤ برقم (١٦)، ومسلم: ١/٦٦ برقم (٤٣).

يُحِبَّ لِلهِ تَعَالَىٰ، وَيُبْغِضَ لِلهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَبْغَضَ لِلهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ»(1).

ويقول ربنا عز من قائل: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

صفات ثلاثة تبتعد عنها؛ فلا تأمر بالمنكر، ولا تنه عن المعروف، ولا تقبض يد العون، ولكن كن عونًا لإخوانك على الخير، ولتكن عونًا للمسلمين على قيام الدين فينا، ولتكن عونًا برأيك، بقلبك، بفعلك لما أمر به الله ورسوله، واستقر في أوساط المسلمين..؛ ولا تلتفت..

لا تلتفت إلىٰ من ينهىٰ عن الصلاة، ولا إلىٰ من يتكبر عن ذكر الله، ولا إلىٰ من يريد أن يغير شرع ربنا ﷻ في المواريث، ولا من يريد أن يخل نظام الكون بمساواةٍ مُدَّعاةٍ بين الرجل الذي أقامه الله للسعي والعمران، وبين المرأة التي أقامها الله ﷻ ليخرج منها الجنين بعد أن نفخ الله فيه من روحه داخل رحمها، ولتخرج منها هذه الحياة في الأرض، حتىٰ لقد سمىٰ الناس المرأة باسم الأم، وباسم الأرض، وباسم البحر، وحباها النبي ﷺ بأن أطلق عليها من أسماء الله ﷻ (الودود)(2)، في إشارة أن المرأة مكرمة عند العقلاء، وهي في مكانها تفرح بأنوثتها، والمرأة المسلمة رهان الكافرين الآن، ينبغي

(1) رواه أحمد: ٣١٧/٢٤ برقم (١٥٥٤٩).

(2) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٣٣٨/٩ برقم (٤٠٢٨).

عليها أن تتحجب كما أمرها الله ورسوله بذلك، ويجب عليها أن تعف نفسها، وأن تربي أبناءها على العفة والصلاح، فالمرأة المسلمة عفيفة، أمرها الله بالعفة، ونهاها عن الفحشاء والمنكر والبغي.

إياكم أن تأمروا بالمنكر، أو أن تنهوا عن المعروف، أو أن تقبضوا أيديكم بخلاً في الإنفاق، ولكن أنفقوا.. عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلأَىٰ لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»[١]، ومن شد الوكاء[٢] هنا في الأرض شد الله عليه الوكاء في السماء...؛ افتح، تبرع، أخرج زكاة مالك، تصدق، قم بالناس ممن حولك على قدر طاقتك، أحب الإنفاق في سبيل الله؛ حتى تخرج من صفة من صفات المنافقين والمنافقات يقبضون أيديهم، لكن المؤمن كريم، و«**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[٣].

وكان يخزن قوت سنته لأهله[٤] -يُشَرِّع لأمته-، فتخبرنا كتب السيرة أنه لا تمضي إلا أيام قليلة فلا تجد عنده شيئًا ﷺ؛ لأنه أنفقه على من حوله، فقلبه معلق بالله، بأبي أنت وأمي يا سيدي يا رسول الله، صلوا على النبي المجتبى

---

(١) أخرجه البخاري: ١٧٢٤/٤ برقم (٤٤٠٧).

(٢) الوكاء: الخيط الذي تُشدّ به الصُّرَة والكيس وغيرهما. لسان العرب – مادة: وكى، وهذا التعبير كناية عن البخل.

(٣) متفق عليه، البخاري: ٦/١ برقم (٦)، ومسلم: ١٨٠٣/٤ برقم (٢٣٠٨).

(٤) أخرج البخاري: ٢٠٤٨/٥ برقم (٥٠٤٢) ٥٣٥٧ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ.

والحبيب المصطفىٰ ﷺ، وعلموا أولادكم حبه، اللهم صلِّ عليك يا سيدي يا رسول الله كما ينبغي لقدرك عند ربك، اللهم صَلِّ عليك يا سيدي يا رسول الله، يا من تركتنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه صفتهم: لم ينسوا الله ولم يقبضوا أيديهم، ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، نهانا ربنا عن نسيانه؛ فلا تنسوا ربكم، وأمرنا بأن نأمر بالمعروف وأن ننهىٰ عن المنكر، وأن نصبر علىٰ ما أذانا، وعلىٰ ما أوذينا فيه ﷻ، فاصبر أيها المسلم إذا نزل البلاء، اصبر لربك، لا لأحد من الناس ولا لنفسك، إنما اجعل كل شيء خالصًا لوجه تعالىٰ؛ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[1]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ١٩-٢١]، فما بالك أيها المسلم وهذا القرآن قد يُسِّر لك ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]..!

معكم كنز تعيشون به في حياتكم فلا تتخلوا عنه، انشروا القرآن في كل مكان مقروءًا ومسموعًا ومفسرًا، واشتغلوا بحفظه واشغلوا أوقاتكم به، تدبروه، اجعلوا منه حصة في كل يوم، لا تقطعوا حالكم مع القرآن، فهو الذي سيرشدنا لما فيه رضاه ﷻ، حبل الله المتين وكلمته الأخيرة للبشرية، وقد مَكّنكم الله من الاطلاع عليها بكل سبيل.. فما لكم؟! ما لكم تتخذون القرآن

---

(١) متفق عليه، البخاري: ١/١ برقم (١)، ومسلم: ١٥١٥/٣ برقم (١٩٠٧).

وراء ظهوركم؟! ما لكم لا تعيشون معه بالليل والنهار، وهو كنز لا يُقَوَّم بقدر، ولا يقدَّر بمال؟! ما لكم لا تهبُّون إليه فتشتغلون به فيرضىٰ الله عنكم؟!

أيها المؤمنون.. حالنا خطير، والأمم قد تكالبت علينا وهم حولنا من كل مكان، ومعنا سلاح ما بعده سلاح، والناس جميعًا في الأرض يحتاجون إلينا، فما بالنا لا نريد أن نرجع إلىٰ كتاب ربنا وسنة نبينا، ونحيي هذا في قلوبنا وفيمن حولنا من الناس!! اذكروا الله علىٰ كل حال؛ فقد كان نبينا ﷺ يذكر الله علىٰ كل حال، وكان يقرأ القرآن علىٰ كل حال إلا أن يكون جنبًا[(١)]، فكان يتطهر له وكان يستقبله، والله سبحانه وتعالىٰ جعل القرآن هداية، ولكن.. لمن؟ للمتقين؛ وقد قال ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(٢)].

تركنا رسول الله ﷺ بعد أن علمنا برنامجنا اليومي، فأمرنا بالوضوء، وأمرنا بالصلاة وأمرنا بالذِّكْر، وأمرنا بالصدقة، وأمرنا بالتلاوة، وأمرنا بأن نعمر الأرض، وأمرنا بأن نكف أذانا عن الناس، وأمرنا بأن نزكي أنفسنا من داخلنا، وعلمنا الأخلاق وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[(٣)] فتوافق هذا كله مع القرآن الكريم، إذا أقمته في نفسك عرفت كيف تطبقه من سيرة نبيك ﷺ ومن سنته.

أيها الناس.. قال ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وأمرنا أن نذكره وأن نذكر شرعه وأن نذكر اليوم الآخر،

---

(١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «لَمْ يَكُنْ يَحْجُبُهُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جُنُبًا». أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٨٠/٣ برقم (٨٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي: ٣٥٥/٤ برقم (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سبق تخريجه: ص١٧٢.

وجعل لمن نسيه العذابَ المقيم ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ [السجدة: ١٤]، فلا نريد أن نكون ممن نسي الله ﷻ.. اذكروا الله في كل وقت وحين، وأكثروا الصلاة على النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ، اذكر الله فإن ذكر الله ينور القلوب، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب، اذكروا الله فإنه خير ممن خرج في سبيله يقاتل المشركين، وكانت نيته ليست خالصة لله..[1].

فاللهم يا ربنا حنن قلوبنا لذكرك، اللهم يا ربنا نور قلوبنا بذكرك، اللهم يا ربنا أعنا على ذِكرك وشكرك وحسن عبادتك.

(١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا لِدَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ وَيَضْرِبُونَ رِقَابَكُمْ؟ ذِكْرُ اللهِ ﷻ». أخرجه الحاكم: ٥٦٤/٤ برقم (٨٥٨٣)، وصححه، وتعقبه الذهبي فوهّى سنده، وأخرجه أحمد: ٥١٥/٤٥ برقم (٢٧٥٢٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣/١٠): رواه أحمد وإسناده حسن.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾

من أفكار الخطبة:

١- ما عرفوه ﷺ، ولا أبصروه - لما لم يروا فيه إلا يتيم أبي طالب.
٢- المرء عدو ما جهل!
٣- يجهل المرء نفسه، فيشقيها وهو يظن أنه يسعدها.
٤- النفس مخلوق عجيب قد تأمر بالسوء، ولكنها لا تطمئن ولا تسعد إلا بالله.
٥- اقرأ وتدبر كلام الخالق جل في علاه.. لتعرف.

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾

ربنا ﷻ رب العالمين أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره الكافرون، وأقامنا في الدعوة ندعو الناس إلىٰ سعادة الدارين، ربنا أنزل القرآن حتىٰ يخرجنا من الظلمات إلىٰ النور بإذنه، وأرسل رسوله رحمة للعالمين كافة.. للناس أجمعين.

رؤوس الكفر يقولون للنبي ﷺ: يا محمد!- وهم لم يروا فيه إلا يتيم أبي طالب؛ ما رأوا نور النبوة، وإلا لاتبعوه وآمنوا به وخرجوا من ضلالهم، كما لم ير نور النبوة أولئك الذين لم يصدقوا به إلىٰ يوم الدين، ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

يقولون: يا محمد! تترك دين آبائك إنك لشقي! قال: ما أنا بشقي إنما أرسلني الله رحمة للعالمين، قالوا: إذن تشقىٰ! قال: لا أشقىٰ وإنما أرسلني الله رحمة للعالمين، قالوا: يا محمد إنك لشقي، فأنزل الله ﷻ كلامه يتلىٰ في المحاريب إلىٰ يوم الدين..

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [طه: ١-٩]..(١).

آيات تبين دعوة المسلم في العالمين وترد على مزاعم الكافرين إلى يوم الدين وتخاطب الإنسان في كل مكان إلى قيام الساعة.

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ لأن فيه سعادة الدارين، ونبأ من قبلنا وحكم ما بيننا، لا تنتهي عجائبه ولا يخلقُ من كثرة الرد، فاللهم يا ربنا اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وجلاء همنا وحزننا، واجعله ينقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك، فهّمنا منه مرادك يا أرحم الراحمين.

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ هي صفة هذا الكتاب، فيها رد على كل مزاعم الكافرين إلى يوم الدين، فإنهم يدَّعُون مرة أن من آمن بالله ضل الطريق، ومن آمن بالله اهتدى، إنما هم الذين ضلوا الطريق يريدون فسادًا وعلوا في الأرض ويأبى الله إلا أن يتم نوره، يقولون مرة إن التكاليف التي تكلفون بها أنفسكم -وكأننا نكلف أنفسنا من عند أنفسنا ومن هوى أنفسنا، وما كلفنا أنفسنا وإنما قلنا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]-

(١) قال مقاتل: قال أبو جهل بن هشام، والنضر بن الحرث، للنبيّ ﷺ إنّك لتسعى بترك ديننا. وذلك لما رأوا من طول عبادته وشدّة اجتهاده. فإننا نراه أنّه ليس لله وأنّك مبعوث إلينا، فقال رسول الله ﷺ بل بعثت رحمة للعالمين، قالوا: بل أنت شقيّ، فأنزل الله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ فَإِنَّ قَوْمَهُ قَالُوا: لَقَدْ شَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ بِرَبِّهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ﴿طه﴾ يَعْنِي: يَا رَجُلُ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. رواه ابن جرير الطبري في تفسيره.

وعَنْ الضَّحَّاك: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآن عَلَى رَسُوله ﷺ قَامَ بِهِ هُوَ وَأَصْحَابه، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْش: مَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآن عَلَى مُحَمَّد إِلَّا لِيَشْقَى، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

يقولون: إن هذه التكاليف شاقة على البشر، تعطلكم عن أن تنطلقوا في الأرض! هي تعطلنا عن الفساد، وتدفعنا إلى الرحمة بالعباد، هي تحجزُنا عن النار يوم التناد، إنما هي سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة، أن يكون قلب المؤمن دافئًا وليس بحائر، قلب المؤمن يعرف من أين نحن، وماذا نفعل هنا، وإلى أي مصير سنكون، يكفي هذا للخروج من النار التي دخلوا فيها في الدنيا قبل الآخرة ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] نعم إن مع العسر يسرًا، إن مع العسر يسرًا ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٥-٨].

نعم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ لكن أنزلناه ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣] يخشى ماذا؟ يخشى تنزيلاً؛ فنصبت هذه الكلمة لتعلقها بهذه الحالة(حالة الخشية)، يخشى تنزيلاً، قد أنزل ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ عبر عن السماوات بـ (العلى)، ليظهر لعباده أجمعين مؤمنهم وكافرهم أن الذي خلق هذه السموات أعلى منها، وأنه على كل شيء قدير ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، أو أن تتعلق كلمة ﴿تَنزِيلًا﴾ بـ (أنزلنا) أنزلنا تنزيلاً؛ لأن معناها: أنزلناه هدى للناس تنزيلاً، ويكون المفعول المطلق في لغة العرب تأكيدًا حقيقيًا يُخرج الكلام عن حد المجاز، ولا يجوز بعدئذٍ أن يكون هذا التنزيل مجازًا من أي وجه كان، فربنا ﷻ يبين لنا مصدر هذا التنزيل، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ جل جلال الله هو الذي قهر السماوات والأرض، وقهر عباده بما فيهم

أعظـم مخلوقاتـه (العـرش) ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٥-٦]، والله ﷻ عليم بذات الصدور، عليم بالقول إذا جهرت به، عليم بالسر إذا أسررته، عليم بالباطن حتىٰ لو لم تفكر فيه، الظاهر والسر والأخفىٰ من السر، فما بالك بما قد أبلغناه أو بما قد قلناه، وقال ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، فَهُوَ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[1]، فاللهم سلم سلم ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا بما صدر من الجاهلين واهدهم إليك يا رب العالمين.

أما بعد..؛ فيا أيها المؤمنون.. وصف الله ﷻ القرآن في هذه الآيات بأنه الكتاب الذي سيحقق سعادة الناس في الدنيا دون شقائهم، علىٰ مستوىٰ الفرد وعلىٰ مستوىٰ الجماعة، وعلىٰ مستوىٰ الأمة، ووصف الله ﷻ القرآن بأنه تذكرة ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ووصف الله تعالىٰ كتابه هذا بأنه من عند الله، وكفاك أن يكون من عند الله لأجل أن تسلم له قيادك، وأن تتدبر فيه لتحصل مراد ربك منك، ووصف الله ﷻ نفسه بأنه مطلع عليك، في ظاهرك وفي باطنك، في نواياك، وفي شهواتك وفي رغباتك، وفي سلوكك، وفي أعمالك، فـ «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[2]، واتق الله؛ فإن الله ﷻ أهل التقوىٰ، ووصف الله ﷻ نفسه بأنه قدير علىٰ كل شيء، وأنه متعالٍ عن كل شيء، وأنه قد استوىٰ علىٰ العرش الذي هو أعظم المخلوقات، فما بالك بما هو أدون من

(١) متفق عليه: البخاري: ٥/٢٣٧٧ برقم (٦١١٣)، ومسلم: ٤/٢٢٩٠ برقم (٢٩٨٨).

(٢) سبق تخريجه، ص: ١٨٥.

ذلك! ووصف الله نفسه بأنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير؛ فإذا أردت أن تلجأ فالجأ إلى الله، وإذا أردت أن تستعيذ فاستعذ بالله، وإذا أردت أن ترضى فارض عن الله، وإذا أردت أن تتوكل فتوكل على الله، وإذا أردت أن تنال سعادة الدنيا والآخرة فعليك بالله.. واحدٌ أحد فرد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

تأملوا وتدبروا في مطلع هذه السورة التي أعلن الله فيها على العالمين، وردَّ على الكافرين، ووصل صف الرسل أجمعين؛ فشرع بعد ذلك يحدثنا عن موسى.. ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: ٩].

ادعوا ربكم..؛ إنه على كل شيء قدير، أن يزيل أزمة المسلمين، وأن يخرجهم من ورطتهم أجمعين، وأن يوحد قلوبهم، وأن يرفع أيدي الأمم عنهم، وأن يرد لهم أوطانهم، وأن يعينهم على حسن عبادته كما يرضى.

حِزْبُ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ

(١)

من أفكار الخطبة:

١- الإسلام دين الفطرة، وهو الحقيقة الكبرى عند ذوي الفطرة السليمة.

٢- الناس فريقان..؛ سنة كونية لا تتبدل على مر العصور، وكر الدهور.

٣- إذا صرف الإنسان وجهه عن الحق تولاه الشيطان؛ يتلاعب به تلاعب الصبيان بالكرة؛ فهو في المتاهة العظمى.

٤- إياك والكبر؛ هو طريق الخروج من دائرة الرحمة النورانية.

٥- الكِبْر حجاب ظلماني كثيف؛ أعماهم فأنكروا الحق، واحتقروا الخلق.

٦- حزب الشيطان: استكبروا في أنفسهم، واختلطت عليهم الأوراق، وزين لهم الشيطان أعمالهم؛ فأرادوها عوجا، وميلا عظيما.

٧- إذا رأيت العدو يتكبر فانتظر هلاكه عاجلا أو آجلا.

٨- سُنَّة الله في كونه أنه يهدم الحضارات على رؤوس من طغى بها.

حِزْبُ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ (١)

لم تزل العصور والدهور والأزمان تتقلب علىٰ بني الإنسان، وكلام ربنا الرحمن، الذي أنزله في القرآن هدى وشفاء لما في الصدور.. ما زال ربنا يكلمنا -فهو ما زال يتكلم- كما أنزل علىٰ قلب نبيه الكريم هذا الكلام الشريف؛ فإنه يخاطبنا وكأنه نزل الآن بعد كر الدهور والعصور..

﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورىٰ: ٧].. لا يزال في العالمين من هو من حزب الله، ومن هو في حزب الشيطان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، والقضية لا تتعلق بحياتنا الدنيا، بل يربطها ربنا دائمًا بالآخرة؛ لأن ﴿ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، يعني هي قمة الحياتين، نعم..؛ هي الحيوان، هي الحياة الحقيقية، وليست كالحياة الدنيا التي لا تمكث في زمان الله إلا قليلاً، علىٰ مستواها الأصلي من بدء الخلق إلىٰ يوم القيامة، وعلىٰ مستواها الإنساني حيث يعيش الإنسان في الأرض أيامًا معدودةً، ثم يعود بعد ذلك إلىٰ ربه.

أيها المسلمون.. حقيقة الحقائق هو الإسلام، ويكاد أن يكون الإسلام هو الحقيقة الوحيدة التي يراها الإنسان ذو الفطرة السليمة في هذا العالم، ولذلك من ترك الإسلام، أو لم يهتد إليه، أو حاربه وحارب أتباعه، أو كرهه وكره نبيه؛ فإنه يكون قد تاه في تلك المتاهة العظمىٰ، ويكون قد ولىٰ ظهره للحقيقة، وجعل وجهه للشيطان يتلاعب به حيثما يريد؛ تلاعب الصبيان بالكرة.

الناس فريقان: فريق يهتدي بالكتاب المبين، ويعرف قيمته، ويؤمن به، ويستهدي الهُدىٰ منه، ويطبقه علىٰ نفسه، وفريق آخر لا يعتد بالكتاب ولا يراه، ويَحكي ربنا ﷻ عن الفريقين، ويربط ذلك كله بيوم القيامة؛ لأن الحياة الدنيا محدودة محصورة في قِبَل الإنسان، وقد لا يستطيع أن يتم فيها البحث -تمام البحث- بعقله المجرد، أو بتجربته البسيطة، وإن لم يستعن بالله، ويَستَهدي بالله، ويمتن بمنن الله عليه؛ فيحمد الله ﷻ علىٰ نعمة الإسلام، ويدعوه تمام الإيمان ويقول: اللهم أتمم علينا إسلامنا وإيماننا- فهو قد تاه مع التائهين.

يقول ربنا ﷻ -يصف ما نعيش فيه في هذا العالم اليوم- وكأنها آيات نزلت إلينا الآن، في هذه اللحظة، وهذه السنة:

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢]، فعلاً ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾، وسبب ذلك أنهم يريدون أن يعيشوا في الحياة الدنيا كما يشاءون لا كما يريد الله؛ فأنكروا أول ما أنكروا الآخرة، نَحَّوْها من الطريق وعاشوا حياتهم، في شهواتهم، في قبائحهم، في شذوذهم، في أفكارهم البالية، في خرابهم للأرض والبيئة، في تحطيمهم للإنسان، في كفرهم وإلحادهم.

كل ذلك لأنهم يريدون أن يتبعوا الشهوات، كل ذلك بدأ بإنكار الآخرة... وتجلس مع أحدهم فترىٰ أنه لا يرىٰ إلا نفسه، وأنه مستكبر علىٰ كل شيء بعد أن نَحَّىٰ الله من الحياة.

﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ ﴾ [النحل: ٢٢-٢٣] لا جرم: تركيب عربي معناه (حقًا)، والحقُ هو الثابت، وهو الحقيقة، وهو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالىٰ، ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ يعني: حقًا ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣]... ربُنا لا يحب المستكبرين يا أيها المسلمون!

وهنا إخبار وإنشاء -الله لا يحب المستكبرين- حقيقة وضَّحها القرآن أجلىٰ ما وضح، فهذا الخبر، ومتضمن للإنشاء علىٰ سبيل النهي؛ أي: لا تكن أيها المؤمن من المستكبرين، ولا من أتباع المستكبرين؛ حتىٰ لا تدخل في دائرة غضب الله عليك.

إياك إياك أن تتكبر علىٰ الخلق... أما الخالق ﷻ فهو منزه عن ذلك بذاته؛ ومن الذي يتكبر عليه!!! لا أحد يستطيع أن يتكبر علىٰ الخالق، ولكنهم قد نسوه وأخرجوه من حياتهم؛ حتىٰ تطمئن قلوبهم المريضة بحياتهم الدنيا، من غير أن يلتفتوا إلىٰ شيء غير ذلك، واستكبروا علىٰ الدعاة إلىٰ الحق، ظنًّا منهم أنهم فوق هؤلاء؛ ولذلك لما سئل النبي ﷺ عن الكِبْر قال: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

فيا أيها المسلم.. لا تتكبر ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾. وفي هذا بشرىٰ للمؤمنين؛ لأن مفهوم المخالفة معلوم، أي: إنه يحب المسلمين المنقادين للحق، المتبعين للرسل وللآمرين بالقسط من الناس؛ فإن رأيتم عدوكم ومن أراد إبادتكم، ومن أراد هلاككم، ومن أراد أن يتدخل بين عظامكم ولحمكم من المستكبرين، فاعلموا أنهم في دائرة غضب الله وأنهم يسيرون إلىٰ الهلاك آجلاً أو عاجلاً، فتمسك أيها المؤمن بتواضعك لرب العالمين؛ حيث تنتمي لأمة ساجدة له ﷻ آناء الليل وأطراف النهار، لا تتكبر، حتىٰ تكون في دائرة رحمة الله ونظره ﷻ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، فعلاً كلما جلسنا معهم يعاملون القرآن وكأنه أسطورة جاءت من عقلية الخرافة،

---

(١) بطر الحق: دفعه وردّه، وغمط الناس: هو احتقارهم وازدراؤهم. والحديث أخرجه مسلم: ٩٣/١ برقم (٩١).

ومن عالم وراء هذا العالم الذي قد عبدوه من دون الله وجعلوه صنمًا، وجعلوه حجابًا بينهم وبين ربهم، ومن أجل ذلك فهم لا يؤمنون بالغيب، ومن أجل ذلك اختلطت عليهم الأوراق، ومن أجل ذلك عاشوا هذه الحياة التي قد انحطت عن حياة الحيوان.

نعم.. يقولون -وقولهم الباطل- ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، لا يدخل معهم الله ﷻ في ترتيب أدلة معلومة يتوصل بها إلىٰ مجهول.. ويقيم عليهم البراهين والحجج، بل يقول: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

نعم... إذا جلست تناقش هذا الصنف من الناس، وهذا الصنف من العقل الخرافي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، وينكر الموجود ولو كان حقًّا ثابتًا، فيتعدىٰ بذلك دور العقل المحض والمجرد، والفعلي والحسِّي أيضًا؛ فإنه يكون من المناسب أن تنتقل إلىٰ الآخرة، وهي حقيقة حيرت البشرية -حقيقة ما بعد الموت- وهدف هذا العالم الذي تعيش فيه.

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾.. نعم أخذوهم من العلم الموثق الموافق للمحسوس والمعقول والمنقول، الموافق لكتاب الله المنظور وكتاب الله المسطور إلىٰ متاهة لا يدرون أين يذهبون بهم، إلىٰ خرافة ابتدعها العقل البشري هنا أو هناك، علىٰ مذاهب شتَّىٰ وأديان كثيرة وصلت إلىٰ أكثر من أربعة آلاف دين يتدين بها البشر اليوم.

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦] سنة الله في كونه أنه يهدم الحضارات علىٰ رؤوس من طغىٰ بها، إنما علَّم الإنسانَ الحضارة والمدنية من أجل أن يصل إليه ﷻ، فإذا وصل إليه فبها ونعمت،

واستقرت الحضارة ودامت، كهذه الحضارة التي تعيشون فيها في هذا المسجد الكريم الشريف منذ أكثر من ثمانمائة عام... وإن هي اختلت وكفرت بالله رب العالمين جعل سقفها علىٰ رؤوسهم ينهار، ووجود السقف -في لغة العرب- دلالة علىٰ وجود الحضارة، فالسقف أمر رمزي يدل علىٰ أن هؤلاء الناس كانوا أصحاب حضارة، ولكن الله ﷻ هدم هذه الحضارة علىٰ رؤوسهم، وكشفهم أمام أنفسهم في ضعفهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ -الذين أوتوا العلم- ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ ﴾ [النحل: ٢٧-٢٨] -ما كنا نعمل من سوء- هكذا يقولون الآن! وهو يحيون علىٰ أرضنا، وفي كوكبنا هذا ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ ﴾... ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢]، ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ﴾ اضرب علىٰ كلامهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: ٢٨-٢٩].

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥].

كنت أود أن أقص لكم قصة الفريق المقابل، ولكن يطول الزمان؛ فإلىٰ لقاء آخر من فوق ذلك المنبر بمشيئة الله سبحانه وتعالىٰ؛ حتىٰ نلتزم بما أمرنا به رسول الله ﷺ وهو يقول -وكلامه كله بركة-: «**إِنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ**»(١)، وصلاتنا قصيرة، فالخطبة يجب أن تكون أقصر:

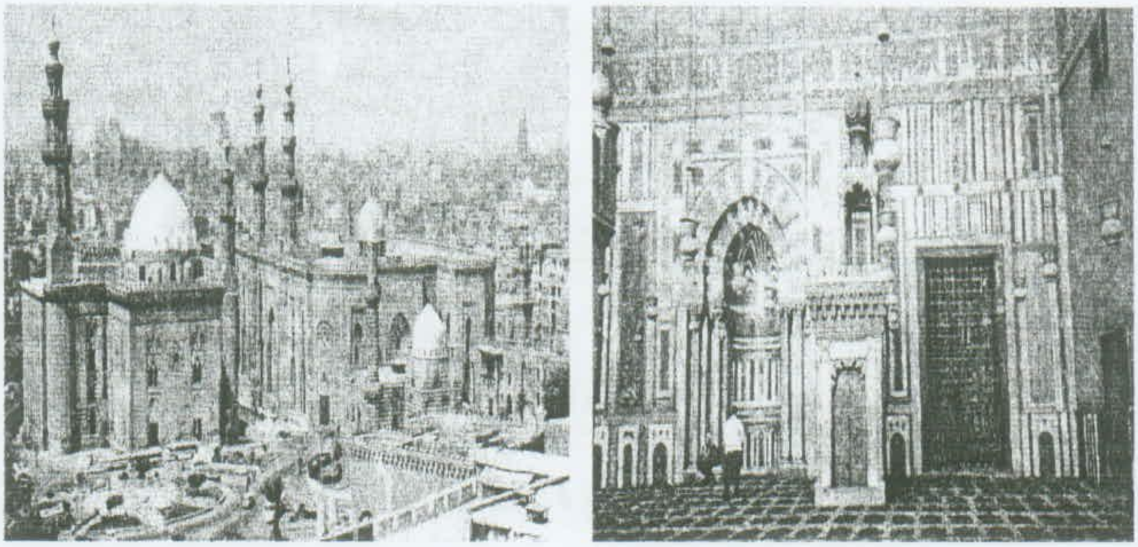
---

(١) أخرجه مسلم: ٢/٥٩٤ برقم (٨٦٩)، والمئنة: هي العَلَامة.

موعظة تخالط القلوب وتوضح للعقول هداها ودربَها إلى الله؛ فاللهم اهدنا إليك يا رب العالمين.

ادعوا ربكم.

عباد الله.. إن الله ﷻ له مواضع لنظره في الأرض، منها بيت الله الحرام، ومنها المساجد -مساجد الله بيوته في الأرض[1]- ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].



مسجد ومدرسة «السلطان حسن»

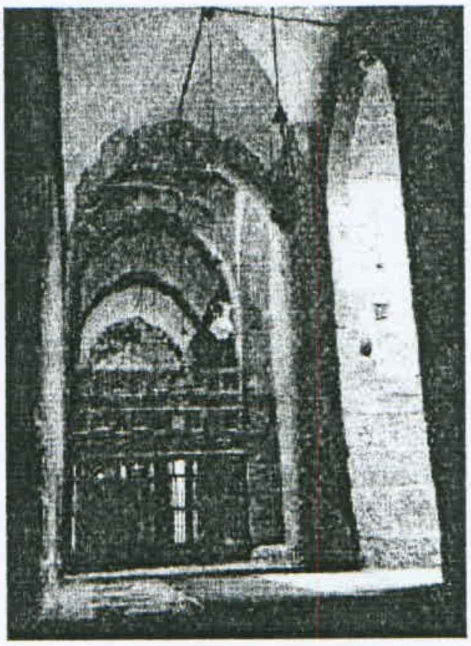
وهذا المسجد الشريف أحد أعرق المساجد الذي نشأ مدرسة للعلم؛

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بُيُوتَ اللهِ فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدُ، وَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا» أخرجه الطبراني في «الكبير»: ١٦١/١٠ برقم (١٠٣٤٦) وذكره الهيثمي في «المجمع»: ٣٢/٢ وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبد الله بن يعقوب الكرماني وهو ضعيف.

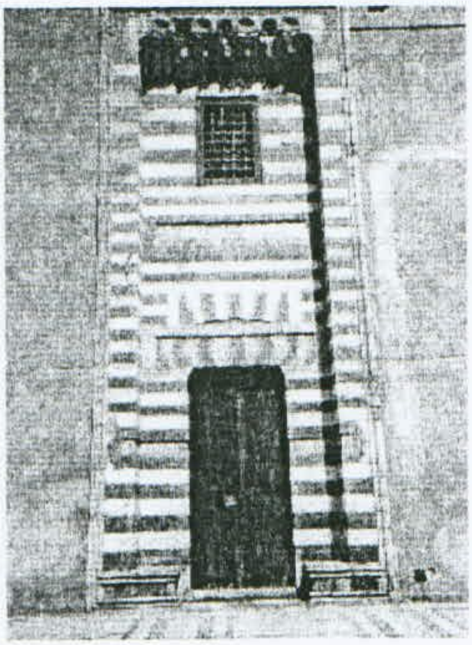
لاتصال العلم بالعبادة ولاتصال العبادة بالعلم، ولأن الإسلام هو دين العلم، ولأن العلم لا ينفك عن حياة المسلم، وانظروا كم فرطنا في أنفسنا عندما تصل الأمية إلىٰ أكثر من النصف في بلادنا، كم فرطنا في ديننا وفي علمنا!

الإسلام دين العلم، دين القراءة، دين الكتابة، دين المعرفة والحقيقة، كل ذلك تجدونه في هذا المسجد المبارك الشريف، الذي كان أيضًا سكنًا لطلاب العلم إلىٰ أوائل القرن الذي نحيا فيه، وكان مشايخنا يسكنون هنا في هذه الحجرات، التي تبلغ أكثر من مائتين وستين حجرة في هذا المسجد، يذكرون الله بالليل والنهار، ويعبدون الله ﷻ بقراءة القرآن، وتلاوته حفظاً وترتيلاً. كنتَ هنا -في أول القرن الماضي- تجد دوي النحل، بعضهم يذاكر النحو، وبعضهم يذاكر التفسير، وآخرون يذاكرون الفلك، وآخرون يدرسون الطب، فملحق بهذا المسجد مستشفىٰ لتدريب طلاب الطب علىٰ الطب..

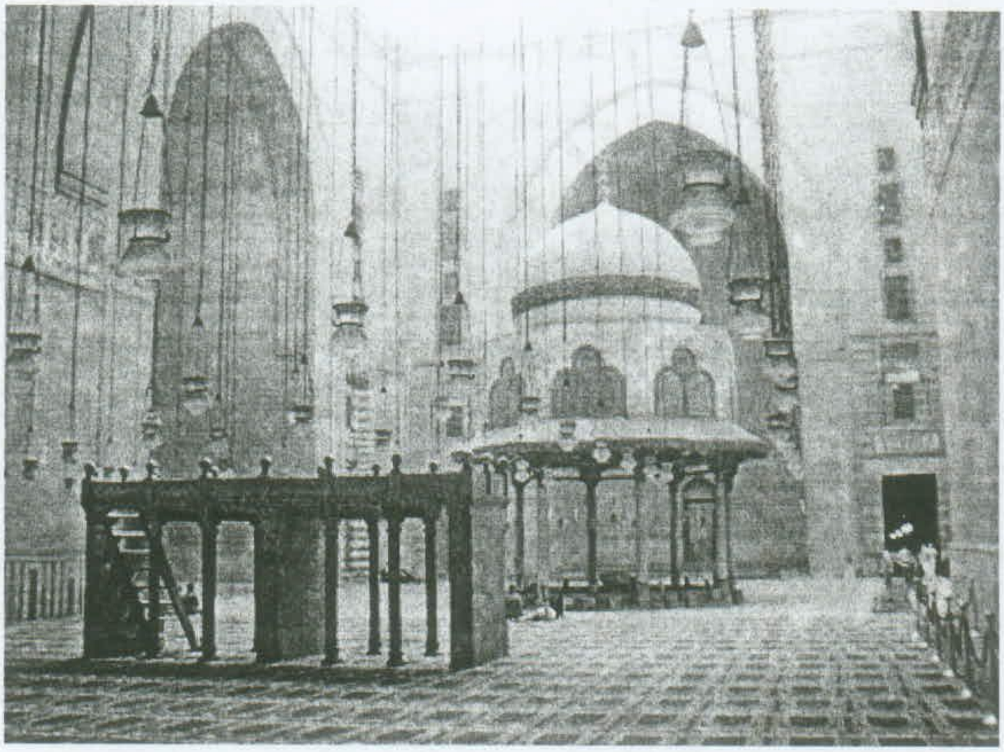
حضارة فرطنا فيها شيئًا من التفريط يجب علينا أن نرجع إلىٰ مبادئها...



المجاز المؤدي للفناء الداخلي



مدخل إحدى مذاهب المدارس الأربعة



صحن المسجد والميضأة (النافورة)

حِزْبُ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ (٢)

من أفكار الخطبة:

١- حزب الرحمن: قوم تعلقت قلوبهم بعرش الرحمن، وآمنوا به واتقوه بالغيب.

٢- من صفاتهم:

- لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة.
- يصدعون بالحق حيثما كانوا.
- يبلغون عن الله مراده للعالمين.
- يأخذون بحجز الناس عن النار.
- يحبون الهدى والهداية.
- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

٣- التدافع سُنّة إلهية جارية؛ والصراع قديم ومستمر حتى نلقى الله.

٤- الحق أبلج، والباطل لجلج؛ فكن مع الحق ولو كنت وحدك، وكن أهلا لحمل الأمانة.

٥- أيها المؤمن حرر نفسك من الأغلال، ونظرتك من قيود الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، وانظر إلى الغيب من ستر رقيق؛ لترى أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا.

٦- إذا كنت ذا بصيرة علمت كيف تتجاوز الأزمة، وتجعل من المحنة منحة.

حِزْبُ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ (٢)

أيها المؤمنون.. يخبرنا ربنا ﷻ عن حزب الشيطان ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩]، وعن حزب الله حزب الرحمن ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

في الأسبوع الماضي تكلمنا علىٰ أولئك الذين إذا ما سُئلوا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: ٢٤]، وعرفنا أحوالهم في الدنيا والآخرة، وأجَّلنا الكلام عن الفريق الآخر المقابل، الذي تعلق قلبه بالله رب العالمين؛ فاتقاه علىٰ الغيب وآمن به.

نعم.. ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢-٣] لا يضرهم من خالفهم إلىٰ يوم القيامة، يصدعون بالحق حيثما كانوا، يبلغون عن الله مراده للعالمين عسىٰ أن يكونوا أخذوا بحُجَز الناس عن النار، يحبون الهدىٰ والهداية، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، فكانوا خير أمة أُخرجَت للناس.

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: ٣٠].

هناك قالوا: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: أنه لم يُنزل شيئًا، بل هذا الذي بين يدينا هو أساطيرُ الأولين، وهنا ومع الحزب المقابل (حزب الرحمن) استحق الجواب النصبَ ﴿ قَالُواْ خَيْرًا ۗ ﴾ لأنه قد وقع عليه الإنزال فكان مفعولاً به،

أي أنزل ربنا خيرًا، ولم يقولوا «خيرٌ» يعني: هذا خيرٌ على كل حال، بل إنهم آمنوا بأنه من عند الله رب العالمين.

﴿ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ ﴾ [النحل: ٣٠]، ولكن لا بد أن نربط أعمالنا وقضيتنا بالآخرة، ولذلك لا يستعجل أحدنا النصر، ولا أن يراه، ولا أنه لا بد أن يحصّل النجاح، بل عليه أن يأتمر بأمر الله تعالىٰ، رأى النصر أو قابلته الشهادة التي تنقله من دائرة الضيق إلىٰ دائرة السعة، أو قابلته الشهادة حين لا يعاني في أثناء خروج الروح منه شيئًا من الألم، ولا من النكد، ولا من الكدر -كما يعاني بنو الإنسان- بل إن روحه تخرج إلىٰ باريها مُكرمةً معززةً، مقبولةً في الملأ الأعلىٰ، تستقبلها الملائكة ﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

نعم.. ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠]، وما دار المتقين؟: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ ﴾ [النحل: ٣١]، كذلك يجزي الله المحسنين، كذلك يجزي الله المؤمنين ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣١-٣٢]، ثم يحكم بين الفريقين في الدنيا، كما أنه سيحكم بينهم في الآخرة.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

ينبهنا الله ﷻ إلىٰ أن الصراع بين الخير والشر، إنما هو سنةٌ إلهيةٌ جاريةٌ، وعلينا أن نقرأ التاريخ القريب والبعيد،؛ لنعلم أن هذا الصراع قديم، وأنه مستمر لا ينتهي إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، فكذلك التدافع هو سنة إلهية قائمة ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

أيها المؤمن حرر نفسك من قيود الزمان والمكان، ترىٰ الآخرة نُصب عينيك، وكن بالحق مستمسكا؛ تدافع عن الحق ولو كنت وحدك، والنبي ﷺ يقول: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»[1]، فالنبي الذي أرسله الله تعالى ولم يصدقه قومه، كان هو الذي علىٰ الحق وحده، وكان قومه كلهم علىٰ الباطل. نعم..

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [النحل: ٣٤].

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ [النجم: ٥٠-٦٢].

هكذا أيها الناس أهلك الله عادًا الأولىٰ، وأهلك ثمودَ فما أبقىٰ، وأهلك قوم نوح وأخبر في شأنهم خبر الصدق، وقوله الحق سبحانه وتعالى؛ فهو رب العالمين: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وأخبر من شأنهم وهو الذي خلقهم وعرفهم، وعرفنا ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] بلىٰ يا ربي تعلم، ﴿ إِنَّهُمْ

---

(١) متفق عليه، البخاري: ٥/ ٢١٥٧ برقم (٥٣٧٨)، ومسلم: ١/١٩٩ برقم (٢٢٠).

﴿كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: ٥٢] كانوا أظلم من أولئك المحتلين، وأطغىٰ من أولئك المفسدين، ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ ولكن نصَر الله المؤمنين علىٰ الكافرين في نهاية الشوط، وبعد هذه الحرب المستمرة التي لم تنقطع، وبعد إراقة الدماء البريئة من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال، وبعد الإفساد في الأرض علىٰ مر التاريخ، وبعد أخذ الحقوق من مستحقيها، وبعد حرمان البشر من حقوقهم، وبعد الطغيان هنا وهناك، وبعد الكذب والافتراء علىٰ الله وعلىٰ الناس - ماذا كان بعد ذلك كله؟

بعد ذلك كله كان انتشار الإسلام، وكان معرفة الناس للحق بعد الضلالة، وللهداية بعد الغواية، وكان أن دخل الناس في دين الله أفواجًا.

وانتقل سيدنا محمد ﷺ إلىٰ ربه معزَّزًا مكرَّمًا إلىٰ الملأ الأعلىٰ، وهو حي في قبره، يَرُدُّ الله إليه روحه ليلقي السلام علىٰ من ألقاه إليه[1]، وبدأ ﷺ وحده، فردًا، وحيدًا، فريدًا، لكن الآن أصبحت أمة الإسلام أكثر الناس عددًا، ومعها دستورها، ومعها أُسوتها؛ فأي جريمة نرتكبها في حق أنفسنا إن لم نعد إلىٰ الله... عدد كافٍ لأن نبلغ عن الله، وأن نقوم بمهامنا بإزاء هذا الدين الذي أكرمنا الله به.

تغاضوا أيها الناس عن كل الأزمات والفتن، وعن كل المحن والإحن، وعن كل المصائب التي فتحت علينا من أعمالنا، وثقوا في الله، وأن النصر إنما هو من عند الله، وأنه ينصر من يشاء، وأن الله ينصر من نصره، وأنه ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ». والحديث أخرجه أبو داود: ١/ ٦٢٢ برقم (٢٠٤١)، وذكره النووي في «رياض الصالحين» وقال: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

أيها المسلمون.. إذا سئلتم بلسان الحال أو القال: ماذا أنزل ربكم؟ قولوا: ﴿ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠].

أيها المسلم.. لا يَضيع منك الطريق فإن الطريق واضح بَينٌ، ولكن الشيطان يُلَبِّس على عباد الله، ولذلك سُمي إبليس؛ لأنه يَلْبس الحق بالباطل، ويضع الإنسان في متاهات، وفي جدل ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم: ٥٥]... فيمَ تجادل؟!!! في الحقيقة الوحيدة التي ينطق بها الكون!! ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٣٨] اللهُ اللهُ ربي؛ لا أشرك به شيئا(١).

إن الإسلام الذي دعا الناس إلى توحيد الله الخالق، وإلى السجود إليه، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى عمارة الأرض وتزكية النفس؛ هذا الإسلام هو الحقيقة الباقية الوحيدة لبني الإنسان؛ فعد إلى ربك ولا تخرجه من حياتك، فأنت -إن فعلت- الذي تخسر، وبلِّغ عنه.

قم بتربية أولادك على حب الله ورسوله، وعلى قراءة القرآن وعلى حفظه.. اجعل لك نصيباً منه في كل يوم، ولا تحرم لسانك من ذكر الله، ولا تحرم قلبك من أنوار الله، ولا تحرم قلبك من حب رسول الله ﷺ؛ فإن الحق أَبْلَج والباطل لَجْلَج(٢).

الحَقُّ أَبْلَجُ لا تَخْفَىٰ مَعالِمُهُ ❋ كالشَّمْسِ تَظْهَرُ في نورٍ وإِبْلاجِ

ادعوا ربكم.

---

(١) عن عائشة ﵂ أن النبي جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَقَالَ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُم غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، فَلْيَقُلْ: اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ١٤٦/٣ برقم (٨٦٤).

(٢) يقال: الحقُّ أَبْلَج، والباطل لَجْلَجٌ. أبلج: مشرق يسر القلب فينفسح له الصدر، لجلج: يُردَّد من غير أن يَنْفُذَ. الصحاح للجوهري/ الجيم، لسان العرب (بلج).

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، ملء السموات والأرض، وملء ما شئتَ من شيء يا رب العالمين، لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، رَدَّ عنا كيدَ الكائدين، رَدَّ الصليبيين بعد أن احتلوا أراضينا أكثر من مائتي عام، ورَدَّ التتار بل جعلهم يدخلون في دين الله أفواجًا، وسيُردُّ كل المعتدين كما رد المستعمرين الذين احتلونا بدعوىٰ الاستعمار، ومعناه: أن يعمروا بلادهم ويخربوا بلادنا، فعلوا هذا كله، فنصرنا الله ﷻ في نهاية المطاف ببركة القرآن، وببركة أسوة سيدنا رسول الله ﷺ، وببركة الفقه الموروث، الذي فقهنا به ما الإنسان، وكيف يكون عبدًا لله.

ولذلك ترىٰ العلماء في كل مكان وفي كل زمان، يقرأون العلم في أثناء الفتن؛ لأنها هي التي تجعل الإنسان يعلم، والعلم هو أول ما أُمر به رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١]؛ جعل القراءة مفتاح كل شيء، وبداية كل شيء.

فاللهم جَنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما، وأقمنا بالحق وأقم الحق بنا يا رحمن.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

الْجِهَادُ بِالْقُرْآنِ ـ الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ

من أفكار الخطبة:

١- تداع على أمة المسلمين الناس من كل مكان، وتحالفٌ عليها بالطغيان والبغي والعدوان.

٢- حسبنا الله ونعم الوكيل.. كلمة قد تجري على اللسان، لكنها تهز ذرَّات الكون.

٣- الجهاد بالقرآن لا ينقطع أبداً، وهو أدوم من الجهاد بالسلاح.

٤- القرآن الحكيم هو الكلمة الأخيرة للعالمين.

٥- القرآن كله محكم، منه ما تشابه بما سبق، ومنه ما نسخه، ومنه ما نزل ابتداءً.

٦- هذا القرآن مهيمن، وهو كتاب اشتمل على مراد الله من خلقه إلى يوم القيامة.

٧- أحِبُّوا القرآن، وعلموا أولادكم حُب رسول الله ﷺ.

الْجِهَادُ بِالْقُرْآنِ - الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ

تداع علىٰ أمة المسلمين الناس من كل مكان، وتحالفٌ عليها بالطغيان والبغي والعدوان.. ما رأينا في التاريخ ولا رأينا في حاضر الناس أن مطلوبًا إذا اختفىٰ في مدينة هُدمت المدينة علىٰ رؤوس أهلها، وقُتلوا، وبُقرت بطون نسائها، وذُبح أطفالها؛ لأجل البحث عن مطلوب!! ولو اختفىٰ هذا المطلوب في نيويورك أو في واشنطن ما اعتقدنا أنهم قد يُجَيشُون الجيوش!! والمطلوب قد هرب من المدينة!! من سخريتهم بنا وسخرية الإعلام، وما زالت المدينة تُدك، وما زال الشهداء يحصدون، وما زال الأبرياء يُقتلون؛ وما زالوا يُبَيّتون للمسلمين، فحسبنا الله ونعم الوكيل.. كلمة قد تجري علىٰ اللسان، لكنها تهز ذرَّات الكون.. كلمة قد يستهين بها الناس، ولكنها تنور قلوب المؤمنين، في ظلمات الفتن ومهالك الحروب وسيلان الدماء.. الدماء التي أصبحت رخيصةً عليهم، بعد أن تركنا ديننا وشريعتنا وسنة نبينا، منذ أكثر من مائتي عام ونحن نتعلم السنة وكأننا نفرُّ منها، ونعرف أحكام الدين وكأننا نبعد عنها.. مصيبة كبرىٰ! ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

إلا أن النبي ﷺ لما وصف لنا الداء والدواء جعل لنا أملاً وأنه: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِك**»[1].

---

(١) سبق تخريجه، ص: ١١٣.

وكما قلت لكم مرارًا إن هذه المحنة، وهذه الأزمة، وهذا التكالب ليس جديدًا على المسلمين، بدأ مع المشركين واليهود بمكة والمدينة، وأرادوا قتل المصطفى ﷺ، وهم لا يعرفون من هو عند ربه، ولا من هو في بني البشر..! إنه الدُّرة اليتيمة، إنه الإنسان الكامل، إنه حبيب الرحمن.. صلَّى الله عليه وآله وسلم تسليمًا.

وجاء الفرس والروم، ومن بعدهم الصليبيون والتتار، ومن بعدهم الحملات الاستعمارية، وإلى يومنا هذا ما فتئ المسلمون يجاهدون في سبيل الله، ويصدون العدوان.. تعرضوا للإبادة في الأندلس الشريف، وفُقد منهم الفردوس للشتات الذي كان بينهم، كما تعرضوا لتغيير دساتيرهم وقوانينهم كما حدث في تركيا، وتعرضوا للاحتلال كما حدث في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي البائد، كما تعرضوا للإهانة كما حصل في قبرص وفي كشمير، وتعرضوا للمجاعات المتعمدة كما حدث في إفريقيا.... وما تزال أمة الإسلام باقية، ولا تزال منها طائفة ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة.. فـ ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

ربنا ﷻ أرشدنا حين الفتن أن نتمسك بكتابه، وأن نجاهدهم به جهادًا كبيرًا: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

والجهاد بالقرآن أدوَم من الجهاد بالسلاح، سواء حققنا التقدم أو أخَّر الله جلّ جلاله عنا نصره: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ

بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

إن الجهاد بالقرآن هو الذي فعله العلماء علىٰ مر التاريخ، جاهدوا أنفسهم، وجاهدوا ضد الآخرين الذين يريدون علوًا في الأرض وفسادًا كبيرًا ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].. جاهدوا بالقرآن؛ فلا بد علينا ونحن في هذه المُدْلَهِمَّات وفي هذه الظلمات أن نرجع إلىٰ كتاب ربنا.

وكتاب ربنا أنزله الله ﷻ محكمًا كله: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود: ١-٢]، هذه هي القضية الأولىٰ التي نحيا من أجلها، ونرجو أن نلقىٰ الله بها فيدخلنا الجنة يوم القيامة. ﴿ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾.

﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ كلها قد أُحكمت، لكن منها موافق لما أنزله الله من قبل في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، ومنها ما قد أنزله الله ابتداءً علىٰ قلب نبيه ﷺ، وهو أم الكتاب، فالقرآن كله محكم، سواء أكان من صنف أمّ الكتاب، أم كان من صنف ما تشابه مع الآيات السابقة ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

فهذا الكتاب الذي أُحكمت آياته يقول ربنا ﷻ فيه: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ يعني لستَ بدعًا من الرسل، وليس هذا مبتدعًا من الكتب؛ بل إنه مصدقٌ لما بين يديه من الكتب، بل إنه مهيمنٌ عليها.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

هذا الكتاب المتشابه الذي يؤكد أن رسول الله خاتم النبيين، وأن القرآن هو الكلمة الأخيرة للعالمين، والذي يؤكد ما قد ورد في التوراة والإنجيل وهما نور وهدى، والذي يؤكد أن هذه الأمة هي الأمة التي قد استوعبت الآخرين إلى يوم الدين، وأنها هي أُمّةُ الله.. فهذا الكتاب إذن منه طائفة قد نزلت ابتداء، وطائفة قد نزلت متشابهة.

أراد الآخرون أن يتهموا القرآن بالبشرية، وأن يتهموه بأنه نسخة، أو منقول من كتب السابقين؛ فيقول ربنا ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، يعني: أُحكمت آياته في قبيل التشابه مع الآخرين، وليس هذا التقسيم في الآية تقسيم بين الغموض والوضوح، فكل آيات الله هدى، وكل آيات الله نور، وكل كتاب الله قد ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ بالكتب السابقة التي من عند الله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٧-٩]، فاللهم اجمعنا، وأظهر الحق على أيدينا، واهدنا واهد بنا يا أرحم الراحمين.

عباد الله.. هذا الكتاب كتاب محكم، كتاب من عند الله، كتاب مصدق لما بين يديه، كتاب مهيمن لما قبله، كتاب قد اشتمل على مراد الله من خلقه إلى يوم القيامة، كتاب قد أنذر وبشر، كتاب قد أعلى الحق في العالم، كتاب حفظه الله من دون ما أنزل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]،

كتاب عجيب فريد «**وَلا تَنْتَهِي عَجائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**»(١).

ابدأوا الجهاد من اليوم.. ابدأوا الجهاد بتدبر القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، اقرأوا القرآن بالليل والنهار، تمعنوا فيه، طبِّقوه في حياتكم، حفظُّوه لأبنائكم، اطبعوه، وزِّعوه، ضعوه في مساجدكم وفي بيوتكم وفي سياراتكم، اسمعوه بالليل والنهار، ارفعوا كتاب الله جهادًا علىٰ هؤلاء الذين بغوا في الأرض! ولا حيلة لنا ولا سبيل لرد طغيانهم الذي لم يحدث في التاريخ.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

توبوا إلىٰ الله، ارجعوا إليه، أخرجوا الدنيا من قلوبكم، وادعوا الله أن يجعلها في أيديكم، وعمِّروا الأرض، زكوا أنفسكم، اعبدوا الله حق عبادته، واذكروا الله ذكرًا كثيرًا، وسبحوه بكرةً وأصيلاً، أكثروا من الصلاة علىٰ النبي المصطفىٰ والحبيب المجتبىٰ...

علموا أولادكم حُبَّ رسول الله ﷺ.

ستبقىٰ الأمة وتزول المحنه ثم تتحول إلىٰ منحة ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]. ادعوا ربكم.

بعد صلاة الجمعة إن شاء الله تعالىٰ -وعلىٰ مذهب الإمام الشافعي- نصلي صلاة الغائب علىٰ أولئك المظلومين الذين ماتوا في «الفلوجة»، أهل البلد الذين قُتلوا من غير وجه حق، فلم يُصَلِّ عليهم أحد من الناس؛ لأنهم كانوا صغارًا أو شيوخًا أو نساءً غير قادرين علىٰ الدفاع عن أنفسهم، قُتلوا في المساجد والطرقات، قُتلوا حتىٰ بعد أن أعلنوا الاستسلام لقُوىٰ البغي

(١) سبق تخريجه، ص: ١٤.

والطغيان، قُتلوا فرحمهم الله، لهم أجر شهيد، قُتلوا من غير قتال، قُتلوا ظلمًا وعدوانًا... أما الشهداء فلا نصلي عليهم؛ فإن الشهيد قد سبق إلىٰ الله، وقد دخل الجنة، ونسأل الله أن يُشفعه فينا يوم القيامة، وليس في حاجة منا أن نسأل الله له الرحمة والمغفرة والتوبة وعدم المؤاخذة؛ فقد سبقنا وهو الذي يشفع فينا، وهو الذي يسألُ ربَّنا فينا.

نسأل الله ﷻ أن يجعل هؤلاء يوم القيامة من الشفعاء الذين يُشفعوا فينا، وفيما نحن فيه من ورطة وأزمة ومحنة لا يعلم بها إلا الله؛ فقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت.

نصلي صلاة الغائب علىٰ غير الشهداء، علىٰ الذين ماتوا أبرياء، وهم لا يعرفون ما الذي يحدث حولهم، وأي غباوة هذه في القلوب! وأي بلادة هذه في العقول التي تجعل البشر تُسيل هذه الدماء!!

لم يفعل هذا التتار! ولم يفعل هذا الصليبيون! ولم يفعل هذا الفرس والروم!! هذا نمط جديد من العدوان والطغيان والبغي؛ نسأل الله ﷻ أن يجازي من تسبب فيه بما يستحقه.. نسأل الله ﷻ أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر.. نسأل الله ﷻ أن يتقبل عنده الشهداء بقبول حسن، وأن يسدد رمي المجاهدين في سبيله، وأن يثبت قلوب المؤمنين والمسلمين في أنحاء الأرض، وأن يرفع أيدي الأمم عنا، وأن يعيد لنا القدس، وأن يردها علينا ردًّا جميلاً، وأن يوحد قلوب المؤمنين والمسلمين؛ حتىٰ نعمر الأرض، وحتىٰ نعبد الله، وحتىٰ نزكي أنفسنا، وحتىٰ نهدي الناس إلىٰ الصراط المستقيم.

فِقْهُ الانْبِعَاثِ مِنَ الْكَهْفِ

من أفكار الخطبة:

١- اعتزل هؤلاء الفتية وفروا بدينهم عندما لم يقدروا على المواجهة ولا حتى على التبليغ.. فصبروا.. ولم يتركوا دينهم.

٢- ندعو إلى العمل وإلى الاحتكاك بالمجتمع وإلى القيام بالواجبات لكن بشرط أن تحافظ على دينك ونفسك، فإن لم تستطع ولم تَقدِر نفسك على هذا الصبر وكنت من أولئك الذين يفتنون..؛ فاعتزل... فإن العزلة حينئذ خير لك وإن العزلة حينئذ ففيها المحافظة على الإيمان.

فِقْهُ الانْبِعَاثِ مِنَ الْكَهْفِ

يا أيها المؤمنون.. أنزل الله سبحانه وتعالىٰ كتابه بالحق، وجعله هدىٰ ورحمة وشفاء للمؤمنين، وعلمنا فيه كيف نسلك الطريق إليه.. أنزله وجعل آياته كلها محكمة ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ [هود: ١-٢]، فأنذرَنا وبشرَنا، وربّانا وعلمَنا، وأرادَنا في أنفسنا أقوياء.. أقوياء عند العمل، وأقوياء عند المواجهة، وأقوياء عند العزلة، وأقوياء حينما نواجه العالمين فنبلغهم كلمة رب العالمين، وأقوياء في عبادتنا لله، وأقوياء ونحن نتعامل مع أنفسنا في شهواتها وفي معاصيها، بل وفي طاعتها، وأقوياء عندما نتعامل مع الناس والخلق، من المسلمين وغير المسلمين.

بيَّن الله لنا أُمَّ الكتاب، وبين الله لنا ما قد سبق وقد أنزله في الكتب السابقة من المتشابهات، وأمرنا الله ﷻ أن نتخذ المنهج الرباني الذي تارة يقولون عن بعضه المنهج العلمي، وتارة يقولون منهج الحق، وتارة يقولون كذا وكذا... وهو منهج من ربنا ﷻ؛ يعلمنا ألا نهتم بسفساف الأمور[1]، ولا بالتفاصيل المتعلقة بالزمان والمكان، والأشخاص والأحوال، وأن نتحرر من كل ذلك، ونصل إلىٰ الحكمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]،

(١) عَنْ سَهْل بن سَعْد السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا». أخرجه الحاكم في «المستدرك»: ١/١١٢ برقم (١٥٢) وصححه، والسِّفْساف: الرَّدِيء من كل شيءٍ والأمرُ الحقِير وكلُّ عَمَل دُونَ الإِحْكام سفْساف. انظر: لسان العرب مادة: (سفف).

و«الكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَها فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»(١)، ومن منطلق الحكمة كان الأسلوب الحكيم في الخطاب الرباني؛ فنجده نقلنا من الأسئلة عن الأهلة إلىٰ القتال في سبيله(٢)، في سبيل قضية، لا في سبيل شهوة، ولا في سبيل هيمنة، ولا في سبيل مصالح..؛ ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

في الجمعة الماضية تكلّمنا عن المُحْكم والمتشابه، وفي لقائنا اليوم نتكلم عن قصة أهل الكهف، حيث اعتزل أولئك الفتية وفرّوا بدينهم، عندما لم يقدروا علىٰ المواجهة، ولا حتىٰ علىٰ التبليغ، فصبروا.. وكان أول ما نبهنا الله ﷻ إليه أن أولئك الفتية لم يتركوا دينهم، ولم يكن أحدهم إمعة.. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا»(٣)؛ لا تظلموا أنفسكم باتباع الأهواء، ولا تظلموا أنفسكم بالكفر بعد الإيمان، ولا تظلموا أنفسكم باتباع كل ناعق ومنافق.. لا تظلموا أنفسكم! بل كونوا علىٰ الحق، ونسأل الله أن يحيينا مسلمين، وأن يميتنا مسلمين، غير خزايا ولا مفتونين.

علمنا الله أشياء كثيرة -لا يتسع المقام لذكرها- في قصة أهل الكهف، بدأ بمجملها ثم فصّلها:

---

(١) أخرجه الترمذي: ٥/٥١ برقم (٢٦٨٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَدَنِيُّ الْمَخْزُومِيُّ -أحد رواة السند- يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

(٢) ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٨٩-١٩٠].

(٣) أخرجه الترمذي: ٤/٣٦٤ برقم (٢٠٠٧) وقال: هذا حديث حسن غريب.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ٩-١٦].

أجْمَل القصة أولاً -حتىٰ لا نتشتت في التفاصيل- ثم بعد ذلك يفصل ما يهمنا ويوصلنا إلىٰ الحكمة من هذه القصة، ولو جلسنا نستخرج الحكم العجيبة الغريبة في هذه السورة، التي أدعوكم إلىٰ تدبرها وقراءتها مرات، ففي كل مرة، وفي كل كلمة، وفي كل صلة آية بما بعدها -ينفتح لك معنىٰ جديد، وتنفتح لك حكمة جديدة، وينفتح لك أسلوب جديد في التعامل مع الحياة، خصوصا في عصر الفتن والمحن والإحن، وخصوصا في عصر المخالفات والشهوات، وشيوع الفسق في الكبير والصغير، وبخاصةٍ عندما يوليك الناس ظهورهم، ليستقبلوا الباطل، وليجعلوا الحق وراءهم ظهريا...! خصوصا في كيفية التعامل عند العجز ولا حول ولا قوة إلا بالله «**إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي**»[1].

قصة أهل الكهف تقرؤها فترىٰ عزلة، ونحن ندعو إلىٰ العمل وإلىٰ الاحتكاك بالمجتمع، وإلىٰ القيام بالواجبات، لكن بشرط أن تحافظ علىٰ دينك ونفسك،

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع»: ٥/٤٥٦، وعزاه للطبراني وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

فإن لم تستطع ولم تقدر نفسك على هذا الصبر، وكنت من أولئك الذين يفتنون- فاعتزل، فإن العزلة حينئذ خير لك، وإن العزلة حينئذ فيها محافظة على الإيمان، «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**» أخرجه البخاري(١)، «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»(٢).

لم يأمرنا ربنا ﷻ بالصدام بالجماعة التي قد خلطت عملاً صالحًا وآخر سيئًا، بل أمرنا أن نُخرج أنفسنا من الفتن، وأن نكسر سيوفنا إشارة على الاعتزال.

قصة أهل الكهف وردت في كتب السابقين، فوردت بأسمائهم، وصفاتهم، ولون كلبهم، وما كانوا يفعلون، وماذا كانوا يشترون من الطعام، وكم درهم كان معهم....والله ﷻ يقول في هذا الشأن كله بعد أن ذكر عددهم: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢].

هذا الذي يدعيه السالف ذكرهم من الذين في قلوبهم زيغ- أنهم يعلمون تأويله، إنما كان من باب إرادة الفتنة بوصف الكتاب- الذي هو القرآن الكريم- بأنه من صنع البشر، فأمرنا الله أن نتعالى على هذه الدعوى، وأن نقول لهم إنه مصدق لما بين يديه، وإنه مهيمن عليه أيضًا، وأن ما ذكره الله ﷻ من هذا الذي قد شابَهَ ما سبق إنما كان من أجل التصحيح، لا من أجل التحريف والتخريف.

فسبحان من أنزل القرآن على قلب حبيبه المصطفى ونبيه المجتبى ﷺ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]..

ادعوا ربكم....

---

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٥٩٥ برقم (٦٦٧٣).

(٢) أخرجه البخاري: ١٣/٢٩٠ برقم (٥٩٥٨).

قُرْآنُ الْحَقِّ، وَفُرْقَانُ الْبَاطِلِ..!

من أفكار الخطبة:

١- حقيقة: تَكَفَّلَ الله ﷻ بحفظ هذا القرآن.

٢- تحدى الله ﷻ به البشر، وجعله معجزة باقية على رقاب الثقلين.

٣- إن الله تعالى ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر.

٤- محاولات تقليد القرآن كانت سببا في إسلام الكثير من الناس، وزادتنا إيمانا وتثبيتا.

٥- ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

٦- وجود أهل البيت إلى الآن بهذه الكثرة معجزة جعلها الله ﷻ لنبيه ﷺ.

قُرآنُ الْحَقِّ، وَفُرْقَانُ الْبَاطِلِ..!

الحمد لله، ثم الحمد لله، ثم الحمد لله أن جعلنا مسلمين من غير حول مِنّا ولا قوة.. أرشدنا إلىٰ طريق الهدىٰ ودين الحق، وأظهره علىٰ الدين كله، ولو كره الكافرون والمشركون.

الحمد لله الذي جعلنا من أهل القرآن، نستهديه فيهدينا، ونعتمد عليه فإذ بنا نعتمد علىٰ ركن ركين، فهو كلام رب العالمين، إلىٰ الناس أجمعين، إلىٰ يوم الدين.. الحمد لله الذي تكفل بحفظه سبحانه -من فوق سبعة أرْقُع-[1] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الحمد لله الذي تحدىٰ به البشر، وجعله معجزة باقية علىٰ رقاب الثقلين، من جن وإنس، عرب وعجم.. الحمد لله ﷻ أنزل الكتاب، وهزم الأحزاب، كما أزجىٰ السحاب، وأعطىٰ ذوي الإيمان نصيبهم من الألباب.. ﷻ لا إله إلا هو.

ظهرت في هذه الأيام محاولة غبية لتقليد القرآن الكريم، أسماها صاحبها «فرقان الحق» من أجل أن تكون من أسماء الأضداد -فإنها للتفريق الباطل- وليست هي فرقانًا ولا هي حقًّا، ولكن هكذا اقتضت حكمة الله ﷻ فيه لنُصرة

(١) الأرْقَع والرَّقِيع: كل واحدة من السموات رَقِيع للأُخرىٰ، والجمع أَرْقِعة،.فجاء به علىٰ التذكير (أرقُع) كأنه ذَهب به إلىٰ معنىٰ السقْف، وعنىٰ سبع سموات؛ فكل سماء سقف محفوظ كما في الكتاب الكريم. انظر: الصحاح، ولسان العرب.

المسلمين؛ «وإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَـذَا الـدِّينَ بِالرَّجُـلِ الْفَـاجِرِ»[1].. حكمـة الله ﷻ فيـه لنُصرة المسلمين قد ظهرت.

رجل يُسَمىٰ أنيس سروس -أو شروش- كان يجادل المسلمين من قبل في دينهم، وأقاموا له المناظرات، وهزموه شر هزيمة، وادعىٰ منذ أكثر من عشرين عامًا أنه يؤلف شيئًا يشبه القرآن الكريم، وتحداه المسلمون أن يخرج به إليهم، وفـي هـذه الآونـة الأخيـرة قـد خـرج -والحمـد لله رب العـالمين- وأظـن أن المسلمين سـوف يوزعـون هـذا الكتـاب قبـل صـاحبه علـىٰ النـاس أجمعـين، حتىٰ تضحك الثَّكْلَىٰ -ومن أراد الإجهاض عن طريق حلال- فَتَسْقُطُ الحُبْلَىٰ، فـإن هـذا الـذي قـد جمعـه وألفـه، ممـا يزيـل همـوم المهتمـين والمغتمـين..؛ ضحكًا منه!!

سألني سائلٌ من شبابنا قال: ألم يحفظ الله ﷻ كتابه من أن يُقَلَّدَ؟! قلت له: نعم، حفظه أن يأتي أحد من الناس بسورة من مثله.. حفظه من أن يقدم لنا أحدٌ من الناس مثل هذه الهداية الربانية، ولكنه في كل عصر وآخر يُقِيمُ من الفسقة الفجرة من يحاول أن يقلد القرآن، فيتبين لخلق الله أنه لا وجه للمقارنة بين كلام الله وبين كلام الهذيان والمخرفين، فيزداد إيمان المؤمنين بكتابهم، بل ويهتدي كثيرٌ من الضالّين إلىٰ الإسلام.

ولقد حدث ذلك سبع مرات..؛ حاول مُسَيْلمَةُ أن يفعله، وأتىٰ بما يُضحِك النّاسَ، وذهب مُسَيْلمَةُ الكذاب، وذهبت معه دعواه، ولـم يعرف الناس ما الذي أتىٰ به، وبقي القرآن الكريم يُتْلَىٰ في المحاريب -وإلىٰ يومنا هذا- تبكي منه العيـون وتـدمع، وتـشجن القلـوب، وتهتـدي الأرواح، ويخـرج النـاس بـه مـن الظلمات إلىٰ النور... يقول مُسَيْلمَةُ لعنة الله عليه: «إنّا أعطيناك التفاح، فصَلِّ

(١) متفق عليه، البخاري: ٦/ ٢٤٣٦ برقم (٦٢٣٢) ومسلم: ١/١٠٥ برقم (١١١).

لربك وارتاح، إن شانئك هو العجل النطّاح»!!! ماذا يقول الناس، وماذا يفعلون حين يسمعون هذا الكلام!!!!، وأنه يحاول أن يحاكي به ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

وإن الْكَوْثَرَ هم أهل البيت الكرام، والله سَلَّىٰ قلبَ نبيه بأن لم يرزقه ذكرًا يعيش، فوهبه أهل البيت إلىٰ يوم الدين ظاهرين منتشرين في أوساطنا، نسألهم الله والرحمَ أن يدعوا لنا ربنا، وهم أدلة تسير علىٰ الأرض، دالّة علىٰ رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ.

وكثَّرَهم اللهُ بالرغم من أنهم من نسل الحسن والحسين فقط، ومن نسل فاطمة الزهراء عليها السلام بنت سيدنا رسول الله ﷺ فقط، وإذ بهؤلاء قد كُوثروا حتىٰ صاروا كوثرًا.

قال أهل التفسير: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ أهلَ ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾، والْكَوْثَرُ: نهر في الجنة، أو: إنّا أعطيناك هؤلاء القوم المتكاثرين؛ فلا تحزن ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك، هو الذي سيزول ذكره وسيذهب حاله.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ معجزة؛ ما كان بيد النبي ﷺ أن يستمر نسله -وقد انقطع نسل كثير من الخلق والناس- فهل كان هذا بيد محمد أو بيد غيره حتىٰ يخبر به! إنما هذا بيد الله ﷻ. وكان من الممكن أن يبقىٰ أهل البيت ولكن في قلة، لكن الله قد أكثر منهم جدًّا -والحمد لله رب العالمين.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ تكليف، والتزام أمر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾... معجزة بعد معجزة، وتسلية، ورحمة، وبيان، ومدخل لتربية الإنسان.

أما النطاح والتفاح وارتاح!! إنما هي أمور للضحك والعبث والفوضىٰ.

وهكذا فعل النضر بن الحارث بن كَلَدَة[1]، وسَجَاح[2]...

ثم بعد ذلك حاول ابن الراوندي، ولم يصلنا من كتبه شيء[3]، وحاول

---

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ الْحِيرَةَ، تَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ فَارِسَ، وَأَحَادِيثَ رُسْتُمَ وَأَسْفَنْدِيَارَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا فَذَكَّرَ بِاللهِ، وَحَدَّثَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، فَهَلُمُّوا، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ وَأَسْفَنْدِيَارَ، ثُمَّ يَقُولُ: مَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي! قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي النَّضْرِ ثَمَانِيَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَوْلُهُ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ الْأَسَاطِيرُ فِي الْقُرْآنِ». رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٩/٢٣٨.

وروى الحاكم في «المستدرك» ٢/٥٤٥ برقم (٣٨٥٤)، (وصححه ووافقه الذهبي): عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذِي الدَّرَجَاتِ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ قَالَ: هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ».

(٢) سَجَاح بنت الحارث- وقيل بنت المنذر- التميمية: أدركت النبي ولم تره، ادعت النبوة في الردة -علىٰ عهد أبي بكر رضي الله عنه- وبه كفى الله فتنتهم-، وكانت اتخذت مؤذنًا، وتبعها قوم، وتزوجها مسيلمة الكذاب، وبعد قتله عادت إلىٰ الإسلام، فأسلمت، وعاشت إلىٰ خلافة معاوية، وكان ارتد عطارد بن حاجب مع من ارتد من بني تميم، ثم عاد إلىٰ الإسلام، وهو الذي قال فيها:

أضحت نبيتنا أنثىٰ نطيف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا!
فلعنة الله رب الناس كلهم * علىٰ سَجَاح ومَن بالكفر أغوانا

«الإصابة في تمييز الصحابة»: ١١٣٦١، ٥٥٧٠، وغيره.

(٣) هو أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن اسحاق الراوندي، نسبة إلىٰ قرية (راوند) الواقعة بين (أصفهان) و(كاشان) في فارس، ولد عام ٢١٠، وتوفي في الأربعين من عمره، بدأ معتزليًا، ثم تشيَّع، يقول ابن العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب: إن أباه كان يهوديًا فأظهر الإسلام، ويقول عنه ابن كثير أنه أحد مشاهير الزنادقة، طلبه السلطان فهرب ولجأ إلىٰ
=

أيضًا أبو العلاء المَعَري[1] فيما روي عنه في كتاب أسماه «الفصول والغايات»،

ابن (لاوي) اليهودي بالأهواز، وصنف له في مدة إقامته عنده، كتابه الذي سماه «الدامغ للقرآن»، وله كتب عدها المؤرخون إلىٰ تسعة عشر أو أكثر، لم يصلنا منها شيء، منها القضيب، والتاج، والزينة، والزمرد والذي تجاسر فيه على التشكيك في ركن الأركان في الاسلام وهو النبوة؛ حيث سخر فيه في العقائد الاسلامية. «البداية والنهاية»: ١١٢/١١، «وفيات الأعيان»: ٩٤/١، «مروج الذهب»: ٢٣٧/٧، «الملل والنحل»: ٨١/١، ٩٦، «المنتظم»: ٩٩/٥، «شذرات الذهب»: ٢٣٥/٢، «النجوم الزاهرة»: ١٧٥/٣، «العبر»: ١١٦/٢، «تكملة الفهرست»: ص ٤، «دائرة المعارف الإسلامية»: مادة (الراوندي). الطبري: ١٤٧/٦.

ومن ذلك أنه روي أن ابن الراوندي الزنديق قال لابن الأعرابي إمام اللغة والأدب: هل يذاق اللباس؟ فقال له ابن الأعرابي: لا باس ولا لباس يا أيها النسناس!(يصف حاله) هب أنك تشك أن محمدًا كان نبيًّا أما كان عربيًّا؟ كأنه -ابن الراوندي- طعن في الآية ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] بأن المناسب أن يقال: فكساها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله طعم الجوع!! فرد عليه ابن الأعرابي. وراجع الشوكاني والرازي. وجاء في «فيض القدير» ٦١٩٩: «كاد الفقر أن يكون كفرًا؛ لأنه يحمل المرء علىٰ ركوب كل صعب وذلول، وربما يؤدّيه إلىٰ الاعتراض علىٰ الله والتصرف في ملكه، كما فعل ابن الراوندي في قوله (يكشف عن نفسه!):

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه ❊ وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ❊ وصيَّر العالمَ النّحريرَ زنديقا!

(١) المعرّي هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان. ولد في معرّة النعمان في شمال سوريا سنة ثلاث وستين وثلاثمائة هجرية (٩٧٣ ميلادية) درس على أبيه الذي مات وهو في الرابعة من عمره وأصيب بالجدري وفقد بصره، نزل بغداد في آخر مراحله، ثم عاد إلىٰ مولده واعتزل الناس، وقال: اكتبوا علىٰ قبري: هذا جناه عليّ أبي! وكانت وفاته ٤٤٩هـ. كان مفتونًا بعقله وثقافته، يطعن في الدين، ويعارض الفقهاء، ويلحد في أحكام الله تعالىٰ؛ ليشكك فيها، ومن ذلك ما قال في حد السرقة وأنه قطع اليد في ربع دينار، في حين أن دية اليد خمسمائة دينارٍ ذهبًا، كأنه يرمي إلىٰ أنه ليس من العدل والإنصاف؛ ليغري السفهاء، فيقول (بئس ما قال):

فقالوا له: يا أبا العلاء أتحاكي بذلك القرآن؟!!! قال: نعم، قالوا: فما لنا لا نجد عليه طلاوة كما نجدها في القرآن؟!!! قال: اقرأوه في المحاريب أربعمائة عام وأنتم تجدون عليه طلاوة!! قالوا: فما بال القرآن أول ما تُلي وجدوا عليه طلاوة؟!!! ولم يحتج إلىٰ أربع سنين ولا أربعمائة عام؟!! فَبُهتَ أبو العلاء، وطبع المسلمون الكتاب، والكتاب في الأسواق إلىٰ يومنا هذا يشهد بأنه لا إله إلا هو، وأنه هكذا إذا ما حاول عالم من علماء العربية، وشاعر من شعرائها، ومُفلقٌ بها أيما تَفْليق - إذا ما حاول أن يفعل ذلك فإن هذا نتاجه، وهذا كلام رب العالمين ﷻ.. وبقي التحدي.

فعل هذا ابن المُقَفَّع[1] في كتاب أسماه «الدرة اليتيمة»، وهو مطبوع، موجود في الأسواق إلىٰ يومنا هذا.. كتاب صغير ادَّعىٰ ابن المُقَفَّع -بعد أن وصل إلىٰ الغاية في الأدب واللغة- أن يفعل شيئًا مثل هذا تدريبًا لنفسه!! فإذ به كلام خائب وسمادير[2] سكرانين.. خيالات لا علاقة لها بالواقع والهداية.

ويظل القرآن الكريم عاليًا شامخًا بنفسه علىٰ العالمين، لأن فضله علىٰ

=

يد بخمس مئين عسجد وُديَت ❊ ما بالها قطعت في ربع دينار

وللعلماء في الرد عليه أجوبة كثيرة نثرًا، ونظمًا منها ما قاله القاضي عبد الوهاب، مجيبًا له في بحره ورويّه (ونعم ما قال):

عِزُّ الأمانةِ أغلاها، وأرخصها ❊ ذلُّ الخيانة؛ فافهم حكمة الباري!

(١) وُلِدَ حوالي سنة ١٠٦ هجرية- وكان اسمه «روزبة» في مدينة «جور» ببلاد الفرس، كان أبوه قد تولىٰ الخراج للحجاج بن يوسف الثقفي أيام إمارته علىٰ العراق، فمد يده إلىٰ أموال السلطان فضربه الحجاج ضربًا موجعًا حتىٰ تقفعت يده، فسُمِّيَ المقفع، ومن أشهر مؤلفاته «كليلة ودمنة». للمزيد انظر: «دائرة معارف الشعب»: المجلد الأول- الكتاب السادس ط ١٩٥٩.

(٢) السَّمَادِير: ضَعْف البصر وقد اسْمَدَرَّ بَصَرُه، وهو الشيءُ الذي يَتَراءَى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغَشي النُّعاسِ والدُّوَارِ. لسان العرب: (سمدر).

كلام البشر كفضل الله علىٰ خلقه[1]، ولا مقارنة بين الله وبين خلقه.. إلا عند من عَمِيَتْ بصائرُهم، والعياذ بالله رب العالمين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١].

كثير من المحاولات.. كان آخرها من المعاصرين محاولة «بيرَمْ التونسي» -قبل أن يعلن توبته ويعود إلىٰ الله، وبعد أن عاد إلىٰ الله لم يجعل في حِلٍّ أن يَرْوي أحدٌ عنه ما كتب- وكلها أيضًا كانت من المضحكات، ومن الهزل الذي لا ينبغي أن نلتفت إليه..

حتىٰ أتانا هذا بفرقان الباطل!! اقرأوه، انظروا فيه..! كلام يدعو إلىٰ الوثنية وعبادة البشر.. كلام يدعو إلىٰ الكذب والافتراء، وسوء الأخلاق والنفاق.. كلام مفكك لا معنىٰ له.. كلام يريد فيه أن يُثبت حالةً! لا أن يُبَلِّغَ عن رب العالمين سبحانه وتعالىٰ.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فأَغْلَقَ الله الباب.. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ -وليس بسورة من الهذيان، وقلة الأدب والحياء، وتفكك العبارة، وسوء وتشويش في الفكر وفي النفس- ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٥].

يقول ربنا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ

(١) قال ﷺ: «وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ» أخرجه الترمذي: ١٨٤/٥ برقم (٢٩٢٦)، وقال: حسن غريب.

ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٥].

﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

يقول ربنا جل في علاه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].. ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٤]، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

الله.. الله.. لا يخيفنا هذا..؛ لأن الله ﷻ هو الذي حَرَّكَهُ عندما تكالبت علينا الأمم من كل مكان، حَرَّكَهُ من أجل أن يُخرِجَ ذلك نُصرةً لله ورسوله، وإن كان يريد به الفتنة يقلبها الله ﷻ لصالح المسلمين، وسيكون هذا الكتاب المفتري سببًا في إسلام الكثير من الناس.. وسيكون سببًا في تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين، لأن المفارقة واضحة ولأن المقارنة غير حاصلة... إنه كلام الله.

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ السَّيْفَ يَـنقُصُ قَـدْرُهُ

إذا قِيلَ: هَذا السَّيْفُ أمْضَىٰ مِنَ الْعَصَا!

انظر المفارقة كيف أبطلت المقارنة! والسيف كما العصا؛ مخلوقان!! فكيف بها بين كلام المخلوق والخالق؟! ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ

عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤]... ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١].

عباد الله.. تمسكوا بدينكم.. اعتزوا بنبيكم وكتابكم.. ارفعوا رؤوسكم.. فإننا في كلأ الله وفي حماية الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠].

ووصف النبي الكتاب الكريم فقال: «**هُو حَبْلُ اللهِ المَتِينِ.. لَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ**»[(1)].... هو ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].. إلىٰ آخر تلك الأوصاف التي رَبَتْ علىٰ مائة، نعم.. هو كتاب ربنا، هو كلام الله، وكفىٰ.

ادعوا ربكم.

أيها المؤمنون.. إننا في عصر قد تداخلت فيه الأمور، والمَخْرَج من ذلك كله أن نرجع إلىٰ رب العالمين، وأول ذلك هو أن نذكره قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبنا؛ فالذكر شأنه خطير ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

أكثروا من الاستغفار بالليل والنهار، ومن الصلاة علىٰ النبي المختار ﷺ؛ فهو وسيلتنا إلىٰ ربنا وشفيعنا يوم القيامة، وهو أسوتنا الحسنة، وهو خير مستند وخير معتمد إذا اتبعناه وأحببناه، فإن الله ﷻ يرضىٰ عنا ويحبنا ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

اذكروا الله يذكركم، واشكروه علىٰ نعمه يزدكم، وادعوه يستجب لكم..

(١) سبق تخريجه، ص: ١٤.

تعلقوا بالله.. اعتمدوا على الله.. توكلوا على الله.. لا رب سواه، ولا نعرف معتمدًا إلا إياه، الجأوا إليه بالليل والنهار، واستغفروه، وصَلّوا على النبي المختار، وقولوا: لا إله إلا الله فهي حقيقة الدنيا وهي حقيقة الآخرة.

أيها المسلمون... ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

الْعَهْدُ الآخِرُ وَالْمِيثَاقُ الْخَاتَمُ

من أفكار الخطبة:

١- الخطاب في القرآن الكريم يتسم بالعالمية؛ هو كلام رب العالمين.

٢- افتتح الله ﷻ كتابه بسم الله الرحمن الرحيم.

٣- أسلوب القرآن سهل ممتنع، ولا يُغلق معانيه، ولا منتهى لها.

٤- وضع الله تبارك وتعالى لنا مقياسًا للقبول والرد.

٥- كتاب ربنا ﷻ.. دستور حياة.. إيجاز في إعجاز.

٦- القرآن فيه كمال الشريعة، وكمال الحقيقة، وكمال الإنسان.

٧- إنها رسالة تخاطب الإنسان، وتنظم الأذهان والأكوان، وتبين الحقائق.

الْعَهْدُ الآخِرُ وَالْمِيثَاقُ الْخَاتَمُ

يا أيها المؤمنون.. أرسل الله ﷻ رسوله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو أبىٰ المنحرفون المفسدون... أرسله بشريعة تامة كاملة، وكان من تمامها أنها خاطبت الرجل والمرأة، والكبير والصغير، وخاطبت المؤمن والكافر، فخاطب الله ﷻ عباده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، وخاطب المؤمن فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٣]، وخاطب الله ﷻ بني آدم، ولم يفرق بين مؤمن وكافر، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين أسود وأبيض، إنما خاطب البشرية جمعاء؛ لأن هذا الكتاب هو كلمة الله الأخيرة للعالمين أجمعين، هو العهد الخاتم، والميثاق الآخِر(١).. إلىٰ يوم الدين.

هذا هو الإسلام.. دين وعد الله به في كتبه السابقة عن بعثة نبينا ﷺ، ووفّىٰ بوعده ﷻ، فأرسله بالهدىٰ ودين الحق، وقد أرسله بالصفات التي نبّه

---

(١) أخرج ابن جرير عَنْ جُوَيْبِرٍ، قَالَ: مَاتَ ابْنٌ لِلضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، ابْنُ سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ: إِذَا أَنْتَ وَضَعْتَ ابْنِي فِي لَحْدِهِ، فَأَبْرِزْ وَجْهَهُ، وَحُلَّ عَنْهُ عُقَدَهُ، فَإِنَّ ابْنِي مُجْلَسٌ وَمَسْئُولٌ، فَفَعَلْتُ بِهِ الَّذِي أَمَرَنِي، فَلَمَّا فَرَغْتُ، قُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ عَمَّ يُسْأَلُ ابْنُكَ؟ قَالَ: يُسْأَلُ عَنِ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَقَرَّ بِهِ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام...حدَّثني ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ اللهَ مَسَحَ صُلْبَ آدَمَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَخَذَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالأَرْزَاقِ، ثُمَّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِهِ، فَلَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُولَدَ مَنْ أَعْطَىٰ الْمِيثَاقَ يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ الآخَرَ فَوَفَّىٰ بِهِ نَفَعَهُ الْمِيثَاقُ الأَوَّلُ، وَمَنْ أَدْرَكَ الْمِيثَاقَ الآخَرَ فَلَمْ يَفِ بِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ الْمِيثَاقُ الأَوَّلُ». «جامع البيان»، و«الدر المنثور»: الأعراف ١٧٢.

الأمم السابقة إليها ﴿ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].. وخاطبهم في كتابه المنزل بالحق كما خاطبنا، فقال تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، أرسله بالدِّين الكامل الجامع المصدِّق لما بين يديه، المهيمن علىٰ جميع الشرائع قبله.. أرسله للجسد والروح.. للحياة والعبادة.. للتزكية والعمران.. للحقيقة والعلم والبرهان.. أرسله ﷻ، فأتم بذلك النعمة ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، وأقام الحجة؛ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: ١٦٥]، والحجة قائمه محفوظة بحفظ الله ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

يقول ربنا ﷻ في محكم كتابه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ولم يقل هنا: (يا أيها الذين آمنوا)، فانظر إلىٰ الخطاب؛ يخاطب الله به كل الناس إلىٰ يوم القيامة ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] إذن..؛ لفت الله الناسَ إلىٰ العبادة، الناسَ أجمعين، وبيّن لهم أن معيار ذلك إنما هو حب الله وإجلال الله، وإن من لم يحب الله ﷻ، ولم يقدره قدره فإنه يكون قد انحرف عن ذلك.

أمرنا ونحن نعبده أن لا نسرف لا في أكل، ولا في شرب، ولا في زينة، وإنما أمرنا بالأكل والشرب والزينة؛ حتىٰ نتقوىٰ بذلك علىٰ العبادة، وحتىٰ نُظهرَ ما في باطننا من حب وإجلال لله ﷻ ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ تعبدون فيه الله ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾.

إذن..؛ فقد وضع الله لنا مقياسًا للقبول والرد، فمن لم يتزيَّن، ثم ضمّخ

نفسه بالأرواث والأنجاس -كما في بعض الديانات العقيمة- يكون مجافيًا للأدب مع الله، ومن زاد في البنيان وطغىٰ وبغىٰ وأسرف يكون قد قلّ أدبه مع الله، ولذلك ترىٰ مساجد المسلمين في العالم كله وإلىٰ يومنا هذا تعبر عن الجمال والبهاء والجلال دون إسراف، ولو قورنت بغيرها ممن تفننوا في تشييدها، فقدموا البنيان علىٰ الإنسان، ونقشوا حقوق الإنسان علىٰ الحجر، ومنعوها البشر!.. عرفنا من المهتدي ومن المضل.

﴿ قُلْ ﴾ فيها تبليغ.. نبوة تتكلم مع العالمين.. ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢] قد أُحِلَّتْ من عند الله ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾ في الحياة الدنيا يرزق الله العالمين أجمعين -مؤمنهم وكافرهم- ويحذرهم ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨].. ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦].

يرسل علينا الزلازل والبراكين، ويحرك المياه؛ من أجل أن نعود إليه.. من أجل أن نعود إلىٰ حظيرة قدسه؛ محنة يجعلها منحة، ويجعلها تنبيهًا للغافلين.. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٦-٧].

﴿ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾ ويوم القيامة تكون للمؤمنين خالصة لهم دون غيرهم ممن أذهب طيباته في حياته الدنيا، واستمتع بها ناسيا آخرته.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١]، قالوا: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣].

لكنه يرحم في الدنيا الجميع، ويوسع عليهم لعلهم يرجعون ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].. أما في هذه الحياة الدنيا، فإن الله يعطيها للمؤمن، والفاجر، والكافر.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]؟!!! سؤال استنكاري يقرر أن زينة الله لا تحرم، ويدل على كمال الشريعة، وأن الشريعة جاءت للهداية.. لتزكية النفس لا لحرمانها من شيء، ولعمران الأرض لا لخرابها والفساد فيها من أجل الاقتصاد، ومن أجل الموضة التي نشأت من أجل استغلال الناس.. من الذي أنشأها؟ لا نعرف! من المرجع فيها؟ لا نعرف!! أوهام في أوهام، وسَرَف في تَرَف، وتَرَف في سَرَف!

القرآن دستور للحياة.. إعجاز ما بعده إعجاز في كتاب ربنا ﷻ.. كلما نقرؤه ونتدبره ونستهديه ينفتح إلينا.. ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].. إنه منهج الكذب الذي تكلمنا عنه في الجمعة الماضية.. إنه الافتراء على الله المستمر.. التحريف والتخريف المستمر من قِبَل من عادوا ربنا، وآثروا دنياهم على أخراهم.....؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فلا تتأثر أيها المسلم بذلك، وكن في معية ربك؛ فإنه لا ملجأ ولا منجىٰ منه إلا إليه، وهو الذي ينصرك نصرًا عزيزًا مؤزرًا، وهو الذي يرزقك، وهو الذي يستجيب دعاءك؛ فلا تُكذِّب بآيات الله ﷻ، ولا تستكبر عنها، ولا تَصدِف عنها فتكون من الخاسرين.

حرّم ربي كل الفواحش ما ظهر منها، من: القتل، والزنا، والسرقة، والسب، واللعن، والكذب، والاغتصاب.. وحرّم أيضًا ما بطن منها، مثل:

الكبر، والحقد، والحسد، والحرص، وغيرها من الفواحش الذميمة التي تؤدي إلىٰ الطغيان والعدوان.. حرّم ربي الإثم، وحرّم ربي البغي، وحرّم ربي الشرك.. حرّم ربي ﷻ الافتراء...

وختام الآية يدل علىٰ أهميتها، فالكذب علىٰ الله الذي يُمَارَس بالليل والنهار علىٰ جميع المستويات لا يربِّي النفس الربانية الإلهية، التي يرضىٰ عنها الله أن تكون خليفة عنه في أرضه، ولا أن تكون مكلفة بإذنه.. ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

هؤلاء الذين أشركوا واعتدوا وبغوا، وكذبوا علىٰ الله، وأرادوا أن يسرفوا في الأرض بكل معاني السَّرَف.. هؤلاء الذين يريدون أن يَلفتُوا الإنسان عن رسالته في الأرض، فتمكنوا في الأرض، ومكَّنهم الله منها، وأعطاهم القوة والسلطان، فطلبوا الهيمنة والعدوان والطغيان.. لهم أجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾.. مرة ثانية يخاطب البشرية جميعًا، يخاطب المؤمنين والكافرين.. ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦] ما علاقة هذا بما سبق؟ إنها رسالة تخاطب الإنسان، تنظم الأذهان، تبين الحقائق؛ فإن هذا الكون مخلوق لله؛ فيجب علينا أن نتبع هداه.. فإن فعلنا ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، وإن لم نفعل.. فإنّا لله.. وإنّا إليه راجعون.

تذكرتُ تلك الأحداثَ الدامية، وربنا يلفتنا وينبهنا إلىٰ كتابه الكريم، من جراء هذه الزلازل والبراكين في كل مكان، وهي لم تصل بعد إلىٰ ما نبه إليه

رسـول الله ﷺ.. فهـو يحـدِّثنا عـن خـسفٍ بالمـشرق سـيذهب فيـه الملايـين وخسفٍ بعد ذلك في المغرب ستذهب فيه الملايين وخسف بعد ذلك في جزيرة العرب[1] كأشراطٍ من أشراطِ الساعة، فاللهم سلِّم سلِّم.

ادعوا ربكم.

(١) عـن حُذَيْفَـةَ بْـنِ أَسِيدٍ الْغِفَـارِيِّ ﷺ، قَـالَ: اطَّلَـعَ النَّبِـيُّ ﷺ عَلَيْنَـا وَنَحْـنُ نَتَـذَاكَرُ. فَقَـالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**». فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ. والحديث أخرجه مسلم: ٢٢٢٥/٤ برقم (٢٩٠١).

الأمّيَّةُ وَالْكِتَاب..!

من أفكار الخطبة:

١- النبي ﷺ خوطب بـ (اقرأ) فقرأ بإذن ربه الأكرم.

٢- أمية النبي ﷺ كانت شاهدا على صدقه فيما أتى به من العلم والكتاب؛ فعلام شهدت الأمية فينا!!!

٣- رسالة الإسلام إلينا لم تكن شفهية؛ وإنما هي كتاب بين أيدينا، ونحن أهل كتاب.

٤- بعث النبي ﷺ في أمة أمية؛ فقرأت فوق ما قرأ الناس، وكتبت وتَحَاكى العالمون بالخط العربي، ودرَّسوه.

٥- فشو ظاهرة الأمية في مجتمعاتنا دليل على نجاح من خططوا لإبعادنا عن الكتاب.

٦- أمية ضاربة في الأمة..! فجوة خطيرة ينبغي علينا أن نتداركها.

٧- شئون التعليم من المَقَاتِل[1] التي يقاتَل المسلمون الآن بشأنها.

٨- فلتكن البداية بالرجوع إلى كتاب الله..

٩- هيا بنا نعيدُ أيامَ (اللوْحِ) في (الكُتَّاب)..؛ نحيي سُنَّة مباركة كادت أن تموت!

---

(١) مَقاتِل الإنسان: المواضع التي إذا أُصيبت منه قَتَلَتْه، واحدها مَقْتَل، وقالوا في المَثَل: قَتَلَتْ أَرضٌ جاهلَها وقَتَّلَ أَرضًا عالِمُها. قال أَبو عبيدة: من أَمثالهم في المعرفة وحمدِهم إياها قولُهم قَتَّل أَرضًا عالمُها وقَتَلت أَرضٌ جاهلها. لسان العرب/ قتل.

أين أنتم أيها المسلمون من تعليم أنفسكم، وتعليم أهليكم؟! أين أنتم من تعليم أبنائكم، ومن تعليم الناس أجمعين؟! فجوة خطيرة ينبغي علينا أن نتداركها، ورسم لنا رسول الله ﷺ شيئًا من ذلك...

معنا كتاب عجيب غريب، يحفظه الناس، فهم قادرون علىٰ حفظه، ويتصل به البشر؛ فهم قادرون علىٰ فهمه، وكتاب الله ﷻ فيه نبأ من قبلكم، وفصل ما بينكم، ليس بالهزل بل هو بالجد «**لَا تَنْتَهِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**»[1].. نعم كتاب عجيب؛ فهو قابل للحفظ حتىٰ ممن لا يجيد الكتابة والقراءة، فإذ به يخرج من حد الأمية إلىٰ حد العلم، ومن حد المتاهة إلىٰ حد الهدىٰ، ومن حد الضلالة والحيرة إلىٰ حد العطاء والكرم.

فكم مَن حفظ القرآن بعد أن حُرِم من تعلم القراءة والكتابة، فكان وقاية له من الشرور والآثام والفهم المغلوط، وحَفِظَه رجال من الأميين فمنهم من ارتقىٰ به في سماء الولاية وكان فَهِمًا لعصره، مدرِكا لشأنه، بعد أن فاته قطار العلم كما يقولون، وحفظه الشيخ عليّ الخواص، فكان تقيًا نقيًا ورعًا، مرشدًا دالاً علىٰ الله بحاله وبقاله، رحيمًا في قلبه يغسل مساقي الكلاب حتىٰ تشرب منها؛ لأنه إنسان حضارة يعرف كيف يتعامل مع الكون المسبح يسجد لله رب العالمين، حتىٰ وصل إلىٰ الإفتاء في الدين، وراجعه تلميذه الشيخ الشعراني في كل ما أملىٰ، فوجده صحيحًا وكأنه تعلم علىٰ كبار العلماء!

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكتاب الله هو الأساس الذي نذهب إليه عند تلك الأزمة الطاحنة العجيبة الغريبة التي نحياها.

---

(١) سبق تخريجه، ص: ١٤.

أُميّةٌ ضاربة في الأمة.. كيف نخرج منها؟ ونحن نحاول ذلك منذ أكثر من خمسين عامًا والأمر يشتد يومًا بعد يوم.. ألا نلجأ إلىٰ حفظ القرآن؟! ألا نلجأ إلىٰ الاتصال به، والاستماع له في الليل والنهار؟! ألا نلجأ إلىٰ خطة لمحو الأمية عن طريق كتاب الله تعالى؟!

ارتبط حفظ كتاب الله بـ (الكُتَّاب).. وانتشرت الكتاتيب، وكان (اللَّوحُ) وسيلة الحفظ والتحفيظ منذ الصغر... فهيا بنا نعيد هذه الأيام المباركة... ونحيي سُنة كادت أن تموت!!

ذلك الكتاب الذي يسَّره الله للذكر؛ فهل من مدَّكر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، ذلك القرآن الذي حاربه الكافرون، منذ ما أُنزل وإلىٰ يومنا هذا، وحاولوا الهجوم عليه بكل وسيلة ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصِّلت: ٢٦]، وهي خطة باقية، ودستور مستمر للكافرين إلىٰ يوم الدين، يريدون أن يبعدوا الناس عن القرآن مرةً بالسخرية والاستهزاء، ومرةً بتقليل شأنه، ومرة بالحُكم بغيره، ومرة بتأويله وإخراجه عن مراد الله، ومرة بالحيلولة دون تحفيظه وحفظه بكل الوسائل، ودون خدمته بكل خدمة ممكنة، ومرة بألا تطبق أحكامه في حياتنا الدنيا.. وهم ينشئون ذلك أو يساعدون علىٰ إنشائه أو يفرحون به فرحًا شديدًا ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾..!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

لقد جاء رسول الله ﷺ، ولا يَعلم القراءة ولا الكتابة أكثر من عشرة، لكنه استطاع بأولئك -عن طريق القرآن- أن يتجاوز الأزمة، وتعلم المسلمون،

وكان طلب العلم فريضة على كل مسلم سواء أكان رجلاً أو امرأة، وشاع العلم في البلدان، وقامت الحضارة الإسلامية على مرِّ العصور وكرِّ الدهور، فعاملوا الناس المعاملة الحسنة، وعاملوا الناس بما يُرضي الله، وعاملوا الناس بما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا؛ حتى انتشر الإسلام.... من الأندلس حتى الصين.

مؤذننا اليوم لم يكن من مصر ولا من العرب، بل كان من هذا الطرف البعيد الذي دخله الإسلام، واستمعنا إليه يؤذن، وكأن الأذان قد يأتينا من الصين أو الهند، يداعب قلوبنا وآذاننا لذكر الله؛ الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر.

أيها المسلمون.. فكروا، وضعوا الخطط والمناهج لرفع الأمية بالقرآن الكريم، ولا تكونوا من أولئك الذين نعى الله عليهم في كتابه المبين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]..

لا.. لا نريد أن نكون خُشُبًا مسندة، ولا نريد أن نكون من طائفة المنافقين الذين يتكلمون بألسنتهم وتأبى قلوبهم الحراك، ولا نريد أن تحسب كل صيحة علينا..! بل لا بد أن نعمل وأن نجتهد، وأن نتكاتف في داخلنا، وأن نغير ما بأنفسنا؛ حتى يغير الله ما بنا.. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، ولا قِبل لنا بقتال الله! ولا بأن يحاربنا الله ﷻ، فنحن نريد عونه ورضاه، ونريد أن ينقلنا من دائرة سخطه إلى دائرة رحمته وعطائه، ونريد أن ينظر إلينا بنظر الرحمة... لا بنظر الغضب.

أيها المسلمون حركوا قلوبكم لله، وابدأوا بالقرآن بكل صورة: مكتوبًا مسموعًا ومحفوظًا، ومتلوًّا ومفسرًا.. تَعَبَّدُوا به لله رب العالمين؛ فهو كلامه ﷻ، وهو حبل الله المتين.

ادعوا ربكم..

يا عباد الله.. شئون التعليم من المَقَاتِل التي يقاتَل المسلمون الآن في الأرض كافة بسببها، ولا بد أن ننشئ رأيًا عامًّا يعود بنا إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ، قبل الفوات، وقبل الممات، وقبل الحساب عند الله، فالهجمة شرسة..! ولتنحية أمر الدين مستمرة..! ولفرض النماذج الأخرىٰ التي أثبتت الشهوات، والرغبات، والهيمنة، والدنيا بكل معانيها.. حتىٰ حولوا الإنسان إلىٰ حيوان، قائمة لا تتخلف ولا تهدأ..!

اعتصموا بكتاب الله فإن فيه المنجىٰ.

انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيْفِ

من أفكار الخطبة:

١- تحذير الرسول ﷺ من الفتن.

٢- كفروا به فانتهكوا حرمته؛ وآمنا به فماذا نحن فاعلون!!

٣- انتهاك حرمة المصحف مرتبط بانتهاك حرمة الأقصى.

٤- متى يتحد المسلمون...؟!! سؤال مُلِحٌّ، وواقع مرير!!

٥- من أنفسنا..! فلنتب إلى الله هذه اللحظة.

انتهاك حرمة المصحف الشريف

يخبرنا رسول الله ﷺ عن الفتن تأتي حتى تدخل كل بيت[1]، ويفيض في ذكر الفتن ومواردها، وأشخاصها وأعلامها وكيف نستطيع أن نواجهها، ويقول ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَابُدَّ لَكَ مِنْ طَلَبِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ وَدَعْهُمْ وَعَوَامَّهُمْ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ صَبْرٌ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ»[2].

ويقول رسول الله ﷺ: «لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا»[3].

ويقول رسول الله ﷺ -وهو يعدد الفتن-: «ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ»[4]،

---

(١) عن عَوْف بن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، .. الحديث» أخرجه البخاري: ٣/١١٥٩ برقم (٣٠٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي: ٥/٢٥٧ برقم (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب، وابن حبان في «صحيحه»: ٢/١٠٨ برقم (٣٨٥)، والحاكم في «المستدرك»: ٤/٣٥٨ برقم (٧٩١٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) سبق تخريجه، ص: ٢٢٤.

(٤) من حديث أخرجه الترمذي: ٤/ ٤٦٥ برقم (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب، وابن حبان في «صحيحه»: ١٠/ ٤٣٦ برقم (٤٥٧٦)، والحاكم: ١/ ١٩٧ برقم (٣٨٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

ويقول: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[(١)].

ويقول ﷺ -وهو يعلمنا قول ربنا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]-: «وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ»[(٢)].

رسول الله ﷺ أخبر بما نحن فيه الآن، من ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس، وما ذلك إلا من أنفسنا! هؤلاء كفار مفسدون في الأرض، نخاطبهم فلا يستمعون، نطلب منهم العدل فلا يعدلون، نطلب منهم الإحسان للبشر فلا يحسنون، ويقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يعتقدون، والحياة كلها عندهم هي هذه الدنيا، والفناء بعد الموت عقيدة في قلوبهم، ونحن نؤمن بالله رب العالمين وباليوم الآخر وبالوحي وبالرسول ﷺ، ومن خلاله آمنا بكل الرسل، وبكل الكتب، وبكل وحي أوحاه الله منذ آدم إلىٰ خاتمهم ﷺ.

وإذ بنا نرىٰ أن أقوامًا من الفجرة قد انتهكت حرمة المصحف، وخاطبناهم أن يعتذروا فلم يعتذروا، وخاطبناهم أن يعاقبوا أولئك المجرمين فلم يعاقبوهم، وخاطبناهم أن يتخذوا من الإجراءات ما يمنع ذلك مجددًا فلم يفعلوا، وذلك لأننا قد تفرقنا، ولأننا عندما نجلس سويًّا وكأنه يكره بعضنا بعضًا..! كيف يُلقي الله الألفة في قلوب متباغضة؟ وكيف يوفق الله ﷻ

---

(١) سبق تخريجه، ص: ١٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: ١٧/١٠ برقم (٥٧٢٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢/ ١١٠ وقال: رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات.

أصحاب القرار، وهم يتهاترون ويَسبُّون أنفسهم وإخوانهم في جلساتهم؟ كيف وكلٌّ منهم يريد مصلحته الشخصية؟! فليتقِ الله حكامُ المسلمين في أمتهم وفي أنفسهم، وليعودوا إلىٰ الله رب العالمين، ولتتحد كلمتهم.

هل هذا ممكن؟ رسول الله ﷺ يُبشِّرُنا بالإمكان، ويرسم لنا الداء والدواء، ويأمرنا بأن نجعل الدنيا في أيدينا، وأن نخرجها من قلوبنا، ويقول: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**»(١).

وبداية الإسلام وهو غريب، حيث تسلط عليه السفهاء من المشركين واليهود، ومن الفرس والروم، ومن كل ملة كافرة.. تسلطوا عليه! فلم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا في المسلمين ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، ازداد المسلمون إيمانًا بربهم، وبنبيِّهم، وبكتابهم، وبقضيتهم، وخرجوا من الجزيرة العربية حفاة عراة، ينشرون الخير بين الناس.. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويخرجون الناس من الظلمات إلىٰ النور، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعة الآخرة، ومن عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد، بدأ الإسلام غريبًا لكنه انتشر، وسيعود غريبًا وسينتشر.

بعد هذه الهجمات التي دنس فيها التتار المصحف، وكُتبَ المسلمين، وجعلوها تحت سنابك الخيل، وساروا عليها في نهر دجلة والفرات، وفعلوا وفعلوا... رجع المسلمون واستيقظوا، وكانت هذه المسألة حاثَّة لهم علىٰ أن يتحدوا مرة أخرىٰ، وأن يعودوا إلىٰ ربهم، حتىٰ لقد أسلم التتار علىٰ أيديهم ودخلوا في دين الله أفواجًا، وجاء الصليبيون إلىٰ بلادنا وفعلوا في المصحف ما فعلوا، حتىٰ قال الفقهاء: يحرم السفر بالمصحف إلىٰ بلاد الكفر؛ لأنهم ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة: ١٠]، وإذا دخل المصحف في بلادهم دنسوه

(١) أخرجه مسلم: ١/١٣٠ برقم (١٤٥).

وأهانوه، والمصحف غالٍ في قلوبنا؛ فيحرم أن يسافر المسلم بالمصحف -أيام الهمجية الأولىٰ إلىٰ بلاد الكفر- حتىٰ لا تنتهك حرمة المصحف.

وانتهاك حرمة المصحف مرتبط بانتهاك حرمة الأقصىٰ، المحتل تحت قوات سافلة فاجرة، منذ أكثر من أربعين عامًا.. نعم دنسوا الأقصىٰ ودنسوا المصحف ودنسوا الأمة.. من المخطئ؟ الكفار؟! أم أنه ينبغي أن نرىٰ جذع النخلة في أعيننا قبل أن نتهم الكفار بما هم عليه! منذ خلق الله الخلق والأرض والسموات ومن فيها بمن فيها، إذا خرج العيب من أهله فليس بمستغرب، وإذا خرج الكفر من الكافر فليس بمستعجب، ولكن ما الذي جرَّأ ذلك الكافر علىٰ أن يفعل ما فعل؟!! حكام المسلمين قد تشرذموا في أنفسهم ولم يقوموا بواجب الوحدة فيهم، واختلت الأولويات في أيديهم، من أنفسنا -وكما تكونوا يولَّى عليكم- فنحن في أنفسنا أيضا كذلك، فماذا نفعل؟ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١] هل نبدأ بالتوبة إلىٰ الله منذ الساعة؟

هيا بنا نعلق قلوبنا بالله، وبعرش الرحمن.

هيا بنا نرفع أيدينا داعين الله سبحانه وتعالىٰ أن ينقلنا من دائرة سخطه، إلىٰ دائرة رضاه.

هيا بنا نتخذ من هذه المحنة منحة تُوحدنا وتقيمنا وتثير قلوبنا.

هيا بنا ننتصر لله ولرسوله، حتىٰ نعتذر له ﷺ يوم الموقف العظيم.

هيا بنا نتوب إلىٰ الله من كل ذنب قد اقترفناه، من كبير الذنب وصغيره.

هيا بنا نُخلِّي حياتنا من الكذب والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق.

هيا بنا نعود إلىٰ حظيرة الإيمان، وندعو الناس إلىٰ أن يعودوا إليها.

هيا بنا يحب بعضنا بعضًا ولا نقلّد الكافرين في أنظمتهم وفي حياتهم.

هيا بنا نسترشد رسولَ الله ﷺ وهو الأسوة الحسنة، نسترشده في حياتنا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

هيا بنا نُحوِّل الصلاة علىٰ النبي ﷺ من ألسنتنا إلىٰ قلوبنا، وإلىٰ أفعالنا، ونعيش سيرةَ رسول الله ﷺ في حياتنا.

هيا بنا نقف مع أنفسنا ونتَّهمُها أول ما نتهمها، نتهمها بالقصور فنُخبِتَ لربنا سبحانه وتعالى.

هيا بنا نغير حياتنا، ونجدد من إيماننا.

علموا أولادكم حب رسول الله ﷺ، حفِّظوا أولادكم كتاب الله، قُوموا قومة رجل واحد لنصرة مصحفكم في أنفسكم وفي حياتكم، اطبعوه، وزعوه، اتلوه بالليل والنهار، بينوا لأولئك الأوباش أن الله تبارك وتعالى سيجازي الظالمين ظلمهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

لما قام الوليد بن المغيرة، ومن بعده الوليد بن يزيد الفاسق- استفتح القرآن فوجد قوله تعالىٰ: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥]، فمزق المصحف! قائلًا:

أتُوعِدُ كلَّ جبارٍ عنيد * فها أنا ذاك جبَّارٌ عنيدُ

إذا ما جئت ربّك يوم حشرٍ * فقُل يا ربّ مزقني الوليدُ!

فمزق الله ملكهم وجسدهم، وكانوا عبرة لمن لم يعتبر، والله يدافع عن الذين آمنوا..

فهل نحن مؤمنون؟

هيا بنا نخرج من دائرة العصيان إلىٰ دائرة الإيمان.

هيا بنا لنعود مرة ثانية إلىٰ العمل الجاد.. العامل يعمل في بلادنا نصف ساعة في اليوم! وكان يجب أن يعمل عشر ساعات ولا تكفي.. تقدموا عنا بالعمل وتأخرنا بالكسل، هذه أمة عِلم، فهيا بنا نرجع إلىٰ العلم، نرجع إلىٰ الصدق، نرجع إلىٰ التفكر والتفكير.

هيا بنا كلٌ في نفسه؛ «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ»[1] ثم بمن يليك، الأقرب فالأقرب، «إِنَّ اللهَ ﷻ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ»[2] نفعل هذا، ونربِّي عليه أبناءنا، ونجعل محنة الأقصىٰ ومحنة المصحف تثير قلوبنا لله؛ حتىٰ إذا ما لقيناه يوم القيامة لعله أن يعفو عنا، لعله أن يرىٰ فينا الصدق فينصرنا ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

معشر المسلمين.. عليكم بكتاب الله، ثم عليكم بكتاب الله، ثم عليكم بكتاب الله، و«كَانَ ﷺ خُلُقُهُ القُرْآنُ»[3]..

ادعوا ربكم...

(١) أخرجه مسلم: ٢/ ٦٩٢ برقم (٩٩٧).

(٢) أخرجه أحمد: ٢٨/ ٤٢١ برقم (١٧١٨٤).

(٣) سبق تخريجه، ص: ٢٩.

التَّوْحِيدُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاص

من أفكار الخطبة:

١- معرفة التوحيد أعلى القضايا وأغلاها، وأجلاها وأحلاها.

٢- نعم.. إنها تعدل ثلث القرآن.

٣- العبد عبد، والرب رب، وهناك فارق بين المخلوق والخالق.

٤- عرَّفنا الله ﷻ بصفات ذاته العليَّة، وتعرف إلينا بنعمائه وآلائه.

٥- من ذاق حلاوة الإخلاص تحرر من العبودية لغير الله.. جلَّ وجه الله.

٦- خالصة من الوجدان.. ينطق بها الكيان (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

التَّوْحِيدُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ

أعلن الله ﷻ جل شأنه وعز في علاه لنا توحيده، وجعلها كلمة فارقة بين الإيمان والكفر، تنقل الإنسان من دائرة غضب الله إلىٰ دائرة رضاه، وأمر الناس أجمعين إلىٰ يوم الدين بأن يلهجوا بألسنتهم، وأن تعتقد قلوبهم، وأن تطمئن عقولهم ونفوسهم إلىٰ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). أعلن ربنا ﷻ ذلك في كتابه، وبين لنا صفات ذاته العلية، حتىٰ لا نعبد ربًّا غامضًا، وحتىٰ لا نشرك أحدًا سواه، وكانت هذه هي أعلىٰ القضايا وأغلاها، وأجلاها وأحلاها، وهي التي يعيش بها المسلم حياته، وهي التي يختم بها ويرجو أن يلقىٰ الله بها ويستقبل مماته **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)**.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْشِدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَىٰ هٰذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلاَ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

ولو تأملنا القرآن وما جاء به لرأينا أن الله ﷻ قد أنزل يأمر بعبادة الله وحده، ويأمر بعمارة الأكوان بما فيها الجماد والحيوان والإنسان، ويأمر بتزكية النفس؛ فكانت سورة الإخلاص بهذا الاعتبار ثلث القرآن..

---

(١) أخرجه مسلم: ١/٥٥٧ برقم (٨١٢).

يبين ربنا أن هذا الكتاب من عنده لا من عند أحد سواه فيقول: ﴿قُلْ﴾ وهو فعل أمر تكرر في القرآن كثيرًا -أكثر من ثلاثمائة وثلاثين مرة، يأمر فيه ربنا ﷻ النبيَّ ﷺ في أول تنزيل الآيات- بأن يبلِّغ عن ربه، فبلَّغ وأدَّىٰ الرسالة، فاللهم جازه عنا خير ما جازيت نبيًّا عن أمته.

﴿قُلْ﴾ كلمة من عند الله، قد تحررت من الزمان والمكان والأشخاص؛ فلم تعد وأنت تتلوها موجهةً لرسول الله ﷺ بل أنت مبلِّغ عن ربك، وقال رسول الله ﷺ لك: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة»[1] فهي موجهة إليك؛ لأن القرآن كلام الله فتجاوز الزمان والمكان، وقد أذن الله لك أن تقرأه وتتلوه، وأن يكون كتاب هداية لك...؛ فهو يخاطبك أنت، ﴿قُلْ﴾ فلا يأتي أحد ويقول: كان ذلك علىٰ أيام النبي ﷺ ويكفينا أن نقول ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ لأنها لم تَعُد لرسول الله وحده، بل لكل مؤمن يقرأ فيؤمر فيطيع، وأنت تبلغ بها يسمعها ابنك جيلاً بعد جيل، فتأمر بأمر الله وتخاطبه بالقرآن وتقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

﴿قُلْ﴾ أُمِرَ بالتبليغ، كما أنه دلالة علىٰ ربانية ذلك الكتاب، ﴿قُلْ﴾ يبين لك أن القرآن لم ينحصر في زمان دون زمان، ﴿قُلْ﴾ إنما هو أمر بالدعوة، وأن الإسلام بني علىٰ الدعوة، وعلىٰ أن نبلغه للعالمين، وأَمرُهُم وحسابُهم علىٰ ربهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورىٰ: ٤٨].

﴿هُوَ﴾ ضميرٌ إذا ما أُطلق انصرف علىٰ من تعلقت به القلوب، فلا يحتاج إلىٰ سابق ذكر حتىٰ يعود إليه. ﴿هُوَ﴾ ﷻ. والضمير أعرف المعارف عند النحاة؛ ولذلك فهو أعرف المعارف عند العارفين؛ لأنهم يرون الله ﷻ حاضرًا

(١) أخرجه البخاري: ٣/ ١٢٧٥ برقم (٣٢٧٤).

قادرًا، في كل شيء وعلىٰ كل شيء، من غير حلول ولا اتحاد؛ لتفرده ﷻ من فوق عرشه ﴿هُوَ﴾ لفظ دال عليه، لا ينصرف عند الإطلاق إلا إليه، ﴿هُوَ﴾ حاضر، ﴿هُوَ﴾ مباين للخلق، ﴿هُوَ﴾ الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، لا يقيده قيد، ولا يحده حد، ﴿هُوَ﴾ أظهر من الظهور، وأَدَلُّ من الدليل، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وبكل شيء محيط، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] إنما هو، رب العالمين، عظيم القدرة، جليل الشأن، إذا أراد شيئا قال له: (كن)؛ فيكون.

﴿ٱللَّهُ﴾ لفظ فريد في مبناه، عظيم في معناه؛ لأنه يدل بكلِّه علىٰ الله.. علىٰ رب الكائنات.. لا وجود لمثله في اللغات، وهذا هو الذي جعل المسلمين يتمسكون به ولا يترجمونه إلىٰ سائر اللغات؛ لأن فيه معنىٰ لا وجود له في غيره؛ فلو حذفنا الألف يتبقىٰ (لله)، ولو حذفنا اللام يتبقىٰ (له) ﷻ، ولو حذفنا اللام الثانية لتبقىٰ (هو) لا إله إلا هو، وهو متفرد بصفات الجمال والجلال والكمال، لا يشاركه فيها أحد، وهو الموجود علىٰ الحقيقة والكل مفتقر فقير إليه.. وكل شيء فانٍ إلا وجهه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

﴿أَحَدٌ﴾ في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، لا يتجزأ، هو أحد وهذا يدلك علىٰ أنه هو المقصود وحده فلا يُعبد رب سواه، ولا تَلتجئ إلا إليه، ولا تطلب من أحد إلا الله، ولذلك نبهك فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ قد لا يعرفها كثير من الناس، وإن كثر تردادها بلسانه،

ومعناه المُتَوَجَّهُ إليه بالطلب والدعاء، ومعناه الذي هو قادر علىٰ أن يستجيب الدعاء، وقادر علىٰ أن ينفذه بصورة تامة كاملة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﷻ هو الذي يُطلب منه، فأجملوا في الطلب للدنيا، ولكن متوجهين بكلكم إلىٰ ربكم، وعلقوا قلوبكم بذاته سبحانه؛ فلا حق إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله ولا نعرف ربًا سواه، ولا نلجأ إلا إليه ﷻ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ولأنه متوجَّهٌ إليه هو قوي في ذاته قادر علىٰ أن يفعل، وأن ينفذ، وأن يستجيب ما أراد ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] هو مفارق للأكوان، وهو رب العالمين علىٰ كل حال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] لأنه ﷻ رب، والرب رب والعبد عبد، وهناك فارق بين المخلوق والخالق، إذا عرفت نفسك بالفناء عرفته بالبقاء، وإذا عرفت نفسك بالعجز عرفته بالقوة والقدرة، وإذا عرفت نفسك بالحدوث والابتداء فهو القديم[(١)]، هو الأول بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية.

أيها العاقل.. عليك بربك فهو أصل الوجود، وهو الذي بيده الملك، ويُطَمئن ربنا ﷻ عبادَه؛ فيعرفهم علىٰ شيء من صفاته وأسمائه فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». قَالَ: «**فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ**». أخرجه أبو داود: ١/١٨٠ برقم (٤٦٦) وقال النووي في الأذكار ١/٣١: رواه أبو داود بإسناد جيد.

ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤] وكذلك في طول القرآن، وعلىٰ لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، فيعلمنا أسماءه، ويذكُر صفاته ﷻ، ويدعوه سيدُ العابدين وإمام المرسلين ﷺ؛ فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي**»(١).

أيها الناس.. ربنا كريم، ربنا عفوٌ غفور، ربنا رحمنٌ رحيم، ربنا واسعٌ قدير، ربنا ليس كمثله شيء، نعبده ولا نعبد ربًا سواه، ونلتجئ إليه لأنه هو الصمد، ونوقن بالإجابة.. ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة.

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، نصر عبده، أعز جنده، هزم الأحزاب وحده، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه، بلَّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الله حتىٰ أتاه اليقين، فاللهم صَلِّ وسلم عليه وعلىٰ آله، وأصحابه وأتباعه، صلاة تليق بجلاله عندك يا أرحم الراحمين.

---

(١) أخرج ابن حبان في «صحيحه» ٣/ ٢٥٣ برقم (٩٧٢) عن عبد الله بن مسعود ﵁، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْن فقال اللهم..- فذكره-... إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَٰذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهنَّ**».

عباد الله.. من وحّد الله في قلبه توكّل عليه، ومن جعل الله حسبه كان حسبُه ﷻ وكفايتُه، لا يخاف من أحدٍ سواه، يطلب منه الهداية، كلمات الكفر لا تؤثر فيه؛ فقد ذاق حلاوة الإيمان وحلاوة التوحيد، يصبر على أذية الناس، وعلى حراك الحياة..

من شعر بالتوحيد في قلبه تأسس بنيانه، واطمأن قلبه ولَهِجَ لسانه بذكر ربه ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].. ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

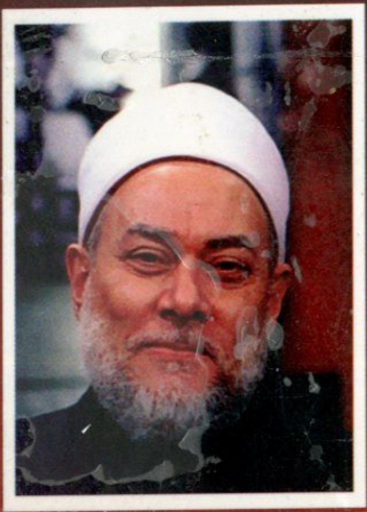
ومن جمال الصلاة على النبي ﷺ أنها جمعت بين ذكر الله وذكر نبيه على حد الشهادتين، فتقول (اللهم) فتذكر ربك، (صَلِّ وسلم على سيدنا محمد) فتذكر المصطفى المختار، سيد الخلق أجمعين، حبيب الرحمن، الباب الذي يوصلنا إليه دون سواه....

فاللهم صَلِّ وسلم وبارك وشرف وعظم ذلك النبي الأمي، الذي لا يزال في قلوب المؤمنين حبيبا، وفي قلوب الكافرين بغيضا، كما أردت يا ربنا منذ أن أرسلته وإلى يوم القيامة، حين يشهدون مِنَّتَهُ على جميعهم، مؤمنهم وكافرهم بالشفاعة الكبرى، حتى يخجل هذا الكافر مما سيكون في دار الحق لا في دار الفناء.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة



فضيلة الإمام العلامة نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

هذا الكتاب

يمثل صفوة من القول. تصف خلاصة تجربة مولانا العلامة نور الدين/ علي جمعة التي جسدها في منهج تربوي. له أسس عميقة لتصحيح انحرافات البشر. وعصمة المسلم من تتبع سنن الأمم الماضية في الاعتقادات والعبادات والمعاملات.

ويرسم دستوراً يصنع النصر في النفوس، فيفيض منها إلى واقعها الملموس، حتى تدرك المقاصد الشرعية الكبرى.

وحول هذه المحاور يدور الجزء الأول من سلسلة خطب الجمعة من معين الإمام العلامة/ علي جمعة مفتي الديار المصرية وعلومه.

ولا تزال المسيرة موصولة مع كتب ومؤلفات سماحة مولانا الإمام/ علي جمعة حفظه الله.

الناشر



الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

تراثنا ... أمانة في أعناقنا

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون : +٢٠٢-٢٩٨٥٠٨٩١ / +٢٠٢-٢٩٨٥٠٨٢٤

+٢٠٢-٠١٨١٧٥٥٥٦٦ / +٢٠٢-٢٥٠٥٧٨٣٠

E-mail : info@alwabell.com

www.alwabell.com

www.alimamalallama.com